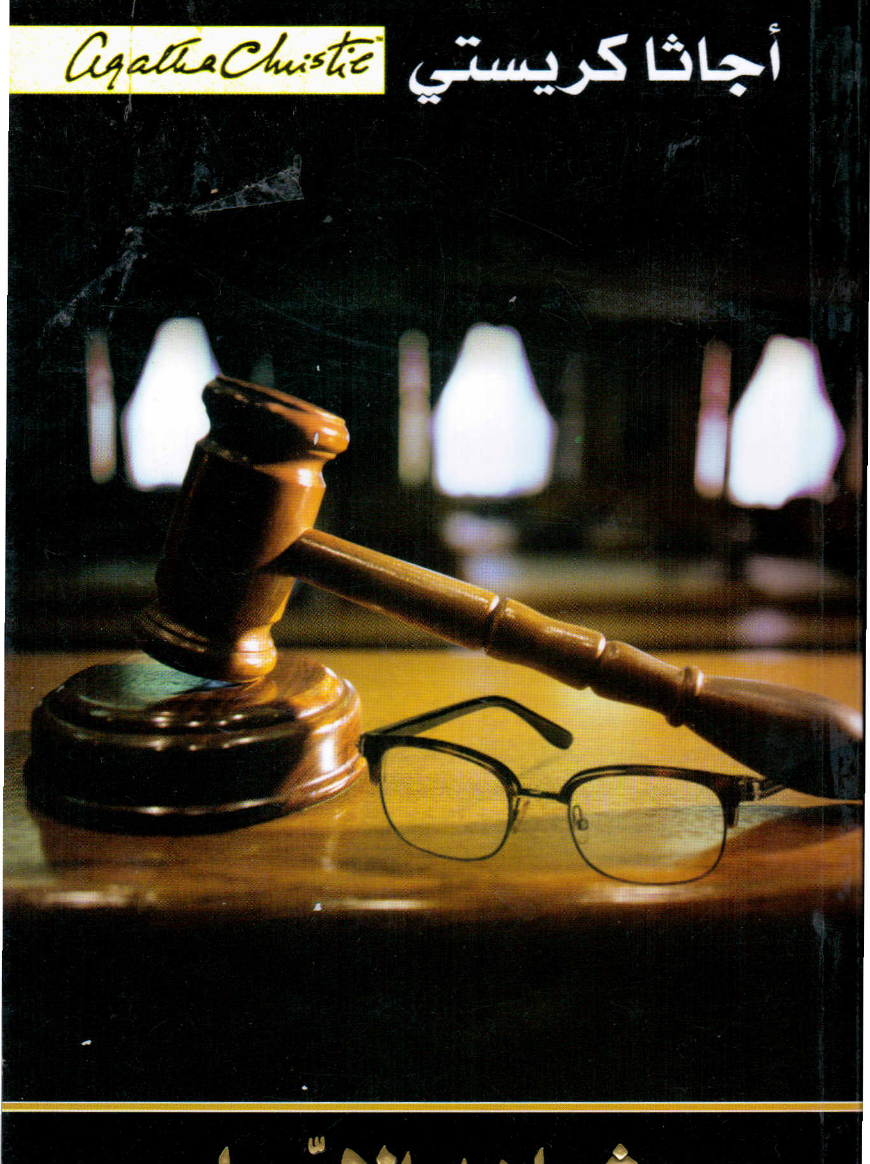


شاهد الإدّعاء

وقصص أخرى

Agatha Christie

Witness for the Prosecution

and selected plays







للتعرّف على فروعنا في

المملكة العربية السعودية ، قطر ، الكويت والإمارات العربية المتحدة

نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت

www.jarirbookstore.com

للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على :

jbpublications@jarirbookstore.com

الطبعة الأولى ٢٠٠٨

حقوق الترجمة العربية والنشر والتوزيع محفوظة لمكتبة جرير

Witness for the Prosecution © 1948 Agatha Christie Limited, a Chorion company. All rights reserved. Agatha Christie's signature is a registered trademark of Aghata Christie Limited (a Chorion company). All rights reserved.

Arabic translation copyright © 2008. Agatha Christie Limited. All rights reserved.

ARABIC language edition published by JARIR BOOKSTORE. No part of this book may be reproduced or transmitted in any form or by any means, electronical or mechanical, including photocopying, recording or by any information storage retrieval system without permission from JARIR BOOKSTORE.

المملكة العربية السعودية ص.ب: ٣١٩٦ الرياض ١١٤٧١

تليفون: ٤٦٢٦٠٠٠ ١ ٩٦٦+ – فاكس: ٤٦٥٦٣٦٣ ١ ٩٦٦+

شاهد الادعاء وقصص أخرى

تُعرف أجاثا كريستى فى كل أنحاء العالم باسم "ملكة الغموض"، ولقد حققت مبيعات كتبها ما يربو على مليار نسخة باللغة الإنجليزية إضافة إلى مليار نسخة أخرى ترجمت إلى مائة لغة أجنبية، وهى تعد أكثر كاتبة نشرت لها كتب على مر العصور على مستوى كل اللغات، ولم يفُقها فى المبيعات إلا كتب شكسبير، وقد قامت بتأليف ثمانين كتابا، ما بين روايات ومجموعات من القصص القصيرة فى الجريمة، كما قامت بتأليف تسع عشرة مسرحية، وست روايات تحت اسم مارى ويستماكوت.

ولقد كتبت أجاثا كريستى روايتها الأولى "السر الغامض فى ستايلز" قرب نهاية الحرب العالمية الأولى، والتى كانت تعمل خلالها فى الجيش كممرضة. وقد قامت فى هذه الرواية بابتكار شخصية هيركيول بوارو، ذلك المحقق البلجيكى ضئيل الجسم الذى صار أشهر محقق فى روايات الجرائم بعد شيرلوك هولمز وقد نشرت الرواية أخيرًا بواسطة دار نشر Bodley Head فى عام ١٩٢٠.

وفى عام ١٩٢٦، وبعد أن اعتادت تأليف رواية واحدة كل عام، قامت أجاثا كريستى بتأليف روايتها العظيمة "من الذى قتل السيد روجر أكرويد؟"، تلك الرواية التى كانت أول رواية تنشرها لها دار النشر "Collins" والتى أسست علاقة ربطت

بسم الله الرحمن الرحيم

بـين الكاتـب والناشـر دامت لخمسين عامًا ونتـج عنها ما يزيد على سبعين رواية، كما كانت رواية "من الذى قتل السيد روجر أكرويـد؟" هـى أولى رواياتها التى يتم تمثيلهـا مسرحيًا تحت عنـوان " Alibi" واستمر عرضها بنجـاح على مسرح "ويست إنـد" فى "لندن" لمدة طويلة. وقد تم افتتاح مسرحية "مصيدة الفئـران" أشهـر مسرحياتهـا علـى الإطـلاق فى عـام ١٩٥٢ وهـى المسرحية المعروفة بكونها صاحبـة أطول فترة عرض فى التاريخ.

وقد منحت أجاثا كريستى لقب "فارسة صاحبة مقام رفيع" فى عام ١٩٧١، وتوفيت فى عام ١٩٧٦. ومنذ ذلك الحين ظهرت عـدة مؤلفات لها منها تلك الرواية التـى حققت أعلى المبيعات "Sleeping Murder" وظهـرت لاحقًا فـى نفس عام وفاتها. بعد ذلـك نُشِرَت السيـرة الذاتية لها، ثـم مجموعة القصص القصيـرة"Miss Marple's Final Cases" و "Problem at Pollensa Bay" و"While the Light Lasts" وفـى عام ١٩٩٨ تم تحويـل أول مسرحية لها وهى "Black Coffee" إلى رواية بواسطة مؤلف آخر هو "تشارلز أوزبورن".

المحتويات

شاهد الادعاء

عدَّل السيد مايهيرن من وضع نظارته، وتنحنح بالطريقة الجافة التى اعتاد عليها، والتى تميز شخصيته، ثم نظر ثانية إلى الرجل الذى يجلس أمامه؛ ذلك الرجل المتهم بالقتل العمد.

كان السيد مايهيرن رجلاً صغير الحجم، دقيقًا فى تصرفاته، أنيقًا لكنه ليس مسرفًا فى أناقته، لديه عينان تملؤهما الكآبة، ولكنهما يعبران عن الدهاء والفطنة، ولم يكن ساذجًا على الإطلاق، وفى الحقيقة فإن سمعة السيد مايهيرن كمحام كانت تَحلق لأعلى؛ فصوته عندما يتحدث لموكليه يكون جافًا لكنْ به لمسة تعاطف.

"لابد أن أؤكد لك مجددًا أنك فى خطر شديد، وبالتالى فإن الصراحة المطلقة تعد أمرًا ضروريًا".

www.liilas.com/vb3
uploaded and
scanned by:
THE GHOST 92

تحـول ليونـارد فول، الـذى كان يحدق فى الحائـط شاردًا بعينيه، إلى المحامى.

وقال بصوت يملؤه اليأس: "أعرف، لقد قلت لى ذلك مرارًا، ولكننى لا أستطيع حتى الآن أن أتخيل أننى متهم فى قضية قتل ... قتل، بل ومتهم أيضًا فى تلك الجريمة الوضيعة أيضًا".

كان السيد مايهيرن عمليًا، ولم يكن رجلاً عاطفيًا؛ فتنحنح ثانيةً، وخلع نظارته لينظفها بعناية، ووضعها مرة أخرى على أنفه، ثم قال:

"نعـم، نعم، نعم. عزيزى السيـد فول، سوف نقوم بمجهود شـاق بناء علـى خطى ثابتة لرفـع الاتهام عنـك وسوف ننجح ولكـن ينبغى أن يكون لدىَّ كل الحقائق، لابد أن أعرف تحديدًا إلى أى مـدى يمكـن أن تصل خطورة القضيـة الموجهة ضدك، وحينئذ يمكننا أن نحدد أفضل مدخل للدفاع".

ظـلّ الشـاب ينظر إليـه بنفسس النظـرة البائسـة المُتعَبة. أمـا بالنسبة للسيد مايهـيرن، فالقضية بدت خاسـرة، وإدانة السجـين مؤكـدة؛ فهـو الآن وللمـرة الأولى فى حياتـه يساوره الشك فى كسب القضية.

قـال ليونـارد بصـوت خافـت: "إنـك تعتقد أننـى مذنب، ولكـن أقسم بالله أننى غير مذنـب! أعلم أن القضية ليست فى صالحى؛ فأنا أبدو كأننى وقعت فى شراك تلتف خيوطها حولى، إنها تحيط بى وتحاصرنى حيثما اتجهت، ولكنى لم أقتل يا سيد مايهيرن، لم أفعل هذا قط!".

ويعلـم السيـد مايهيرن أن أى إنسان فى هـذا الموقف يكون مصممًـا علـى الاحتجاج ليؤكـد براءته، ولكن رغـم ذلك تأثر

السيد مايهيرن بما يقوله فول؛ فربما، بعد كل هذا، كان السيد ليونارد فول بريئًا.

قـال: "أنـت علـى حق يا سيـد فـول؛ إن القضيـة تبدو فى غـير صالحك تمامًا، إلا أننى أصدقـك. دعنا الآن نتطرق إلى الحقائـق. أود أن تخبرنـى بطريقتك الخاصـة تفصيلاً، كيف تعرّفت على الآنسة إميلى فرنش".

"كان ذلـك فى أحد الأيام فى شـارع أكسفورد؛ حيث رأيت سيدة مُسنـة تعبر الطريق، وكانت تحمـل العديد من الطرود، ثـم سقطت منها هذه الطـرود فى منتصف الشـارع، فحاولت أن تستعيدهـا مـرة أخـرى، فإذا بهـا تفاجأ بأتوبيـس مندفعاً نحوها، وبينما كانت تحاول الوصول إلى رصيف المشاة أصابها الذهول والارتباك من قبـل الأشخاص الذين أخذوا يصرخون فى وجهها، فجمعت لها الطرود، وأزلت الطين عنها بأقصى ما أستطيع، وأعدت ربط حبل الطرود، ثم أعطيتها إياها".

"لا يوجد شك فى أنك أنقذت حياتها؟".

"أوه يـا عزيزى، لا! فكل ما فعلتـه كان القيام بعمل أخلاقى بديهـى، وكانت هى فى غاية الامتنـان، وشكرتنى بشدة، وقالت شيئًـا ما عن أخلاقى يتعلق بعدم كونها مثل أخلاق معظم شباب هذا الجيـل لكننى لا أستطيع تذكر ما قالتـه بالضبط ثم رفعت قبعتى وذهبت. ولم أكن أتوقع أن أراها ثانية، ولكن الحياة مليئة بالمصادفات؛ حتى إننـى فى ذات هذا المساء فوجئت بلقائى بها فـى حفلة فى بيت صديق، وتعرفـت علىَّ فى الحال، وسألتنى أن أعرِّفهـا بنفسى، ثم اكتشفـت أنها تدعى الآنسـة إميلى فرنش،

وأنها تعيش فـى كريكلوود، وتحدثت إليها لبعض الوقت، وأعتقد أنها سيدة عجوز تنتابها ميول وأهواء مفاجئة وعنيفة نحو الناس؛ فقـد انتابها ميل تجاهى بفضل عمل بسيط للغاية، كان بوسع أى شخص القيام به، وعندما حان الرحيل صافحتنى برفق وطلبت منى أن أزورها، فرددت بالطبع قائلاً إننى أسعد بأن أفعل هذا، وحينئـذ ألحت علـىّ أن أحدد يومًا. ولم أكـن أرغب فى الذهاب فـى البداية، ولكننى وجدت أنه من الفظاظة أن أرفض، ولذلك حددت لها يـوم السبت التالى، وبعدما ذهبت، علمت عنها شيئاً من أصدقائى، ألا وهو أنها ثرية، غريبة الأطوار، وتعيش بمفردها مع خادمة واحدة، وتمتلك ما لا يقل عن ثمانى قطط".

قـال السيد مايهـيرن: "أفهم ذلـك، وبالتـالى فقد علمت مبكرًا أنها ميسورة الحال، أليس كذلك؟".

بدأ ليونارد يستاء وقال: "إذا كنت تعنى أننى حاولت معرفة أنها ...."

أومأ له السيد ما يهيرن قائلاً:

" لابـد أن أنظر إلى القضية من وجهة نظر الطرف الآخر؛ فالملاحظ العادى لم يكن يعتقد أن الآنسة فرنش امرأة ميسورة الحال؛ حيث كانت تعيش حيـاة فقيرة متواضعة؛ ولعلك إذا لم يخـبرك أصدقـاؤك بعكس ذلـك، لكنت، فـى كل الاحتمالات، ستظن أنها تحيا فى ظروف فقيرة وفى أدنى مستوى للمعيشة. من هو تحديدًا الذى أخبرك بأنها كانت ميسورة الحال؟".

"صديقى جورج هارفى، الذى أقيم الحفل فى منزله".

" هل يمكنه أن يتذكر أنه قال لك هذا؟".

" أنا لا أعرف حقًا. بالطبع كان ذلك منذ فترة بعيدة".

"حسنًا، سيد فول. أنت تعلم أن الهدف الأول للادعاء سوف يقوم على أساس إثبات أنك كنت فى وضع مالى متدهور، وهذا حقيقى، أليس كذلك؟".

احمر وجه ليونارد فول.

وقـال بصـوت خفيض: "نعـم، فقد كنـت أسـيرًا لسلسلة متواصلة من سوء الحظ المرير".

قـال السيد مايهيرن مجددًا: "حسنًا، إن كونك كما قلت فى وضـع مادى مُتَرَدٍّ، يفسر أنك قابلت السيدة العجوز وسعيت إلى معرفتها ومصادقتها عن طريق الملاطفة والمجاملة، والآن لو أننا يمكننا القول بأنك لم تكن لديك أية فكرة عن ثرائها، وأنك كنت تزورها من منطلق طيبة قلبك المجردة عن أى أغراض...".

"وهذه هى الحقيقة".

"يمكننى القول إننى لا أجـادل ولا أشكك فى هذه النقطة، ولكنـى أنظـر إليها مـن وجهة النظـر الأخرى؛ فالـدور الأكبر يتوقـف على ذاكـرة السيد هارفى، فهل مـن المحتمل أن يتذكر هذه المحادثة أم لا؟".

صمت ليونارد فـول وفكّر مليًا لبضع دقائق، ثم قال بثبات، ولكن بوجه أكثر شحوبًا:

"لا أعتقـد أن هذا السبيل الذى سنسلكه فى الدفاع سيكون ناجحًا يا سيد مايهيرن؛ فقد سمع العديد من الحضور ما قاله، ومازحنـى واحد أو اثنان منهـم حول إعجـاب السيدة العجوز الثرية وخضوعها لى".

حاول المحامى أن يخفى إحباطه بتلويحه بيده.

قال: "مع الأسف، ولكنى أحييك على صراحتك يا سيد فول. إنـك تنير بصيرتى وأنت محق فيما تقوله؛ فالإصرار على خط الدفـاع هذا الذى أتحدث عنه سيكـون جالبًا للمصائب، ولابد أن ننحى جانبًا هذه النقطـة؛ لأنك تعرَّفت على الآنسة فرنش، وقمـت بزيارتها، وتطورت العلاقـة بينكما، ونحـن نريد سببًا واضحًا لكل هذا، فما السبب الذى يجعلك أنت، باعتبارك شابًا فـى الثالثة والثلاثين: حسن المظهـر، مولعًا بالرياضة، محبوبًا بـين أصدقائه، أن تكرس قسطًا كبـيرًا من وقتك لامرأة عجوز ليس هناك شىء مشترك بينكما؟".

فلوح ليونارد فول بيديه فى عصبية، وقال:

"لا أستطيـع أن أخـبرك، حقًـا لا أستطيـع أن أخبرك، فبعد الزيـارة الأولى ضغطت علىَّ أن أزورها ثانيـةً؛ حيث حدثتنى عن كونها وحيدة وغير سعيـدة، وبالتالى كان من الصعب أن أرفض. ولقد أظهرت بكل صراحة ولعها وعواطفها تجاهى؛ مما جعلنى فى وضع حرج وغير مناسب، تفهمنى يا سيد مايهيرن. إن لدىَّ طبيعة ضعيفة، إننى أنساق خلف عواطفى؛ فأنا واحد من هؤلاء الذين لا يستطيعـون أن يقولوا لا، وسـواء صدقتنى أم لا، كما تشاء، فإننى بعد الزيارة الثالثة أو الرابعة لها وجدت نفسى متعلقًا بهذا الشىء العجـوز بشكل غير عـادى؛ فوالدتى توفيت عندمـا كنت صغيرًا، وتولـت تربيتى إحدى خالاتى، ثم توفيت قبل أن أتم الخمسة عشر عامًـا. فلو قلت لك إننى كنت أستمتع للغاية بأنها تعتنى بى عناية الأم بأولادها، وأنها كانت تدللنى، فقد تضحك".

لم يضحك السيد مايهيرن، وإنما خلع نظارته بدلاً من ذلك مرة أخرى وقام بتلميعها، وهذه إشارة تعبر عن أنه كان يفكر بعمق.

وفى النهاية قال مايهيرن: "إننى أوافقك فى تفسيرك هذا؛ فأنا أصدق أن السبب ربما يكون نفسيًا. وقد تأخذ هيئة المحلفين هذه الرؤية وتفسرها بشىء آخر. من فضلك أكمل روايتك. متى طلبت منك الآنسة فرنش أول مرة أن ترعى شئون أعمالها؟".

"بعـد زيارتـى الثالثة أو الرابعة لهـا أصبحت تدرك القليل جدًا من الأمور، وكانت قلقة بشأن بعض الاستثمارات".

فرفع السيد مايهيرن بصره إليه بحدة.

"احـذر سيد فول؛ فقد أقرت الخادمة جانيت ماكينزى بأن سيدتهـا كانت سيدة أعمال جيدة، وكانت تُجرى كل معاملاتها التجاريـة وصفقاتها بنفسها، ويؤيـد قولها شهادة البنوك التى كانت تتعامل معها".

قال فول بجدية: "لا أدرى؛ فهذا ما قالته لى".

نظـر السيد مايهيرن إليـه لمدة دقيقة أو اثنتـين فى صمت. فرغم أنه لم يكن لديه أية نية فى قوله هذا، إلا أن إيمانه ببراءة ليونـارد فول قد ازداد قوة فى هـذه اللحظة؛ فقد كان يعلم شيئًا عن عقليـة السيدات العجائز. لقد رأى فـول الآنسة فرنش التى فُتنـت بالشاب حسن المظهر، ومن ثـم أخذت تفتش عن الذرائع التى من شأنها أن تحضره إلى بيتها. أليس من المحتمل أنها رأت أنه ينبغى عليها أن تدَّعى الجهل بأمور الأعمال وتلتمس مساعدته لهـا فـى شئونها المالية؟ فقـد كان لديها من الخـبرة كامرأة ما يجعلهـا تـدرك أن أى رجل يمكـن إشباع غـروره إلى حد ما عن

طريق الاعتراف بكفاءته. لقد تعرض ليونارد فول للخداع، ومن المحتمل أيضًا أنها لم تكن تكره أن يعرف هذا الشاب أنها ثرية؛ فقد كانت إميلى فرنش سيدة قوية الإرادة؛ مستعدة لأن تدفع نفسها ثمنًا لما تريده. دار كل هذا فى رأس السيد مايهيرن فى هذه اللحظة، ولكنه لم يُصرِّح به، وإنما وجه سؤالاً آخر:

"وقمت فعلاً بإدارة شئونها بناءً على طلبها، أليس كذلك؟".

"نعم قمت بذلك".

قال المحامى: "سيد فول، سوف أقوم بتوجيه سؤال مهم إليك، وهذا السؤال يتطلب إجابة صادقة. لقد كنت فى وضع مالى مُتَرَدٍّ، وكان فى حوزتك إدارة شئون سيدة عجوز، على حد قولها، لا تعلم شيئًا عن شئون الأعمال؛ فهل قمت فى أى وقت من الأوقات أو بأى شكل من الأشكال بتحويل السندات المالية التى تعاملت بها إلى استخدامك الخاص؟ هل شاركت فى أى صفقة أو معاملات تجارية خاصة بك سرًا وبعيدًا عن أعين الناس؟". وحاول مايهيرن أن يجعله متأنيًا فى إجابته فقال له:

"انتظر دقيقة قبل أن تجيب؛ فهناك طريقان مفتوحان أمامنا، إما أن نشير إلى استقامتك وأمانتك فى إدارة شئونها موضحين إلى أى مدى يكون من غير المحتمل أن تقدم على ارتكاب جريمة قتل للحصول على المال الذى كان بإمكانك أن تحصل عليه عن طريق كل هذه الطرق السهلة، ومن ناحية أخرى إذا كان هناك أى شيء يشوب معاملاتك فسوف يمسك الادعاء به، وبصراحة شديدة، سوف يتم إثبات أنك ابتززت المرأة العجوز بأى شكل من الأشكال وبالتالى يجب علينا أن نثبت أنه لم يكن لديك أى

دافع للقتل؛ حيث إنها كانت مصدر ربح لك. أفهمت الفارق بين الحالتين. والآن أرجو منك أن تأخذ وقتك قبل أن تجيب".

ولكن ليونارد فول لم يأخذ وقتًا على الإطلاق!

"إن تعاملاتى مع شئون الآنسة فرنش كانت كلها فى غاية العدالة والأمانة وخارج نطاق المناقشة؛ فلقد كرست كل قدرتى وطاقتى من أجل مصالحها، وهذا ما يستطيع أى إنسان أن يكتشفه عندما يفحص هذا الأمر".

قال السيد مايهيرن: "أشكرك؛ فقد أرحت بالى للغاية، وإننى أهنئك لأنك لم تحاول رغم ما قلته لك أن تكذب بخصوص هذا الأمر المهم".

قال فول بشغف: "بالتأكيد، إن أقوى نقطة لصالحى هى الافتقار إلى الدوافع. إن التسليم بأننى سعيت إلى معرفة سيدة عجوز ثرية على أمل الحصول على المال من ورائها والذى أعتقد أنه جوهر ما كنت تتحدث عنه حقًا يحبط كل آمالى أليس كذلك؟".

نظر المحامى إليه بثبات، ثم كرر بترو شديد عادته اللاإرادية برفع نظارته، ولم يتحدث إلا عندما استقرت بثبات على أنفه: "ألا تدرى يا سيد فول أن الآنسة فرنش تركت وصية بموجبها تكون أنت المستفيد الرئيسى؟".

وقف السجين فجأة على قدميه فى فزع واضح وتلقائى متسائلاً:

"ماذا؟ يا إلهى! ماذا تقول؟ تركت أموالها لى؟".

أومأ السيد مايهيرن ببطء، وغاص فول فى خواطره مرة أخرى واضعًا رأسه بين كفيه.

"أتدّعى أنك لا تعلم شيئًا عن هذه الوصية؟".

" أدّعى؟ لا مجال للادعاء فى هذا. أنا لم أكن أعرف شيئًا عن ذلك".

" مـاذا ستقول إن أخبرتك بأن الخادمـة جانيت ماكنيزى أقسمـت أنـك كنت تعلـم؟ وأن سيدتها أخبرتهـا بوضوح بأنها استشارتك فى هذا الأمر، وأخبرتك بنواياها؟".

" مـاذا أقول؟ إنها تكـذب! لا، إن عقلى يدور بـلا هوادة، إن جانيت امرأة عجوز وكانت خادمة مخلصة لسيدتها لكنها لم تكن تحبنى، بل كانت غيورة وكثيرة الشك؛ فينبغى أن أقول إن الآنسة فرنش وثقت فى أن تصـرح عن نواياها لجانيت، وإن جانيت إما أخطـأت فى فهم شـىء مما قالته لها سيدتهـا، وإما اقتنعت فى قـرارة نفسها بأننـى أقنعت سيدتها ودفعتهـا لفعل هذا، وأراهن أنها الآن تعتقد أن الآنسة فرنش قد أخبرتها بذلك بالفعل".

"هل تعتقـد أنها تكرهك للحد الـذى يجعلها تتعمد الكذب فيها يخص هذا الأمر؟".

بدا ليونارد فول مصدومًا ومرتاعًا.

"نعم، حقًا، فلماذا تفعل هذا؟".

فـرد السيد مايهيرن وهـو يفكر قائـلاً: "لا أعرف، ولكنها تكن مشاعر بغيضة تجاهك".

تأوه الشاب البائس ثانية، وهمهم قائلاً: "بدأت أتفهّم الأمر الآن، هذا شىء مخيف. وجعلتها تكتب وصية تترك بموجبها كل أموالها لى، وبعد ذلك أذهب إلى هناك فى هذه الليلة حينما لا يكون أحد بالمنزل، ومن ثم يجدونها فى اليوم التالى ... أوه! يا إلهى، هذا فظيع".

قـال السيد مايهيرن: "أنـت مخطئ فى اعتقـادك أنه لم يكن هنـاك أحد بالمنـزل، تذكر أن جانيـت كانت من المتوقـع أن تخرج مسـاءً. وقـد خرجت ولكنها عـادت إلى المنزل فى حـوالى التاسعة والنصـف كى تأخذ بلـوزة كانت قد وعدت بها إحـدى صديقاتها، ودخلت من الباب الخلفى، وصعدت إلى الطابق العلوى وأحضرتها، ثم خرجت ثانية. وحينها سمعت أصواتًا فى حجرة الجلوس، ورغم أنها لم تستطع تمييزها، إلا أنها أقسمت أن واحدًا من أصحاب هذه الأصوات كان صوت الآنسة فرنش، وأن الآخر كان صوت رجل".

"فى التاسعـة والنصف؟"، هكذا تساءل ليونارد فول: "فى التاسعة والنصف..." وقفز لأعلى، ثم قال: "لكنى بذلك نجوت ... نجوت ...".

صاح السيد مايهيرن مندهشًا: "ماذا تعنى بقولك هذا؟".

"فـى التاسعـة والنصف كنت قـد عدت إلى المنـزل ثانية! وزوجتـى يمكنهـا أن تثبت ذلـك. لقد تركت منـزل فرنش قبل حلول التاسعة بخمس دقائق، ووصلت منزلى فى حوالى الساعة التاسعة والثلث، وكانـت زوجتى هناك فى انتظارى. آه، الحمد لله الحمد لله! وبارك الله فى بلوزة جانيت".

ووسـط هذا الحماسـ الذى غمـره لم يلاحـظ أن التعبير القاتم الذى اعتلى وجـه المحامى لم يتغير، والذى أسقطه على أرض الواقع بكلماته:

"من، إذن، فى رأيك قتل الآنسة فرنش؟".

"لماذا لا يكون القاتل لصًا، بالطبع كما كان يُعتقد فى البداية؟ تذكر أنه تم كسر النافذة بالقوة عن طريق ضربة عنيفة بواسطة

هراوة وجدت ملقاة على الأرض بجوار الجثة، وكان هناك العديد من المقالات المفقودة، ولولا شك جانيت غير المنطقى تجاهى وكرهها لى، لما انحرفت الشرطة عن المسار الصحيح".

قال المحامى: "لن تفيد كل هذه الدلائل يا سيد فول؛ فلم تكن الأشياء المفقودة سوى أشياء تافهة لا قيمة لها؛ حيث تمت سرقتها من أجل اتخاذها كستار يحجب الضوء عن الجريمة الأساسية، كما أن العلامات الموجودة على الشباك لم تكن حاسمة على الإطلاق، بالإضافة إلى هذا، فكر أنت بنفسك؛ فقد قلت إنك لم تكن متواجدًا فى تمام الساعة التاسعة والنصف، إذن فمن هو الشخص الذى سمعته جانيت يتحدث إلى الآنسة فرنش فى حجرة الجلوس، فمن الصعب القول إنها كانت تدخل فى محادثة ودية مع لص، أليس كذلك؟".

قال فول: "لا، لا ..."؛ حيث بدت عليه علامات الحيرة والإحباط، وأضاف قائلاً بروح متجددة: "لكن على أية حال فإن هذا يبعدنى عن دائرة الشك؛ فأنا لدىّ دليل على التغيب وقت وقوع الجريمة. لابد أن تلتقى زوجتى رومين، فورًا".

وافقه المحامى قائلاً: "بالتأكيد، وكان من المفترض أن ألتقى السيدة فول بالفعل، ولكننى لم أستطع بسبب تغيبها عندما تم القبض عليك، ولذلك أجريت اتصالاً بسكوتلندا فى التو، وعلمت أنها ستصل من سفرها الليلة، وسوف أقوم بزيارتها حال مغادرتى هذا المكان".

أومأ فول، واعتلى وجهه تعبير عن الرضا الشديد.

"نعم، سوف تخبرك رومين. يا إلهى! إن هذا لمن حسن

الحظ حقًا".

"معذرة سيد فول، ولكنك تحب زوجتك حبًا شديدًا، أليس كذلك؟".

"بالطبع".

"وهى أيضًا مولعة بك؟".

"إن رومين مخلصة لى، وإنها مستعدة لعمل أى شىء فى الدنيا من أجلى".

وامتلأ حديث فول بالحماس، بينما تسرب إلى قلب المحامى الشعور بخيبة الأمل والإحباط؛ فشهادة امرأة وفية ومخلصة لزوجها، هل ستكون محل تصديق؟

"هل كان هناك أى شخص آخر رآك عائدًا إلى منزلك فى تمام الساعة التاسعة والثلث، خادمة، على سبيل المثال؟".

"لا يوجد لدينا خادمة".

"هل قابلت أى شخص فى طريقك للمنزل؟".

"لم أقابل أحدًا أعرفه، فلقد استقللت أتوبيسًا وربما يتذكرنى الكمسرى".

هز السيد مايهيرن رأسه فى ريبة.

"إذن لا يوجد أحد يمكنه أن يدعم ويؤكد شهادة زوجتك؟".

"لا، ولكن ليس هذا أمرًا ضروريًا، أليس كذلك؟".

"لا يمكننى قول ذلك، لا يمكننى قول ذلك"، هكذا أجابه السيد مايهيرن بسرعة، ثم أردف: "الآن يوجد لدينا شىء وحيد آخر، هل الآنسة فرنش على علم بأنك رجل متزوج؟".

"أوه، نعم".

"ومـع ذلـك لم تحاول علـى الإطـلاق اصطحـاب زوجتك لزيارة الآنسة فرنش، فلماذا؟!".

ولأول مرة يتلعثم السيد فول ويشوب إجابته الشك.

"حسنًا ... لا أعلم".

"هـل تدرك مـا قالته جانيت حول اعتقـاد سيدتها أنك غير متزوج، وأنها كانت تطمح وتخطط للزواج منك فى المستقبل؟".

ضحك فول.

"يـا للعبث! لقد كان هناك فارق فى السن نحو أربعين عامًا بيننا".

قـال المحامى فى اقتضاب: "ما حـدث قد حدث، ولا يتبقى سوى حقيقة أن زوجتك لم تلتق الآنسة فرنش على الإطلاق".

تمالك فول نفسه ثانية، وقال: "لا ..".

قـال المحامى: "إنك تدفعنى إلى القول بأننى لا أستطيع أن أفهم موقفك تجاه هذا الأمر".

احمـر وجه فول وتردد، ثم قال: "سـوف أعترف بكل شىء لقـد كنـت معسرًا، وفى عـوز شديد كمـا تعلم، وكنـت آمل أن تعيرنى الآنسة فرنش بعض المال، ولقد كانت مولعة بى ولكنها لا تهتـم ولا تلتفت على الإطلاق إلى مشاجرات زوجين فى ربيع العمـر. وسرعان ما وجدت أنها صـارت متيقنة بأننى وزوجتى لم نتفق، وأن كلاً منـا يعيش بعيدًا عن الآخـر. سيد مايهيرن، لقـد كنت فـى حاجة إلى المال مـن أجل رومـين، لكننى لم أقل أى شـىء، بل سمحت للسيدة العجوز بأن تفكر نحوى بالطريقة التى تحلو لها، وخلال حديثها معى كانت تنظر إلىّ كابن تتبناه؛

فمسألـة الزواج لم يكن لها أى وجـود، ولابد أن هذا كله مجرد تخيلات فى نفس جانيت".

"أهذا هو كل شىء؟".

"نعم، هذا هو كل شىء".

هـل كان هناك لمحة تردد تثير الشك فى هذا الكلام؟ نعم، اعتقد المحامى ذلك، ومن ثم رفع يديه وبسطهما.

نظر فى وجه الشاب الشاحب، وتحدث فى اندفاع غير معتاد قائـلاً: "إلى اللقاء يا سيد فول؛ أنـا مؤمن ببراءتك رغم تعدد الحقائق التـى تتلاحق ضـدك. إننى أتـوق إلى إثبات براءتك وإلى تبرئتك تمامًا".

واجه فـول كلماتـه بابتسامة وقال فى مـرح: "وسوف تجد دليل تغيبى وقت وقوع الجريمة صادقًا وحقيقيًا".

ولم يلاحـظ فى هـذه المرة أيضًا أن المحامـى لم يُبدِ أى رد على ما يقول.

قـال مايهـيرن: "الأمـر كلـه يتوقف علـى شهـادة جانيت ماكينـزى، إنها تكرهك، وهذا الحـد الكبير لكرهها لك واضح وصريح".

احتج الشاب قائلاً: "لا يمكن أن يكون فى قلبها كره لى".

هـز المحامى رأسه فـى أثناء خروجه محدثـًا نفسه قائلاً: "الآن إلى السيدة فول".

وبدا منزعجًا للغاية من المسار التى أضحت الأشياء تتخذه.

كان فول وزوجتـه يعيشان فى منزل صغـير وقديم بالقرب مـن بادينجتـون جرين، وكان هـذا هو المنزل الـذى توجه إليه

السيد مايهيرن.

ردًا على دق الجرس فتحت الباب امرأة رثة الملابس، كبيرة الحجم، ويبدو أنها خادمة نهارية.

"أريد السيدة فول. هل عادت؟".

"رجعت منذ ساعة، ولكننى لا أعرف إن كان بإمكانك رؤيتها أم لا".

قال السيد مايهيرن فى هدوء: "إننى على يقين بأنها سوف تقابلنى إذا أعطيتها ...".

نظرت إليه المرأة فى ريبة، ثم جففت يديها فى مئزرها وتناولت البطاقة، ثم أغلقت الباب فى وجهه تاركة إياه خارج المنزل، ولكن بعد دقائق معدودة عادت بتغيير طفيف فى أسلوبها.

"ادخل من فضلك".

وقادته إلى حجرة معيشة صغيرة، وبينما كان السيد مايهيرن يحدِّق فى صورة معلقة على الحائط إذا به يقفز فجأة ليجد أمامه امرأة شاحبة طويلة القامة، وقد دخلت إلى الحجرة فى هدوء؛ حتى إنه لم يسمعها.

"السيد مايهيرن، أنت المحامى الذى يدافع عن زوجى، أليس كذلك؟ وقد توجهت بعد زيارته إلى هنا مباشرة؟ هلا تفضلت بالجلوس؟".

ولو أنها لم تتكلم لما أدرك أنها ليست إنجليزية الجنسية. والآن بعدما نظر إليها على مقربة لاحظ عظام وجنتيها المرتفعتين، ولاحظ الشعر الكثيف ذا اللون الأزرق الداكن

جدًا، والحركة الهادئة لليدين بين الحين والآخر والتى تنم عن شخصية غريبة وبعيدة كل البعد عن الشخصية الإنجليزية، إنها امرأة غريبة، هادئة جدًا، هادئة لدرجة لا يشعر الإنسان معها بالراحة والسلاسة. ومن الوهلة الأولى أدرك السيد مايهيرن أنه أمام شىء يعجز عن فهمه.

وبدأ حديثه: "عزيزتى السيدة فول، يجب أن تتمالكى نفسك ـ".

لكنه توقف عن الكلام؛ حيث بدا واضحًا أن رومين فول لم يكن لديها أدنى نية أو احتمال للانهيار؛ فكانت هادئة ومتماسكة للغاية.

قالت: "هلا حدثتنى عن هذا الأمر؟ لابد أن أعرف كل شىء؛ فلا تحاول أن تهمشنى أو تطرحنى جانبًا؛ فأنا أريد أن أعرف أسوأ ما فى هذا الأمر بكل تفاصيله". وترددت ثم كررت ما قالته فى نبرة خفيضة وفضول لم يفهمه المحامى: "أريد أن أعرف أسوأ ما فى الأمر".

كرر السيد مايهيرن إخبارها بحواره مع ليونارد فول، بينما أخذت هى تستمع إليه بحرص شديد وهى تومئ برأسها بين الحين والآخر.

وقالت عندما انتهى من حديثه: "فهمت؛ فهو يريد أن أشهد بأنه أتى فى تمام التاسعة والثلث مساءً؟".

قال السيد مايهيرن بحدة: "هل أتى، فعلاً فى هذا التوقيت؟".

فردت بفتور قائلة: "أليس هذا هو جوهر الموضوع؛ فهل

شهادتى هذه سوف تبرئه؟ وهل سيصدقوننى؟".

هنـا رجع السيد مايهيرن إلى الخلف، بينما تقدمت هى بسرعة للدخول فى جوهر الموضوع.

قالت: "هذا ما أريد أن أعرفه، هل سيكون هذا كافيًا؟ هل يوجد أى شخص يمكنه أن يدعم ويؤيد شهادتى هذه؟".

وهكذا بدا فى أسلوبها أن هناك رغبة جامحة لم تشعره بالارتياح.

فرد عليها بامتعاض: "حتى الآن لا يوجد شخص آخر".

قالت رومين فول: "فهمت".

وجلست فى صمت تام لمدة دقيقة أو اثنتين، وارتسمت ابتسامة طفيفة على شفتيها.

وازداد شعور المحامى بالانزعاج أكثر وأكثر.

ثم بدأ كلامه قائلاً: "السيدة فول، إننى أعرف مشاعرك".

"أحقًا؟!"، وأردفت: "إننى أتعجب".

"فى هذه الظروف".

قاطعته مرة أخرى:"فى هذه الظروف ينبغى علىَّ أن أحمل على عاتقى هذا الأمر بمفردى".

فنظر إليها فى استياء.

"ولكن، عزيزتى إن بمقدورك فعل ذلك، فكونك مخلصة إلى هذا الحد لزوجك".

قاطعته: "من فضلك".

لكن حدة صوتها جعلته ينطلق متحدثًا، فكرر فى تردد

قائلاً:

"كونك مخلصة جدًا لزوجك".

أومأت رومين فول برأسها فى بطء وارتسمت على شفتيها نفس الابتسامة الغريبة.

وسألته بلطف: "هل قال لك إننى كنت مخلصة له؟ آه! نعم، أرى من حديثك أنه أخبرك، يا لغباء الرجال! غبى غبى غبى".

وقفت على قدميها وانحصرت كل المشاعر القوية التى أدركها المحامى فى الأجواء المحملة به فى نبرة صوتها.

"إننى أكرهه، أخبرك بهذا، أكرهه، أكرهه، وأريد أن أراه يُعدم شنقًا حتى الموت".

تراجع وتقهقر المحامى أمام تلك المشاعر المكبوتة فى عينيها.

وتقدمت هى خطوة وأكملت حديثها المحموم قائلة:

"إنه لم يأت فى التاسعة والنصف مساءً، وإنما جاء فى العاشرة والنصف؟ وأنت تقول إنه أخبرك بعدم معرفته عن الأموال التى أتت إليه عن طريق الوصية، فماذا لو قلت لك إنه كان يعلم بها، وإنه أحصاها، وإنه ارتكب جريمة القتل هذه للحصول عليها؟ ماذا لو أخبرتك بأنه اعترف لى فى هذه الليلة عندما أتى إلى البيت بما فعله؟ وأننى شاهدت معطفه ملطخاً بالدماء؟ ماذا إذن؟ افترض أننى وقفت فى المحكمة وقلت كل هذا؟".

وبدت فى عينيها نظرات التحدى، وحاول هو جاهدًا أن

يخفــى استيــاءه المتزايد، كمــا حــاول أن يتحــدث إليها بنبرة متعقلة ومتأنية فقال: "من المستحيل أن يوجه إليك طلب تقديم دليل ضد زوجك ".

قاطعته قائلة: "إنه ليس زوجي!".

جاءت كلماتها متسارعة حتى إنه تخيل أنه أخطأ فهمها.

"معذرة؟ إنني".

"إنه ليس زوجي".

كان الصمت يطبق على المكان؛ حتى إنك تستطيع أن تسمع سقطة الإبرة على الأرض.

"لقــد كنت أعمل ممثلة فى فيينا، وزوجى على قيد الحياة، ولكنــه الآن فى مصحــة عقلية، ولذلــك فلم يكـن بإمكاننا أن نتزوج، وأنا سعيدة الآن".

وأومأت برأسها فى ثقة.

قــال السيــد مايهيرن الــذى حاول جاهــدًا أن يبــدو هادئًا وعمليًــا كعادته: "أود أن تخبرينــى عن شىء واحد، لماذا تكنين للسيد ليونارد فول كل هذه الكراهية؟".

هزّت رأسها وابتسمت ابتسامة صغيرة.

"نعم أنت تتوق إلى معرفة ذلك، ولكننى لن أخبرك، سأبقى على هذا سرًا...".

تنحنح السيد مايهيرن نحنحته المعتادة ونهض واقفًا.

قــال: "لا داعــى ولا جــدوى للإطالــة أو الإسهــاب فى هذه المحادثة. سوف أراك مجددًا بعدما ألتقى بموكلى".

فاقتربــت منــه وهى تنظــر إلى عينيــه بعينيهــا الجميلتين

الداكنتــين، وقالت: "أخبرنى، هل كنت تعتقد بصدق أنه برىء عندما أتيت إلى هنا اليوم؟".

قال السيد مايهيرن: "نعم اعتقدت".

ضحكت قائلة: " أنت رجل مسكين".

أكمل المحامى حديثه: "ومازلــت أؤمن بذلك، طابت ليلتك يا سيدتى".

خــرج المحامى مــن الحجرة، وفــى مخيلته صــورة وجهها المروّع.

قــال السيد مايهيرن لنفسه وهو يسـير فى الشارع: "سوف يكون هذا شر الأعمال!".

الأمــر كلــه غير طبيعى، امــرأة غير طبيعية، بـل امرأة فى غايــة الخطــورة؛ فالنســاء يتحولــن إلى أشرار وهــن يطعنّك بالسكين فى جسدك.

ما الذى يمكن فعله؟ إن هذا الشاب البائس لم يكن يستطيع مجرد الوقوف على قدميه، لكن بالطبع يظل هناك احتمال بأنه قد ارتكب هذه الجريمة....

ويعود السيد مايهيرن ليقول لنفسه: " لا، لا يوجد دليل قوى جــدًا ضده. لا أصدق هــذه السيدة، لقد كانـت تختلق كل هذه القصة، ولكنها لن تسردها فى المحكمة".

وتمنى لو يشعر بأنه أكثر اقتناعًا بهذه النقطة.

* * *

وفــى قسـم الشـرطة كانـت الإجــراءات، وتشكل شهــود الادعاء الرئيسيون من جانيت ماكينزى، خادمة السيدة المجنى عليها،

ورومين هيلجر، تلك الأسترالية عشيقة السجين.

جلس السيد مايهيرن واستمع إلى القصة اللعينة التى سردتها رومين؛ حيث اشتملت على كل النقاط التى شرحتها له فى المقابلة.

واحتفظ السجين بالدفاع عن نفسه وتحول للمحاكمة.

كان السيد مايهيرن على وشك أن يفقد صوابه؛ فقد كانت القضية المتهم فيها ليونارد مبهمة بشكل يفوق الخيال لدرجة أن كيه، سى ذاك المحامى الشهير الذى استشاره كان فاقدًا للأمل.

وقال فى تردد "لو أننا نستطيع أن نغير شهادة المرأة الأسترالية، ولكن هذا عمل سيئ".

لكن السيد مايهيرن ركز طاقاته فى نقطة واحدة؛ فلو افترضنا أن ليونارد فول يقول الحق، وأنه غادر منزل القتيلة فى تمام التاسعة، فمن هو الشخص الذى سمعته جانيت يتحدث إلى الآنسة فرنش فى التاسعة والنصف، بارقة الأمل الوحيدة تكمن فى ابن الأخ النذل الذى قام فى السابق بمداهنة خالته تارة وتهديدها تارة أخرى من أجل الحصول على العديد من الأموال. وعلم المحامى أن جانيت كانت مرتبطة إلى حد كبير بهذا الشاب ولم تتوقف يومًا عن الإلحاح على سيدتها لترضخ لمطالب هذا الشاب؛ فإنه لمحتمل أن يكون هذا الشاب هو الشخص الذى كان مع الآنسة فرنش بعدما غادر فول. وخاصة أنه لم يكن موجودًا وقتئذ فى أى من الأماكن التى يتردد عليها.

لكن نتائج تحليلات المحامى فى الاتجاهات الأخرى كانت سلبية؛ فلم ير أحد ليونارد فول وهو يدخل إلى منزله أو يغادر منزل الآنسة فرنش، لم ير أحد أى شخص يدخل أو يغادر منزل كريكل وود؛ ومن ثم، فإن كل التساؤلات سقطت بلا إجابة.

لكن عشية يوم المحاكمة تلقى السيد مايهيرن خطابًا وجهَ تفكيره إلى اتجاه جديد للغاية.

وصل إليه الخطاب فى بريد الساعة السادسة؛ حيث كانت كلماته تدل على أن كاتبه لا يجيد الكتابة، وكان مكتوبًا على ورقة عادية موضوعة فى مظروف متسخ ملصق عليه طابع مجعد.

تصفحه السيد مايهيرن مرة أو اثنتين قبل أن يستطيع فهم معناه.

"سيدى العزيز:

أنت الرجل المحامى الذى يدافع عن الشخص الشاب. ولو أنك تريد تلك المرأة الفاجرة أن تكشف لك عن نفسها بوضوح وعن أكاذيبها، فأت إلى شارع شوز رنت منزل رقم ١٦ الليلة. سيكلفك هذا مائتى جنيه للسيدة موجسون".

قرأ المحامى هذه الرسالة الغريبة مرارًا وتكرارًا، فربما تكون خدعة، ولكن عندما فكر فيها مليًّا أصبح أكثر اقتناعًا بكونها حقيقية، كما اقتنع بأنها الأمل الوحيد للسجين؛ فالدليل الذى تقدمه رومين هيلجر يدينه تماماً، والسبيل الذى ينبغى

علـى الدفاع أن يسلكه هو محاولة إثبـات أن تلك المرأة تنغمس فى حياة غير أخلاقية، وبالتالى تكون شهادتها غير موثوق بها، رغم أن هذا السبيل يظل ضعيفاً فى أفضل الحالات.

قرر السيد مايهيرن وعقد العزم على أنه من الواجب عليه أن ينقذ موكله مهما كانت العواقب. لابد أن يذهب إلى شوز رنت.

ولقـد وجد بعض الصعوبات فى الوصول للمكان؛ حيث كان المنزل عبارة عن مبنـى قديم آيل للسقوط فى حى فقير تنبعث منـه رائحة كريهة، ولكن على أية حال استطاع السيد مايهيرن فـى النهاية أن يصـل إلى مقصده، وعندما سـأل عن السيدة موجسون أرشدوه إلى حجـرة فى الطابق الثالث، وهناك طرق الباب ولم يرد عليه أحد؛ فطرق الباب ثانية.

وبعد أن طرق الباب مرتين سمع أصواتًا متداخلة بالداخل، وفـى هذه اللحظة فُتح الباب بحرص فتحة لا تزيد عن نصف بوصة، وانحنى شخص للخارج ليرى من الطارق.

وفجـأة ضحكـت المـرأة بصـوت خفيض؛ حيـث كان هذا الشخص امرأة، وفتحت الباب لمساحة أكبر.

قالت فى صوت ذى أزيز: "إذن، إنه أنت يا عزيزى، لا أحد معـك، أليس كذلك؟ ليس هنـاك خدعـة، أليس كذلك؟ حسناً، يمكن أن تدخل، ادخل".

وعلـى مضض تخطـى المحامى البـاب إلى داخـل حجرة صغـيرة قذرة؛ حيث كانت منقلبة رأسًا على عقب وبها مصباح يتراقص ضـوؤه، وفى جانـب الحجرة كان هنـاك سرير غير مرتـب، ومنضـدة مسطحـة للعب الـورق، وكرسيـان مكسورا

الأرجل. ولأول مـرة يرى السيـد مايهيرن بوضوح المـرأة التى استأجـرت هذه الشقـة ذات الرائحة المُنفِّـرة. كانت سيدة فى منتصـف العمـر، منحنية القامـة، وشعرها الغريـب الرمادى غير المصفف بشكل كتلة كثيفة، حيث تضع على رأسها إيشاربًا ملفوفًا بإحـكام حول وجههـا، وعندما وجدته ينظـر إلى هذا ضحكت نفس الضحكة الخافتة الغريبة.

"هـل تفكـر لماذا أخفى جمـالى يا عزيزى؟ هـا، ها، إننى أخشـى أن يكـون مصـدر إغـراء لـك، ألست محقـة؟ ولكنك سترى، سترى".

ألقت المرأة الإيشـارب جانبًا، فوجد المحامى نفسه يتراجع لا إراديًا أمام تلك المرأة الفاسقة قبيحة الهيئة.

"إذن ألا تريد أن تقبلنى يا عزيزى؟ ها، ها، إننى لا أتعجب مـن ذلك؛ فقد كنت يومًا ما فتاة جميلـة ليس منذ فترة طويلة جـدًا كما تظـن، إنه فيترول عزيزى، فيـترول هو من فعل ذلك بى. آه! ولكننى سأكون معه...".

وانفجرت بوابل من المحاولات لكن السيد مايهيرن قمعها بشدة، وفى النهاية صمتت وكانت يداها ترتعشان على نحو عصبى.

فقـال المحامى بثبات: "كفـى عن هذا، لقـد أتيت إلى هنا لاعتقادى بأنـك سوف تقدمين لى المعلومات التى من شأنها أن تبرئ موكلى ليونارد فول. أهكذا يكون الأمر؟".

فنظرت إليه شزرًا بعينين يملؤهما المكر وهمست:

"وماذا عن الأموال يا عزيزى؟ تذكرّ أنهما مائتا جنيه".

"إنـه من دواعى واجبـك أن تقدمى الدليل، ومن الممكن أن

يتم استدعاؤك لفعل ذلك".

"لـن يجدى ذلك يا عزيـزى، فأنا امرأة عجـوز ولا أعرف شيئًا ولكن إذا أعطيتنى المائتى جنيه، فربما أعطيك معلومة أو اثنتين، أتريد أن ترى؟".

"أى نوع من المعلومات؟".

"ما رأيـك فى خطاب؟ خطاب منهـا. ولا تلتفت إلى كيفية حصولى عليه؛ فهذا هو شأنى، وسوف يكون هذا الخطاب حيلة لك، ولكن أريد مائتى جنيه".

نظر إليها السيد مايهيرن فى فتور، وفكر مليًا، ثم قال: "سأعطيك عشرة جنيهات ليس أكثر، وفى حالة ما إذا كان هذا الخطاب مهمًا كما تتحدثين عنه".

فصرخت السيدة فى وجهه: "عشرة جنيهات؟".

فقال السيد مايهيرن: "عشرين، وهذه هى كلمتى الأخيرة".

ونهض كأنه سوف يغادر، وهنا وجدها تقترب منه، فأخرج حافظته وأحصى واحدًا وعشرين جنيهًا.

قـال: "أتريـن، هـذا هو كل مـا أملكـه، إمـا أن تأخذيه أو تتركيه".

ولكنه كان يعلم بالفعل أن مشهد النقود كان أكبر منها، ولن تستطيع أن تقاومه؛ فأخذت تثور فى داخلها، ولكنها فى النهاية أخذت المال.

ثـم صعـدت إلى السريـر، وأخرجـت شيئًـا مـا مـن أسفل الحاشيات الممزقة.

همهمت المرأة: "تفضل، تبًا" وأردفت: "الخطاب الذى تريده

يوجد فى مقدمة هذه المجموعة من الرسائل التى بين يديك".

كان مـا ألقتـه إليه مجموعة مـن الخطابات، وقـام السيد مايهيرن بفكها وتفحصهـا بطريقته الهادئة المنهجية المعتادة، وأخـذت تلـك المرأة تراقبـه بشغف إلا أنهـا لم تستطع أخذ أى انطباع بسبب وجهه الهادئ.

وكان يتصفح كل خطاب على حدة، ثم يعود إلى أول خطاب ليقرأه ثانية، ثم ربط المجموعة كلها مرة أخرى بحرص شديد.

كانـت هـذه الخطابـات خطابـات غرامية، كتبتهـا رومين هيلجـر، ولكـن لم يكن ليونارد فـول هو الشخصـ الذى كانت تكتب له رومـين هذه الخطابات، كمـا أن الخطاب الأخير كان مؤرخًا بنفس تاريخ اليوم الذى تم فيه القبض على فول.

قالت المرأة بصوت متقطع: "إننى كنت أتحدث إليك بصدق يا عزيزى، إن هذا الخطاب يتعلق بها، أليس كذلك؟".

وضـع السيد مايهـيرن الرسائل فـى جيبه، ثم وجـه إليها سؤالاً: "كيف حصلت على هذه المجموعة من المراسلات؟".

قالت السيدة وهى تنظر إليه فى دهاء: "هذه حكاية طويلة، ولكنـى علـى درايـة بشىء آخـر، لقـد سمعت فـى المحكمة ما قالتـه هذه الفاسقة، وأعرف أيضًـا أين كانت فى تمام الساعة العاشرة والثلث، ذاك التوقيت الذى قالت إنها كانت فى المنزل فـى حينه. اسأل فى سينما شارع ليـون رود؛ فلا بد أنهم سوف يتذكرون امرأة بهذا الحُسن، تبًا لها!".

فسألهـا السيد مايهيرن: "من هـو ذاك الرجل؟ فلا يوجد هنا سوى لقبه فقط".

ازداد صوت المرأة خشونة وغلظة وبدأت يداها ترتعشان، وفى النهاية رفعت إحدى يديها إلى وجهها وقالت: "إنه الرجل الذى فعل بى هذا منذ سنوات عدة. وقد انتزعته منى تلك الفتاة الوقحة، وعندما ذهبت خلفه لأنقذه منها صب علىّ جام غضبه! وضحكت هى، تبًا لها! ولا أزال أحمل لها هذا حتى يومى هذا. ولذلك تتبعتها، واقتفيت أثرها، وتجسست عليها، وقد صارت اليوم فى قبضتى! فسوف تعانى بسبب ذلك، أليس كذلك أيها المحامى؟ إنها سوف تعانى، أليس كذلك؟".

قال السيد مايهيرن: "ربما يُحكم عليها بالسجن لشهادتها الزور وحلفها كذبًا".

"انتهى الأمر، اذهب وافعل ذلك؛ فهذا هو ما أريد. سوف تفعل ذلك، أليس كذلك؟ أين النقود؟ أين هذه النقود العظيمة؟".

وضع السيد مايهيرن النقود على المنضدة دون أن يتفوه بكلمة؛ ثم أخذ نفسًا عميقًا والتفت مغادرًا تلك الحجرة المنفرة، وعندما التفت وراءه وجد العجوز تغنى وتدندن فرحة بالأموال.

لم يُضِع السيد مايهيرن الوقت، وعثر بسهولة على السينما التى تقع فى شارع ليون رود وأطلع ضابط الأمن الخاص بالسينما على صورة رومين هيلجر، فتعرف عليها فى الحال. كانت قد أتت فى عشية تلك الليلة الموعودة مع رجل بعد العاشرة مساءً، لكن لم يتذكر الضابط رفيقها بالتحديد، ولكنه تذكر السيدة التى تحدثت إليه عن الفيلم السينمائى الذى كان يتم عرضه، كما أنهما مكثا بعد أن انتهى الفيلم حوالى ساعة.

شعر السيد مايهيرن بالارتياح والرضا؛ فالآن تأكد أن الدليل

الذى قدمته له رومين هيلجر إنما هو سلسلة من الأكاذيب من البداية للنهاية اختلقتها بسبب كرهها له، وتساءل المحامى فى نفسه عن أسباب هذه الكراهية. ماذا فعل لها ليونارد فول؟ فلقد بدا مذهولاً عندما أخبره المحامى بحقيقة شعورها تجاهه، ورغم أنه نفى بشدة فى البداية أن يكون هذا حقيقيًا، إلا أنه بعد صدمته الأولى بدت احتجاجاته غير مقنعة.

كان السيد مايهيرن متأكدًا من أن فول يعلم ذلك، ورغم علمه لم يكن لديه نية أو رغبة فى الإفصاح عن تلك الحقيقة؛ فالسر الذى يخفيانه لم يخرج بعد إلى النور. وتساءل السيد مايهيرن عما إذا كان سيستطيع أن يتوصل يومًا إلى هذا السر.

ألقى المحامى نظرة على الساعة. كان الوقت قد تأخر؛ والوقت يمثل له أهمية كبيرة، فأوقف تاكسيًا وأعطاه العنوان، وفى أثناء ركوبه التاكسى همهم قائلاً: "لابد أن يعرف ويفهم السيد تشارلز كل شىء على الفور".

وأضحت محاكمة ليونارد فول فى تهمة قتل إميلى فرنش موضوع الساعة ومحور أحاديث الناس؛ ففى المقام الأول كان السجين شابًا حسن المظهر، وتم اتهامه فى قضية خطيرة، إلى جانب الاهتمام برومين هيلجر، الشاهد الأساسى فى القضية؛ حيث تناولتها العديد من الصحف بنشر صورها، كما أشيعت بعض القصص المختلقة التى تناولت أصولها وتاريخها.

بدأ الادعاء الجلسة بتوجيه الاتهام إلى فول فى هدوء، وأتت فى المقدمة مجموعة متنوعة من الأدلة القانونية، ثم تم استدعاء

جانيت ماكينزى، فسردت نفس القصة برمتها التى سردتها من قبل، ونجح الدفاع فى أثناء استجوابه لها بأن يجعلها تناقض نفسها مرة أو مرتين فيما يخص التقاء فول بالآنسة فرنش؛ حيث أكدت حقيقة أنها رغم سماعها صوت رجل فى حجرة الجلوس هذه الليلة، إلا أنه لم يكن هناك شىء يفيد بأن فول هو الذى كان موجودًا وقتئذ. وبذلك حاول الدفاع استحضار الشعور بأن الغيرة وكره الشاهدة للسجين كانا يشكلان القاعدة التى انطلق منها جزء كبير من دليل الشاهدة.

ثم استدعى الشاهد التالى.

"هل اسمك رومين هيلجر؟".

"نعم".

"هل أنت من أصول أسترالية؟".

"نعم".

"لقد عشت لمدة ثلاث سنوات مع المتهم، وأعلنت نفسك زوجة له، أليس كذلك؟".

التقت للحظة عينا رومين هيلجر بعينى الرجل الماثل فى قفص الاتهام، وكان تعبيرها ينم عن شىء غريب وغير مفهوم.

"نعم".

توالت الأسئلة، وبالتدريج أخذت الحقائق الشيطانية تكشر عن أنيابها؛ ففى مساء هذه الليلة خرج السجين وأخذ معه هراوة، وعاد فى تمام الساعة العاشرة والثلث، واعترف بقتله السيدة العجوز.

وكانت أطراف أكمامه ملطخة بالدماء، فقام بحرقها فى فرن المطبخ، وقام بإرهابها لكى تصمت ولا تتفوه ببنت شفة

وذلك تحت التهديد.

وتوالت أحداث القصة، وبدأ شعور المحكمة فى التحول تدريجيًا؛ حيث كان فى البداية شعورًا لصالح السجين، أما الآن فأضحى ضده على نحو مفزع؛ حتى إن السجين نفسه أحنى رأسه وملأ صدره الكآبة والحزن كما لو كان الآن قد هلك.

إلا أنه قد لوحظ أن مستشارها القانونى كان يحاول جاهدًا أن يكبح حسها العدائى؛ حيث إنه كان من الأفضل أن تظهر رومين بعيدة عن التحيز وأكثر حيادية.

وهنا نهض محامى الدفاع المزعج ثقيل الظل.

واجهها المحامى بأن قصتها لم تكن سوى اختلاق زائف من البداية للنهاية؛ حيث إنها لم تكن فى منزلها وقتئذ، وأنها على علاقة عاطفية بشخص آخر، وتعمدت أن تشهد زورًا ضد فول لتودى به إلى الموت بسبب تهمة لم يرتكبها.

وأنكرت رومين هذه الادعاءات بغطرسة متناهية. ووصلت الجلسة إلى ذروتها ليأتى الحل المدهش بظهور الخطاب، والذى أخذ المحامى يقرؤه بصوت عالٍ وسط صمت الحضور.

"حبيبى ماكس، لقد أوقعته الأقدار بين أيدينا! تم القبض عليه فى تهمة قتل، ولكن، نعم، إنه قاتل سيدة عجوز! ليونارد، الذى لا يستطيع أن يجرح حشرة طائرة! أخيرًا، سوف أثأر لنفسى، يا لهذا المسكين! سوف أقول قد أتى فى تلك الليلة، وملابسه ملطخة بالدم وهذا ما اعترف لى به. سوف أودى به إلى الإعدام يا ماكس

وعندما يتم إعدامه فسوف يعرف ويدرك جيدًا: أن رومين هى التى دفعت به إلى الموت، وعندئذ ننعم بالسعادة يا حبيبى! نحيا فى سعادة أبدية!".

وبين الحضور تواجد عدد من الخبراء الذين كانوا على أهبة الاستعداد للحلف بأن هذا الخط يخص رومين هيلجر، ولكن لم يكن هناك داع لذلك، فبمجرد أن تمت مواجهة رومين بالخطاب انهارت واعترفت بكل شىء. اعترفت بأن ليونارد فول عاد إلى المنزل فى الوقت الذى أخبر به وهو التاسعة والثلث، وأنها اختلقت كل هذه القصة لتنال منه.

وبانهيار رومين هيلجر انهارت أيضاً أدلة الادعاء، واستدعى السيد تشارلز شهوده القليلين، وقام السجين الماثل فى قفص الاتهام بسرد قصته بشكل رجولى وصريح، ولم يتأثر بالاستجواب.

وحاول الادعاء أن يستجمع قواه ولكن بلا جدوى. أما حكم القاضى فلم يكن سريعاً لصالح السجين، وإنما احتاج المحلفون إلى القليل من الوقت للتفكير فى الحكم.

"وجدنا أن المتهم برىء".

ليونارد فول برىء!

قفز السيد مايهيرن صغير الحجم من مقعده، فلا بد أن يهنئ موكله الآن.

فوجد نفسه يلمع نظارته بحماس، وعدَّل من هيئته، ولقد أخبرته زوجته عشية أمس فقط أنها أصبحت عادة له، يالغرابة تلك العادات التى يفعلها الناس، لكنهم لا يعلمون على الإطلاق أنهم يمتلكونها.

إنها قضية شيقة قضية شيقة جدًا بسبب تلك السيدة، رومين هيلجر.

لأن القضية فى نظر المحامى لا تزال حية بسبب الشخصية الغريبة لرومين هيلجر؛ ففى البداية بدت امرأة شاحبة هادئة فى منزل مادينجتون، ولكن فى ساحة القضاء ثارت واغتربت عن كل هذا الوقار والرزانة وصارت تتمايل كزهرة استوائية.

والآن يراها طويلة القامة، عنيفة، ينحنى جسدها الفاتن للأمام قليلاً، تقبض وتبسط راحة يدها اليمنى طوال الوقت.

يا لغرابة تلك العادات؛ حيث اعتقد المحامى أن تلك الإيماءات وحركة اليد عادة تميزها، إلا أنه شعر بأنه قد رأى شخصًا آخر يؤدى هذه الإيماءات وحركة اليد، من هو إذن؟ لقد رآه منذ وقت قريب أخذ نفسًا وتلفظه لاهثًا؛ حيث تذكر من هو ذلك الشخص، إنها السيدة التى تقطن شوز رنت...

وقف ساكنًا، وأخذت الأفكار تدور برأسه. هذا مستحيل مستحيل إذن رومين هيلجر كانت تمثل دور السيدة موجسون.

ظهر المستشار فجأة وربت على كتفه: "هل هنأت موكلنا بعد؟ لقد عايش محنة شديدة كما تعلم. هيا لنراه".

لكن المحامى صغير الحجم نفض يد المستشار.

كان يريد شيئًا وحيدًا فقط، أن يرى رومين هيلجر وجهًا لوجه.

لكنه لم يتمكن من رؤيتها إلا بعد مضى فترة بعد المحاكمة، وكان مكان لقائهما غير مناسب وغير لائق.

وقد قالت له عندما أخبرها بما يدور فى رأسه: "هل خمنت الوجه؟ أوه! هذا كان سهلاً للغاية، رغم أن ضوء مصابيح الغاز كانت

سيئة؛ إنها تمنعك من رؤية مساحيق التجميل التى كنت أضعها".

"ولكن لماذا... لماذا... " .

"لماذا أخذت على عاتقى الأمر بمفردى؟"، وابتسمت قليلاً متذكرة آخر مرة قالت فيها هذه الجملة.

"يا لها من كوميديا متقنة! ".

"صديقى، كان لابد أن أنقذه، والاعتماد على شهادة امرأة مرتبطة به لا يعد دليلاً كافيًا، أعلم الكثير بشأن الجوانب النفسية للناس، ومن ثم عمدت إلى أن يكون الدليل الذى أقدمه زائفاً، وبالتالى أكون وقحة فى عين القانون، وهنا يكون رد فعل القضاء فى صالح السجين على الفور".

"وماذا عن مجموعة الخطابات؟".

"كان من بينها واحد فقط هو المهم، وهو ما سميته أنت نقطة الفصل فى القضية".

"وماذا عن الرجل الذى يُدعى ماكس؟".

"لا وجود له يا صديقى!".

قال السيد مايهيرن فى حزن: "ولكننى مازلت أعتقد أننا نستطيع أن نحصل على براءته عن طريق الإجراءات المشروعة".

"لم يكن باستطاعتى أن أخاطر، فكما تعلم، لقد كنت تعتقد أنه برىء-".

قاطعها السيد مايهيرن: "وكنت تعتقدين ذلك، أليس كذلك؟ أعلم هذا".

قالت رومين: "عزيزى السيد مايهيرن، أنت لا تعلم شيئًا على الإطلاق، لكننى أعلم أنه كان مذنبًا!".

الإشارة الحمراء

اتسعت حدقتا السيدة إيفرسليه الجميلة بعينيها الجذابتين الخاليتين من التعبير فى الوقت ذاته، وقالت: "لا، ولكن يا له من أمر مثير! يقولون إن السيدات لديهن حاسة سادسة، هل تعتقد ذلك يا سيد ألنجتون؟".

تبسَّم الأجنبى الشهير فى سخرية؛ فهو يزدرى بشدة هذا النمط من الجميلات الحمقاوات أمثال رفيقته التى يستضيفها، ولقد كان ألنجتون وست رجلاً فذًا فى مجال الأمراض العقلية، كما كان معتدًا بمكانته وأهميته، وذا شخصية مهيبة.

"إن ما يثار حول هذا الموضوع ليس إلا هراء، وأعلم ذلك يا سيدة إيفرسليه، فماذا يعنى ذلك المصطلح: الحاسة السادسة؟".

"أنتم دائمًا رجال العلم ذوو طبيعة قاسية وجافة، فهناك حقاً طريقة غير مألوفة يمكن للمرء من خلالها أحياناً أن يعرف الأشياء بشكل يقينى خارق للطبيعة، أعنى أن يعرف المرء تلك الأشياء ويشعر بها، وكلير تعلم ما أقصده، أليس كذلك يا كلير؟".

وانتظرت رد مضيفتها وهى تمط شفتيها للأمام وتومئ لها بحركة بكتفها.

ولم ترد كلير ترنت فى الحال. وكان حفل العشاء هذا محدود النطاق، فلم يكن هناك سواها، وزوجها، وفيوليت إيفرسليه، والسيد ألنجتون وست، وابن أخيه ديرموت وست الذى كان صديقًا لجاك ترنت. كان جاك ترنت رجلاً بديناً إلى حد ما، نضر الوجه، ذا ابتسامة تنم عن شخص يتمتع بروح الفكاهة، وضحكته هادئة جميلة، فأخذ على عاتقه مبادرة الرد.

فقال:

"هذا هراء يا فيوليت! فقد تلقى صديقتك المقربة حتفها فى حادثة قطار، فما يكون منك إلا أن ترجعى بذاكرتك على الفور وتتذكرى أنك قد رأيت فى منامك الثلاثاء الماضى قطة سوداء، ويكون هذا رائعًا؛ حيث تتوهمين طوال تلك الفترة أن ثمة شيئًا سوف يحدث!".

"أوه، لا يا جاك، إنك الآن تخلط بين الهواجس ومشاعر البديهة. والآن، ألا ينبغى عليك الآن يا سيد ألنجتون أن تعترف بحقيقة الهواجس؟".

فرد الطبيب بحرص قائلاً: "إلى حد ما، ربما، ولكن المصادفة قد تلعب دورًا كبيرًا فى هذا الصدد، وحينئذ فإن المرء لا محالة سوف يميل إلى اختلاق القصص بعد الواقعة؛ فلابد أن تضعى هذا فى الاعتبار دائماً".

قالت كلير ترنت فجأة: "إننى لا أومن بوجود مثل هذه الأشياء التى تدعى الهواجس أو البديهة أو الحاسة السادسة، ولا بأى من هذه الأشياء التى نتحدث عنها بشكل سطحى، فنحن نخوض فى دروب الحياة كقطار ينطلق فى الظلام مندفعًا إلى مصير مجهول".

رفع ديرموت وست رأسه للمرة الأولى وشارك فى الحديث قائلاً: "هذا تشبيه ليس جيدًا يا سيدة ترنت". وكانت عيناه الزائغتان ذواتا اللون الرمادى الصافى يملؤهما لمعان يشع منهما"، وأردف قائلاً: "لقد نسيت الإشارات، تعرفين".

"أتقول الإشارات؟".

"نعم، تكون الإشارة خضراء فى حالة السلم، وحمراء فى حالة الخطر!".

"حمراء فى حالة الخطر. ياله من أمر مثير!"، هكذا تنهدت فيوليت إيفرسليه.

تحول ديرموت بنظره عنها فى ضجر، وقال:

"بالطبع هذه فقط طريقة لوصف ما تقصدينه، الخطر أمامك! الإشارة الحمراء! احذرى!".

حدّقت ترنت النظر فيه وقالت فى شغف:

"إنـك تتحدث عن هذا الأمر وكأنك مـررت به الفعل، أيها الولد العزيز، ديرموت".

"نعم أقصد هذا بالفعل".

"ارو لنا الحكاية".

"سـوف أعطيك مثالاً واحدًا. هناك فى أحد البلاد، دخلت إلى خيمتـى ذات عشية وسيطر علـىَّ إحساس قوى يصيح بى: الخطـر! انتبه! ولم يكن لدىَّ أدنى فكرة عما كان سبباً فى هذا الشعـور؛ فقمت بجولة حول المعسكر، وصحت بشكل لا داعى له وأخـذت كل الاحتياطات ضد أى هجوم مـن الأعداء، ثم عُدت إلى خيمتى، وبمجرد أن دخلت إلى الخيمة، اجتاح صدرى نفس الشعـور مرة أخـرى، ولكن هذه المـرة كان أكثر قـوة من المرة السابقـة: الخطر! وفى النهايـة أخذت بطانيـة ولففتها حولى ونمت خارج الخيمة".

"وماذا حدث بعد ذلك؟".

"فـى صباح اليـوم التالى دخلـت إلى الخيمـة، وأول شىء رأيتـه كان سيفاً طوله يصل إلى نصف ياردة وكان مرتشقاً فى سريـرى؛ حيث يخترق نفس المكان الـذى كان من المفترض أن أرقـد فيه، وسرعـان ما اكتشفت كل شىء فمـن فعل ذلك كان واحـدًا من الخـدم، كان قد قتل ولـده رميًـا بالرصاص بتهمة التجسـس. والآن مـاذا تقول يـا عمى ألنجتون فى هـذا الشأن كمثال على ما أسميته الإشارة الحمراء؟".

ابتسم الطبيب بعدم اكتراث وقال:

"إنها لقصة شائقة يا عزيزى ديرموت".

"ولكنهـا ليست بالقصة التـى يمكن أن تقبلها بغير تحفظ، أليس كذلك؟".

"نعـم، نعم. لا يوجد لدىَّ أدنى شك بأنه كان لديك هاجس يحـذرك لوجـود خطر مـا، كما قلـت بالضبط، ولكـن النقطة التـى أختلف حولها هى كيفية حـدوث ذاك الهاجس؛ فوفقًا لما تقـول يأتى الهاجس من العـدم وتكون واقعًا تحت تأثير مصدر خارجـى يؤثر على تفكيرك، أما اليوم فنجد أن كل شىء يحيط بنا إنما ينبع من داخلنا، من عقلنا الباطن".

صاح جاك ترنت قائلاً: "يـا لهذا العقل الباطن! فقد صار الآن هو المحرك لكل الأحداث".

أكمـل السيـد ألنجتـون حديثـه دون أن يكـترث بالمداخلة قائلاً: "أعتقد بشكل ما أو بآخر أن فى قصة هذا العدو خائناً. ولم يستطـع عقلـك الواعى أن يلاحظ أو يتذكـر، ولكن الوضع مختلف مع عقلـك الباطن؛ فالعقل الباطن لا ينسى أبدًا. وإننا نؤمـن أيضًا بأنه يستطيع أن يتعقل الأشياء ويستنبطها مستقلاً ومنفصلاً عن الإرادة الواعيـة أو العليا؛ فالعقل الباطن، إذن، يؤمـن بأنه من الممكن حدوث محاولة لاغتيالك، فدفع المخاوف إلى عقلك الواعى".

قـال ديرمـوت مبتسمًـا: "إننى أعـترف بـأن كلامك هذا مقنع".

قالـت السيدة إيفرسليه فى تجهم: "ولكنه ليس مثيرًا بهذه الدرجة".

وأردف السيد ألنجتون: "ومن المحتمل أيضًا أن عقلك الباطن كان على دراية بالكراهية التى يُكنها الرجل لك. فما كان يُطلق عليه فى الماضى توارد الخواطر يعد موجوداً بالفعل رغم أن أسباب حدوثه يصعب فهمها".

سألت كلير ديرموت: "هل لديك أية أمثلة أخرى؟".

"أوه، نعم، ولكنها لا تجسد الموضوع بشكل كبير، وأعتقد أنه يمكن تفسير حدوثها جميعًا فى إطار المصادفة؛ فلقد رفضت دعوة لزيارة أحد المنازل الريفية لا لسبب سوى "الإشارة الحمراء" التى كانت ترفرف فوقه، وبالفعل احترق المنزل خلال ذلك الأسبوع. بالمناسبة يا عم ألنجتون أين دور العقل الباطن هنا؟".

قال ألنجتون مبتسمًا: "معذرة، ليس هناك دور للعقل الباطن".

"ولكنك لديك تفسير جيد ومقنع، هيا قل لنا؛ فلا داعى لأن تكون مجاملاً مع الأقارب المقربين".

"حسنًا يا ابن الأخ، أرى أن سبب رفضك للدعوة منطقى وعادى، ألا وهو عدم وجود الرغبة الجادة فى الذهاب، وبعد اشتعال الحريق اعتقدت فى سريرة نفسك أنك تلقيت إنذارًا مسبقًا بوقوع أمر خطير، وهو التفسير الذى تؤمن به بداخلك".

ضحك ديرموت وقال: "لا أمل، تفوز كعادتك بحصة الأسد، ولا يبقى لى سوى القليل".

صاحت السيدة فيوليت إيفرسليه وقالت: "لا يهمك يا سيد وست، إننى أؤمن بما أسميته الإشارة الحمراء. هل كانت هذه المرة أيضاً فى الصحارى؟".

"نعم... حتى ...".

"ماذا تقول؟".

"لا شىء".

جلس ديرموت فى صمت، وكانت الكلمات التى كادت تخرج من شفتيه هى: "نعم حتى هذه الليلة"، وجاءت كلماته أشبه بأن تكون غير منطوقة ولكنها تهمس بأفكار لم يدركها الوعى بعد، ولكنه يعلم أنها ستضحى فى لحظة من اللحظات حقيقة؛ حيث كانت الإشارة الحمراء ترفرف وتحلق فى الأفق المظلم. خطر! خطر قريب!

ولكن لماذا؟ أى خطر يمكن تخيله محتمل الوقوع هنا؟ هنا فى منزل أصدقائه؟ حسنًا، نعم، كان هناك نوع من الخطر؛ فنظر إلى كلير ترنت؛ إلى صفائها، ونحافتها، والتدلى الفاتن لشعرها الذهبى، ولكن هذا الخطر سبق أن تواجد لفترة بينما كان احتمال تحققه بعيدًا؛ فجاك ترنت كان صديقه الحميم، وأكثر من صديق حميم، إنه الرجل الذى أنقذ حياته فى فلاندرز، وتم ترشيحه للفوز بقلادة لفعله ذلك. إن جاك إنسان خير بل هو واحد من أعظم الناس، تبًا لذلك الحظ السيئ الذى جعله يقع فى غرام زوجة جاك، لكنه اعتقد أنه سيتغلب على ذلك الواقع الأليم يومًا ما؛ فلا يوجد شىء يستمر فى تعذيب الإنسان للأبد، بل إن الإنسان بإمكانه التغلب

عليـه، وهذا هو الحل، يجب أن يتغلـب عليه، لكن لم يكن الأمر واضحـاً حتى تستطيع كلير أن تخمنه، أو يرد بخاطرها، وحتى لـو خمنت فلن يكون هناك خطر لأنها لـن تكترث. إنها تمثال، تمثـال جميل، شيء مـن الذهب والعاج، حليـة مرجانية وردية اللون ولكنها شاحبة... ملكة متوجة، وليست امرأة عادية...

كلـير... مجرد التفكير فـى اسمها، والنطق بـه فى صمت يؤلمـه، ولابـد أن يتخطى ذلك الألم. لقد اعتنـى واهتم بالكثير مـن النسـاء من قبـل، لكن "ليس بهـذا الحـد!"؛ حيث تتردد تلـك الجملة بداخله. حسناً، إنه حب وغـرام، لكن ليس هناك خطر، نعم ليس هناك خطر؛ إن الإشارة الحمراء لا تنذر بهذا الخطر، فربما تشير إلى شيء آخر!

نظـر حول المنضدة، ولأول مرة يخطـر بباله أن هذا اللقاء على غـير العادة يضم مجموعة معينة مـن الأفراد؛ فعمه على سبيل المثال، نادرًا ما يتناول العشاء خارج منزله بهذه الطريقة غـير الرسميـة، وحتى الزوجـان ترنت رغـم صداقته القديمة بهمـا، إلا أن ديرمونـت لم يكن يشعـر بأنه يعرفهمـا قبل تلك الليلة.

وقد تأكـد أن هناك مبررًا لمجيء السيـد ألنجتون إلى هذا العشـاء، فكان من المتوقع أن يأتى بعـد العشاء شخص مشهور للقيام بجلسة استحضار الأرواح؛ فقد اتضح أن السيد ألنجتون لديـه اهتمـام بالـغ بهـذه المعتقـدات. نعـم كان هذا مـبرراً، بالتأكيد.

فرضت هذه الكلمة نفسها على مسامعه، "مبررًا" هل كانت "جلسة استحضار الأرواح"، مبرراً لحضور شخص متخصص فى مجاله العلمى إلى حفل عشاء عادى؟ ولو كان هذا هو الأمر، فما هو الهدف الحقيقى الذى جعله يحضر هذا العشاء؟ وهكذا تدافعـت مجموعة كبيرة من الأفـكار والتفاصيل الصغيرة فى عقل ديرمونـت؛ حيث كانت تلك التفاصيل بلا أهمية ولا يجدر الالتفات إليها فى ذاك الوقت، أو كما قال عمه، لم يلتفت إليها العقل الواعى.

نظـر الطبيـب العظيـم إلى كلير أكـثر من مـرة على نحو غريب، غريـب للغاية، وبدا كأنه يراقبها. لقد أصابها تفحصه فيهـا بعدم الارتياح؛ فأخـذت تعتصر يديها فـى عصبية، لقد كانت عصبية للغاية؛ فهـل يعنى ذلك أنها كانت خائفة؟ ولماذا كانت خائفة؟

نبـذ ديرمونت تلـك الأفكار وعـاد إلى الحديـث الذى كان يدور على المنضدة، وكانت السيدة إيفرسليه تستمع إلى الرجل العظيم يتحدث حول تخصصه العلمى.

حيث كان يقول: "سيدتى العزيزة، ما هو الجنون؟ إننى أؤكد لـك أنه كلما تعمقنا فى تناول الموضوعات ازدادت صعوبة البت فيهـا؛ فجميعنا يمر بقدر لا بأس به مـن خداع الذات، وعندما يبعدنا هذا الخداعُ كثيراً عن الواقع ونعتقد أننا صرنا قياصرة روسيـا يقمعنا هـذا الواقع ويكبح جماحنا، لكـن كى نصل إلى تلـك النقطـة فإننا نمـر بطريق، والسـؤال هو: عنـد أى نقطة ينبغى علينا أن نقيم جدارًا فاصلاً ونقول إن هذا هو الصواب،

وهـذا هو الجنون؟ لا نستطيـع أن نفعل ذلك، وأقول لكم، لو أن هنـاك شخصًا يعانى مـن هذا الخداع لكنه كبـح جماح نفسه ولم يتحـدث عنه فلن يتسنّى لنـا أن نفرق بينه وبين الأشخاص العاديـين، ويعد موضوع سلامة عقل المجانـين من الموضوعات الشائقة للغاية".

رشف السيـد ألنجتون الشـراب فى تلـذذ وابتسم بابتهاج للجميع.

فأشـارت السيـدة إيفرسليـه قائلـة: "لطالما سمعـت أنهم ماكرون جدًا"، وأردفت: "إننى أتحدث عن المجانين".

"حقًـا هـم كذلـك بالفعـل، وغالبًا مـا يتسبب كبـت المرء لأوهامـه وخداعـه الذاتى فى حـدوث تأثيرات مدمـرة، وكما نعـرف من التحليـل النفسى فإن أى كبت مـن أى نوع يعد أمرًا غايـة فى الخطورة، والشخص الـذى يعانى من غرابة الأطوار بدرجـة أقل حـدة ويستطيع التعايـش معها، نـادرًا ما يتخطى حـدوده، لكن الرجل...."، ثم توقـف، وأردف قائلاً: "أو المرأة التى تبدو للجميع غاية فى العقلانية ربما تكون فى حقيقة الأمر مصدر خطر على المجتمع بأسره".

واختلـس نظـرة إلى كلير عبر المنضدة ثم عـاد بنظره مرة أخرى، وارتشف رشفة ثانية من الشراب.

وهنـا انتاب ديرمونت خوف شديد، هـل هذا ما يرمى إليه ألنجتون؟ هل هذا هو الهدف الذى يود الوصول إليه؟ مستحيل، لكن .....

تنهدت السيدة إيفرسليه قائلة: "وكل هذا إنما ينبع من كبت المرء لنفسـه، أعتقد أنه ينبغى على الإنسـان أن يكون حريصًا دائمًا على التعبير عن نفسه؛ فمخاطر الكبت تثير المخاوف".

اعترض الطبيب قائلاً: "عزيزتى السيـدة إيفرسليه، لقد أخطـأت فهـم ما أقصـده. إن سبـب الخلل يكمـن فى حدوث مشكلـة عضويـة يتعرض لها المـخ، وأحيانًا ما تنتـج عن مؤثر خارجى، مثل ضربة، وأحيانًا أخرى تنتج عن أسباب خلقية مع الأسف".

تنهـدت السيدة وقالت: "إن الأمراض الوراثية شىء محزن للغاية"، ثم أردفت: "مثل مرض السل وغيره من الأمراض".

قـال السيد ألنجتون فى اقتضاب: "إن مرض السل لا ينتقل بالوراثة".

"أحقًا؟ لطالما اعتقدت أنه ينتقل بالوراثة، لكن العته مرض وراثى! ياله من أمر مخيف، وماذا أيضًا؟".

قال السيد ألنجتون مبتسمًا: "حسنًا، وكذلك عمى الألوان، وهـو أكثر إثارة؛ فهو ينتقل إلى الذكور بشكل ظاهر ولكنه يكون متنحيًـا فى الإناث، ولذلك تجـد أن العديد من المصابين بعمى الألـوان من الرجـال، أما فى النساء فلكى تجـد سيدة مصابة بهـذا المرض فلابـد أن تكـون صفة المرض متنحية فـى الأم وظاهرة فى الأب، ومع ذلك يوجد شواذ لكل حالة، وهذا هو ما يطلق عليه صفات وراثية محددة الجنس".

"يالـه من موضـوع شائق! ولكن الجنـون يختلف عن ذلك، أليس كذلك؟".

قـال الطبيـب بوقار: "يمكـن للجنـون أن يصيـب كلاً من الرجال والنساء على حد سواء".

قفزت كليـر دافعة كرسيها للخلف فجـأة لدرجة أنه انقلب ووقع على الأرض. كان وجهها شاحبًا للغاية، وكانت الحركات العصبية لأصابعها جلية الوضوح.

وسألتـه: "إنـك لن تمكث معنا طويـلاً. أليس كذلك؟". ثم أردفت: "ستكون السيدة تومبسون هنا خلال بضع دقائق".

فصـاح السيد ألنجتون قائـلاً: "سأتناول كوبًـا واحدًا من الشـراب، وبعدها سوف أنتبه إليك. فلـم أكن لأحضر إلى هنا سوى لأرى الأداء الرائع للسيدة تومبسون. أليس كذلك؟ هاها! إننى لست بحاجة إلى...".

ثم انحنى احترامًا.

ابتسمت كلير ابتسامة تحفيز تعبر عن الشكر، وخرجت من الحجرة تتعلق يدها بذراع السيدة إيفرسليه.

عـاود الطبيـب الجلوس وأشار قائلاً: "أخشـى أن أكون قد أسهبت فى الحديث. سامحونى يا أعزائى".

فقالت ترنت فى فتور: "على الإطلاق".

بـدا ديرمونت متوتـرًا وقلقًا؛ فهـذه هى المـرة الأولى التى يشعـر فيها بأن شخصًـا ما غريبًا بصحبـة صديقته، وبينهما سـر مـا يخفيه كلاهما حتـى إنه لا يتسنى لصديـق قديم مثله أن يطلـع عليه، إلا أن الأمر كلـه بدا خياليًا ولا يمكن تصديقه. فمـا الذى يبنى عليه شكوكه؟ لا شـىء سوى نظرتين خاطفتين وعصبية امرأة.

تخلـوا عن تناول المشروبات لفـترة قصيرة، ثم اتجهوا إلى غرفة الجلوس عندما أُعلِن عن مجىء السيدة تومبسون.

كان الشخصـ الـذى أتى لعمـل جلسة استحضـار الأرواح امـرأة ممتلئة القـوام، فى منتصـف العمر، ترتـدى على نحو بغيض ثيابًا من القطيفة ذات اللون الأحمـر المشوب بالزرقة، وصوتها مرتفع.

قالت فى ابتهاج: "أتمنى ألا أكون قد تأخرت عليكم يا سيدة ترنت؛ فإن موعدنا فى التاسعة، أليس كذلك؟".

قالـت كلـير بصوتهـا النـاعـم الرقيـق: "إنـك دقيقـة فى مواعيدك يا سيدة تومبسون، وهذه هى صحبتنا الصغيرة".

لم يكـن هناك أية مقدمات للجلسـة كما جرت العادة؛ فقد قامـت السيدة الروحانية بتفحص الحضـور بنظراتها الحادة اللاذعة.

وقالـت فجأة: "أتمنى أن نحصل على نتائج مُرضية؛ فإننى لا أستطيـع أن أصـف لكـم إلى أى مـدى أكـره أن أرحل بدون تحقيـق الرضـا للناس لدرجـة أن هذا يجعلنى أفقـد صوابى، ولكننـى أعتقد أن شيروماكو (خادمـى اليابانى، كما تعلمون) سـوف يعمل على نحو جيد حتـى تسير الأمور على ما يرام هذه الليلة. أشعر بأننـى بصحة جيدة، وقد امتنعت عن أكل فطائر الجبن رغم أننى مغرمة بتناولها مع الجبن والخبز المحمص".

ومكـث ديرمونت منصتًا، إلا أنـه كان متململاً ومستاءً إلى حـد ما، فكم كان الأمر برمته مملاً ورتيبًا! لكن ألم يكن حكمه أحمق وغير صائب؟ على أية حال كان كل شىء طبيعيًا، فالقوى

التى يستدعيها الروحانيون طبيعية كما هو مفهوم إلى حد ما، فأى جراح عظيم فى هذا الوضع ربما يتخوف من حدوث عسر هضم له عشية إجراء عملية جراحية دقيقة، فلماذا لا ينتاب السيدة تومبسون مثل هذه المخاوف؟

تم ترتيب المقاعد فى شكل دائرى، وأعدت الأضواء حتى يمكن رفعها وخفضها فى سهولة ويسر لاحظ ديرمونت أنه لا مجال فى هذه الجلسة الروحانية لطرح أسئلة لاختبار كفاءة السيدة تومبسون وهو السبيل الذى يتخذه السيد ألنجتون لإرضاء نفسه وغروره، فما تقوم به السيدة تومبسون لا يعرفه أحد، ولعل ألنجتون قد تواجد هنا من أجل غرض آخر، وهنا تذكر ديرمونت والدة كلير التى ماتت بالخارج، وكان هناك بعض الأمور الغامضة بشأنها... ربما تكون الوراثة...

وبسرعة أجبر ديرمونت عقله على العودة إلى ما يحيط به من أحداث فى اللحظة الراهنة.

جلس الجميع فى أماكنهم، وانطفأت الأنوار كلها سوى مصباح واحد صغير يقع فوق منضدة بعيدة.

ولفترة قصيرة لم يكن هناك أى صوت يمكن سماعه سوى صوت الروحانية الخفيض الذى يصل إلى حد الهمسات، ثم تحول تدريجيًا إلى صوت يشبه الغطيط، وبعد ذلك انطلقت طرقة عالية فجأة فى نهاية الغرفة، وانطلقت ثانية من الجانب الآخر للغرفة، وبعد ذلك دوى صوت طرقات عدة، تعاظمت أصوات هذه الطرقات ثم تلاشت هذه الأصوات، وسرعان ما انطلقت ضحكات ساخرة تدوى فى أرجاء الغرفة، ثم ساد

الصمت المكان ولم يكسره سوى انطلاق صوت يختلف عن صوت السيدة تومبسون؛ حيث كان صوتًا رنانًا وغريبًا يتردد صداه فى الغرفة.

وقال هذا الصوت: "أنا هنا يا سادة، نعم، أنا هنا، ماذا تريدون؟".

"من أنت؟ شيروماكو؟".

"نعم، أنا شيروماكو، إننى لا أعمل منذ فترة طويلة، وسأكون سعيداً إذا عاودت العمل مرة أخرى".

ثم تلا ذلك تفاصيل أخرى عن حياة شيروماكو. كانت كلها تفاصيل سطحية وغير شيقة، وكثيرًا ما سمع بها ديرمونت من قبل. كان كل الأشخاص سعداء، سعداء للغاية، وقامت بسرد رسائل موجهة من أقارب قامت بوصفهم على نحو غامض حتى إن تلك الأوصاف كان من الممكن أن تنطبق على أقارب أى من الحاضرين؛ حيث قامت سيدة عجوز، هى أم لأحد الحاضرين بترؤس الجلسة لبعض الوقت وأخبرتهم بمجموعة من الأقوال المأثورة التى لم تكن تتوافق مع الموضوع الذى تتحدث حوله رغم حداثة بعضها.

أعلن شيروماكو قائلاً: "يود شخص آخر أن ينهض بالحديث الآن، ولديه رسالة مهمة جدًا لأحد السادة الرجال!".

سادت لحظة من الصمت، ثم شرع صوت آخر فى الحديث، وقبل الملحوظة التى سيلقيها أصدر ضحكة خافتة تنم عن صوت شرير.

"هــا هــا، هــا هــا! من الأفضل ألا تذهب للمنزل. من الأفضل ألا تذهب للمنزل. استمع لنصيحتى".

فسأل ترنت: "من الذى تتحدثين إليه؟".

"أحـد ثلاثتكـم، فإذا كنـت مكانه، فلـن أذهـب للمنزل. خطر! دماء! دماء ليست كثيرة لكنها كافية، فلا تذهب للمنزل"، وازداد الصوت خفوتًا وهو يقول: "لا تذهب للمنزل".

تلاشى الصوت تمامًـا، وانتابت ديرمونت قشعريرة تسرى فى دمه، وملأ صدره اقتناع بأنه هو الشخص المقصود. وبشكل ما أو بآخر فإن هناك خطرًا بالخارج هذه الليلة.

تنهدت الروحانية ثم تأوهـت، ثم أخذت تخطو حول دائرة الجالسين. أشعلـت الأنوار، ثم جلسـت منتصبة القامة؛ حيث كانت عيناها تطرفان قليلاً.

"هل أديت دورى جيداً يا أعزائى؟ أتمنى ذلك".

"حقًا كان هذا متقنًا، شكرًا لك يا سيدة تومبسون".

" وأعتقد أنه شيروماكو، أليس كذلك؟".

" نعم، وكذلك الآخرون".

تثاءبت السيدة تومبسون، وقالت:

"إننـى منهكـة للغايـة، فكم أرهقنـى هذا الأمـر من أجل إرضائكـم، ولكن على أية حال إننـى سعيدة بهذا النجاح، فكم كنـت خائفة من عـدم تحققه، أو حدوث شىء مـا سيئ. فلدىَّ إحساس غريب يساورنى بشأن هذه الحجرة هذه الليلة.

ألقـت تومبسـون نظرة علـى الحضور من فـوق كتفيها، ثم ارتعدت على نحو لا يبعث على الراحة، وقالت:

"لا أحـب الحديث فى مثل تلك الأمور، ولكن هل كان هناك أى حادث وفاة بين أى من أقربائكم مؤخرًا؟".

"ماذا تعنين بعبارة بين أقرباء أى منا؟".

"أعنـى هـل كان هناك وفاة لأقـارب مقربـين، أو أصدقاء حميمـين، ألم يكـن هنـاك؟ حسنًا، سأكـون أكثر إشـارة وأقول إننى أشم رائحة الموت تفوح فى هواء هذه الليلة. لكن ربما كان هـذا ينبع من هراء يعترينى، إلى اللقـاء يا سيدة ترنت، وإننى لسعيدة برضائك".

ورحلـت السيـدة تومبسون ذات الـرداء القطيفـة الأحمر المشوب بالزرقة.

قالـت كلير فى همهمة: "أتمنى أن تكون قد استمتعت بوقت رائع الليلة سيد ألنجتون".

"لقد كانت مـن أكثر الأمسيات متعـة وتشويقًا بالنسبة لى يـا سيدتـى العزيزة. أتمنى لـك قضاء ليلة سعيـدة. أنتم الآن ستذهبون جميعًا للترفيه، أليس كذلك؟".

"ألن تأتى معنا؟".

"نعم؛ إن الذهـاب للنوم فى تمام الحادية عشرة والنصف قاعـدة لا أحيـد عنهـا. طابـت ليلتـك. طابـت ليلتـك سيـدة إيفرسليه. آه! ديرمونت، أريد أن أتحدث إليك للحظة. هل تأتى معى؟ ويمكنك اللحاق بالآخرين فى جرافتون جاليريز!".

"بكل تأكيد يا عمى. إذن سوف أقابلك هناك يا ترنت".

وتبـادل العم مـع ابن أخيـه حديثًـا قصيرًا خـلال الوقت القصـير المستغـرق للوصول إلى شارع هـارلى بالسيارة؛ حيث

قدم ألنجتون لديرموت شبه اعتذار بسبب اصطحابه ومغادرته الحفل، ولكنه أكَّد له أنه لن يؤخره سوى دقائق معدودة عن العودة للحاق بهم.

وسأله أثناء نزولهما من السيارة: "أتود أن أترك السيارة لك يا صغيرى؟".

"أوه، لا يشغل بالك ذلك الأمر يا عمى؛ فسوف أستقل تاكسيًا عند عودتى".

"حسنًا فأنا لا أود أن أبقى تشارلسون مستيقظًا لوقت متأخر أكثر مما ينبغى. طابت ليلتك يا تشارلسون، والآن أين المفتاح؟".

وتحركت السيارة حثيثًا بينما وقف السيد ألنجتون على درجات السلم الأمامية لباب المنزل يفتش فى جيبه عن المفتاح بلا جدوى؛ فقال بعد فترة من البحث والتفتيش عنه:

"لابد أننى قد تركت المفاتيح فى المعطف الآخر، أيمكنك أن تدق الجرس؟ ربما يكون جونسون مازال مستيقظًا".

فقام جونسون الهادئ بفتح الباب خلال ستين ثانية.

وشرح له ألنجتون سبب دقه الجرس قائلًا: "لقد نسيت مفتاحى فى معطف آخر يا جونسون، أيمكنك أن تحضر لى الشراب إلى حجرة المكتبة؟".

"حسنًا سيد ألنجتون".

وأسرع الطبيب بالدخول إلى المكتبة وأضاء المصابيح، وأشار لديرموت بإغلاق الباب وراءه بعد الدخول.

وقال: "لن أبقيك طويلاً يا ديرمونت، ولكن هناك أمرًا أريد أن أتحدث إليك بشأنه. هل أنت حقًا تكن مشاعر رقيقة تجاه زوجه جاك ترنت أم أننى أتوهم ذلك وليس هذا حقيقيًا؟".

اضطرب ديرمونت، وقال: "إن جاك ترنت صديقى الحميم".

"معذرة، ولكنك لم تجبنى عن السؤال الذى أرمى إليه. إنك تدرك آرائى فيما يتعلق بالطلاق وغيره من الأمور التى لا يجب الوقوع فيها، وينبغى علىَّ أن أذكرك بأنك أقرب الأقربين إلىّ وبالتالى، فإنك وريثى الوحيد".

فرد ديرمونت غاضبًا: "لن يحدث ذلك؛ فالمسألة بعيدة كل البعد عن الطلاق".

"نعم بالتأكيد، لسبب أعرفه أكثر منك، لكن لا أستطيع أن أطلعك على هذا السبب الآن، ولكننى أود أن أخبرك، بأن كلير ترنت لا تصلح لك".

لم يتأثر الشاب بنظرات عمه التى أخذت تحدق فيه، بل واجهها بثبات قائلاً: "ولكننى أعى وأدرك كل شىء، بل ربما إذا سمحت لى أكون أفضل منك فهمًا، فإننى أعرف سبب حضورك إلى حفل العشاء الليلة".

"ماذا!؟" حيث بدت الدهشة على الطبيب بوضوح وقال له: "كيف عرفت ذلك؟".

"يمكنك أن تسميه تخمينًا يا سيدى، وإننى محق عندما أقول إنك تواجدت هناك بصفتك طبيب أمراض نفسية".

راح السيد ألنجتون يذرع الحجرة جيئة وذهابًا وقال:

"إنك محق تمامًا يا ديرمونت، ولم أكن أستطيع أن أخبرك ذلك بنفسى، رغم أننى أخشى أن يعرف الجميع هذا".

خفق قلب ديرمونت، وقال:

"أتقصد أنك تأكدت من وجود حالة جنون؟".

"نعم، هناك حالة جنون فى العائلة. من جانب الأم، حالة مؤسفة حقًا، بل محزنة للغاية".

"لا أستطيع أن أصدق ذلك يا سيدى".

"كنت أود أن أنفى وجود هذه الحالة، ولكن الرجل العادى لا يمكنه ملاحظة سوى القليل من الأعراض التى تظهر".

"وبالنسبة للخبير؟".

"بالنسبة للخبير، فالدليل على وجود المرض قاطع، وفى هذه الحالة لابد أن يخضع المريض للملاحظة والمراقبة فى أسرع وقت".

التقط ديرمونت أنفاسه متعجبًا: "يا إلهى، ولكن لا يمكن تقييد حرية شخص لا يلقى بأى ضرر على أحد على الإطلاق".

"عزيزى ديرمونت؛ إن تلك الحالات توضع فى مصحات، عندما يكون مجرد تواجدها مصدر خطر على المجتمع".

"إن هذا الخطر شديد، وهناك احتمال بوجود شكل من أشكال الهوس أو الرغبة الشديدة فى الانتحار؛ فحالة الأم كانت كذلك".

أدار ديرمونت وجهه عن عمه وألقى به بين راحتيه وقال متأوهًا:

"كلير، الشقراء كليرا".

فأكمل الطبيب حديثه فى هدوء قائلاً: "فى هذه الظروف، أشعر بأنه من الواجب علىّ أن أحذرك".

همهم ديرمونت: "كلير، أيتها المسكينة كلير".

"نعم، حقًا، إننا جميعاً نشفق عليها".

وفجأة رفع ديرمونت رأسه وقال:

"أنا لا أصدق هذا".

"ماذا؟".

"قلت إننى لا أصدق هذا؛ فأحيانًا ما يخطئ الأطباء، والكل يعرف ذلك، كما أنهم دائمًا يسعون إلى محاولة إثبات كفاءتهم وتميزهم".

صاح السيد ألنجتون فى وجهه غاضبًا: "عزيزى ديرمونت".

"أقول لك إننى لا أصدق ما تقوله، وحتى إن كان حقيقة، فأنا لا أكترث به، إننى أحب كلير، ولو أتت معى فسوف آخذها بعيدًا، بعيدًا عن متناول الأطباء متوسطى المهارة والكفاءة، سوف أقوم بحمايتها، ورعايتها، سوف أظلها بحبى".

"لن تفعل أى شىء من هذا القبيل. أمجنون أنت؟".

فضحك ديرمونت استهزاءً وقال:

"كنت أعلم أنك ستقول هذا".

فرد عليه السيد ألنجتون بوجه يعلوه احمرار عاطفة مكبوتة:

"تفهم ما أقوله لك يا ديرموت، لو فعلت هذا الأمر ـ هذا الأمر المشين ـ فسوف تكون تلك هى النهاية. سوف أجردك من الإرث الذى أجعله الآن بين يديك، وسوف أقوم بكتابة وصية أخرى أترك بمقتضاها تبرعات بكل ما أملك إلى عدة مستشفيات".

فقال ديرموت فى صوت خفيض: "افعل ما شئت بأموالك اللعينة؛ فسوف أتزوج المرأة التى أحبها".

"المرأة الـ ...".

فصرخ ديرموت: "لو تفوهت بكلمة تهينها، فسوف أقتلك".

وجاء صوت اصطكاك الزجاج فينتبه كلاهما ويتوقفان عن الحديث؛ حيث يدخل جونسون إلى حجرة المكتبة ومعه أكواب الشراب الزجاجية؛ حيث لم يسمعاه بسبب جدالهما المحموم. لقد كان هدوء وجهه ينم عن خادم مخلص، ولكن ديرموت تساءل عن مدى ما سمعه من حديثهما.

قال السيد ألنجتون بلطف: "حسنًا، جونسون، يمكنك الذهاب للنوم الآن".

"أشكرك يا سيدى، طابت ليلتك سيدى".

وانصرف جونسون.

نظر كلاهما إلى الآخر حيث قلَّ التوقف للحظات من حدة حديثهما.

فقال ديرموت: "عمى، أعلم أنه لم يكن ينبغى علىّ أن أتحدث إليك هكذا، وإننى أرى أنك محق فى ضوء وجهة نظرك، ولكننى

أحب كلير منذ أمد بعيد. ولكن لأن جاك صديقى الحميم كنت لا أستطيع مجرد الحديث إليها والإفصاح لها عن ذلك الحب، لكن فى هذه الظروف لا ينبغى أن أضعه فى الحسبان؛ فمن السخيف أن أضع فى الاعتبار أى ظروف عابرة، وأعتقد أننا تحدثنا بما يكفى فى هذا الصدد. طابت ليلتك".

"ديرموت ـ".

"لا داعى حقًا للخوض فى المزيد. طابت ليلتك، عمى ألنجتون. معذرة ولكن هذه هى حقيقة الأمر".

وخرج بسرعة مغلقاً الباب خلفه. كانت الصالة مظلمة، ومرَّ خلالها وفتح الباب الأمامى للمنزل، مندفعًا نحو الشارع بعد أن صَفَق الباب خلفه.

فى هذه اللحظة كان هناك تاكسى يقف لنزول راكب عند منزل يقع فى الشارع فلوَّح إليه ديرموت، وانطلق به إلى جرافتون جاليريز. توقف ديرموت للحظة عند باب غرفة الرقص مرتبكًا تدور الأفكار فى رأسه.

حيث تدور موسيقى الجاز الصاخبة، والنساء المبتسمات؛ فقد بدا له الأمر كأنه ذهب إلى عالم آخر.

هل جال بخاطره أن يحدث كل هذا؟ إن الأمر يصعب تخيله، وكان من المستحيل أن يدور بينه وبين عمه الحديث بتلك الشراسة والتجهم، ومرت بمحاذاته كلير مثل زهرة السوسن فى ردائها الأبيض الفضى الذى يلائم جمال جسدها النحيل، وابتسمت له بوجهها الهادئ الصافى. حقًا كان هذا كله حلمًا.

توقف الرقص، والآن هى بالقرب منه تبتسم له، وكما يحدث فى الأحلام، طلب منها أن تجلس معه.

قالت: "إن لم يكن لديك مانع. هل بإمكاننا الذهاب إلى أى مكان هادئ؛ حيث يمكننا الحديث معًا؟ فهناك شىء أريد أن أخبرك به".

لا لم يكن هذا حلمًا، بل عاد إلى الواقع واصطدم به. فهل استطاع أن يفكر فى وجهها الهادئ الصافى؟ لقد كان يعتريه القلق والفزع، فإلى أى مدى تعرف بحقيقة أمرها؟

ووجدا مكانًا هادئًا فى أحد أركان الغرفة؛ فجلسا فيه جنبًا إلى جنب.

وقال ديرموت بوجه مشرق زائف: "حسنًا، لقد قلت إنك تريدين التحدث فى أمر ما".

"نعم"، هكذا ردت كلير وعيناها منخفضتان فى حزن، وهى تعبث فى فستانها، ثم أردفت تقول: "إن هذا صعب إلى حد ما".

"أخبرينى يا كلير".

"إن الأمر بسيط. أريدك أن ... أن ترحل بعيدًا لبعض الوقت".

اندهش ديرموت؛ فمهما توقع لم يكن مطلقًا يتوقع مثل ذلك الطلب.

"أتريديننى أن أرحل؟ لماذا؟".

"إنه من الأفضل أن نكون أكثر صراحة وصدقًا، أليس كذلك؟ فأنا ... أنا أعلم أنك رجل لطيف. وأريدك أن ترحل

بعيدًا لأننى ... لأننى أطلقت لنفسى العنان فأحببتك".

"كلير!".

إن كلماتها جعلته يصمت عاجزًا عن التفوه.

"أرجوك ألا تعتقد أننى تلك المرأة المغرورة التى تخيل نفسها أنك ... أنك من المحتمل أن تقع فى حبها، ولكن ليس الأمر سوى أننى سعيدة جدًا ... وإننى ... أوه! أود منك أن ترحل بعيدًا".

"كلير، ألم تعلمى أننى كنت مهتمًا بك ... مهتمًا بك بدرجة بالغة، منذ أن قابلتك؟".

رفعت كلير عينيها الشاردتين إلى وجهه، وقالت:

"أكنت مهتمًا بى؟ أكنت مهتمًا لفترة طويلة بى؟".

"منذ بدء معرفتى بك".

فصاحت: "أوه! ولماذا لم تقل لى؟ وماذا بعد؟ بعد أن أتيت إليك وصرحت لك بهذا! فلماذا تخبرنى الآن، بعد أن فات الأوان. لا، إننى أفقد صوابى، ولا أدرى بما أقوله، ليتنى لم أصرح لك".

"كلير، ماذا تقصدين بـ "الآن قد فات الأوان؟" هل ذلك بسبب عمى؟ ما الذى يعرفه؟ ما الذى يظنه؟".

أومأت فى صمت والدموع تنجرف وتسيل على وجهها.

"أصغى إلىّ يا كلير، لا ينبغى عليك أن تصدقى أيًّا من هذا، ولا ينبغى أن تفكرى فيه. بل لتأتى معى إلى سوث سيز، إلى الجزر التى تشبه اللآلئ الخضراء، ستكونين سعيدة هناك، وسوف أعتنى بك وأقوم بحمايتك للأبد".

"أوه، لا مـن فضلك، ألا ترى كل هؤلاء؟ لا أستطيع أن أفعل ذلـك الآن. فسـوف يكون ذلك وضيعًا ـ وضيعًـا. فلطالما وددت أن أكـون امرأة قويمة الخلـق، والآن ... يبقى فعل ذلك وضيعًا أيضًا".

فجعلته كلماتها يرتبـك ويتردد؛ فأخذت تنظر إليه نظرات تسترق العطف.

وقالت:" من فضلك، ينبغى أن أكون حسنة .... ".

فنهض ديرموت ورحل عنهـا دون أن يتفوه بكلمة؛ فقد آلمته كلماتهـا وتأثر بها، وتوجـه ليأخذ قبعته ومعطفـه مسرعًا نحو ترنت.

"أهلاً ديرموت، هذا وقت مبكر جدًا لرحيلك".

"نعم، ولكننى فى حالة مزاجية سيئة".

قـال ترنت فى حزن: "إنهـا ليلة سيئة، ولكنك لا تعانى مما أعانيه من المشكلات".

دب فـى قلب ديرموت الذعر خشية أن يأتمنه ترنت على ما بداخله؛ فهو لا يريد ذلك ... إلا ذلك!

وقال فى عجلة: "حسنًا، على أية حال، سأتوجه للمنزل".

"المنزل؟ وماذا عن تحذيرات الأرواح لنا؟".

"سوف أخاطر. طابت ليلتك يا جاك".

تقـع شقـة ديرموت علـى مقربة من المـكان؛ فذهـب إليها سائـرًا على قدميه عسى أن تهدئ برودة الليل من حرارة رأسه الملتهبة بالأفكار.

فتح باب الشقة بمفتاحه وأضاء حجرة نومه.

وفـى الحال انتابه للمرة الثانيـة نفس الشعور بأن القدر قد اختاره ليكون فريسة لما تنم عنه الإشارة الحمراء، وسيطر عليه ذلك الشعـور لدرجة تلاشى معها الالتفـات إلى كلير والتفكير فيها.

خطـر! إنـه فى خطـر، فى هـذه اللحظـة ذاتها، فـى تلك الحجرة، هو فى خطر.

وحـاول أن يسخر مـن تلك الأحاسيس التـى تنتابه ليتحرر مـن هذه المخاوف، ولكن بلا جدوى؛ ربمـا لأن محاولاته لإبعاد شبـح تلك المخاوف لم تكن صادقة. وعلى أية حال فإن الإشارة الحمـراء لاحت له بتحذير فى الوقت المناسب تمكنه من تجنب وقوع كارثة. سخر قليلاً من مخاوفه وأوهامه وتجول فى الشقة؛ فربما يكون أحد الأشرار تمكن من التسلل إلى الشقة والاختباء بهـا، ولكن لم يكشـف البحث عن وجـود أيـة أشخاص، وحتى خادمه ميلسون لم يكن بالشقة، وكانت الشقة خالية تمامًا.

فعاد إلى حجرة نومه وخلع ملابسه بهدوء، ولكن الإحساس بالخطـر لم يهدأ، بل كان أكثر حدة، فذهـب إلى الدرج ليأخذ منديـلا، وفجأة تصلب فى مكانه وتجمدت حركاته؛ حيث وجد فى منتصف الدرج كتلة غريبة؛ شيئًا ما صلبًا.

ألقـت أصابعـه المرتعشة المناديـل جانبًا بسرعـة وعصبية وتناول الشىء المختبئ؛ لقد كان مسدسًا.

غمـر ديرموت شعـور بالدهشـة؛ فأخذ يتفحص المسدس بحرص وعنايـة. كان من طراز غـير مألوف. وقـد تم إطلاق رصاصـة منه مؤخرًا، ولم يتمكـن ديرموت من معرفة أى شىء

سوى ذلك. لقد قام شخص ما بوضعه فى الدرج هذا المساء؛ حيث إنه لم يكن موجودًا حين كان يرتدى ملابسه ليخرج للعشاء.

إنه متأكد من ذلك.

وكان على وشك إعادته للدرج عندما فوجئ بجرس الباب يدق، وأخذ يدق مرارًا وتكرارًا وصوته يدوى ويرتفع فى أجواء الشقة الهادئة الخالية.

من يا ترى يأتى إلى الشقة فى تلك الساعة المتأخرة، ولم يجد لهذا السؤال سوى إجابة واحدة؛ إجابة تلقائية وحتمية.

"خطر خطر خطر..."

دفع ديرموت هاتف بداخله لأن يطفئ الأنوار ويرتدى بسرعة معطفًا فوق ملابسه كان يوجد على كرسى، ثم فتح باب الصالة.

كان يقف خارج الشقة رجلان لاحظ ديرموت من خلفهما وجود شخص فى رداء أزرق. إنه ضابط شرطة!

"هل أنت السيد وست"؟ ،هكذا سأل أقرب الرجلين للباب.

شعر ديرموت بأن عهودًا قد انقضت قبل أن يلفظ بالإجابة، ولكن فى حقيقة الأمر لم ينقض سوى ثوان قبل أن يجيب عن السؤال مقلدًا صوت خادمه غير المعبر قائلاً:

"لم يعد السيد وست بعد. ماذا تريدون منه فى ذلك الوقت المتأخر من الليل؟".

"ألم يأت بعد؟ حسنًا، إذن أعتقد أنه من الأفضل أن ندخل وننتظره".

"لا، لا يمكنكم فعل ذلك".

"انظر هنا أيها الرجل، أنا أُدعى المفتش فيرال من شرطة سكوتلاند يارد ولدىّ تصريح بالقبض على سيدك. يمكنك أن تراه إذا أحببت".

تمعن ديرموت الورقة التى قدمها له رجل الشرطة، أو تظاهر بفعل ذلك، وسأل فى صوت خفيض يعبر عن الدهشة:

"بأى تهمة؟ ماذا فعل؟".

"بتهمة القتل، لقد قتل السيد ألنجتون وست الذى يقطن شارع هارلى".

أصيب ديرموت بدوار فى رأسه، وتقهقر أمام زائريه الذين صعدوا من روعه. وتوجه إلى غرفة الجلوس وأضاء النور فتبعه الضابط.

التفت الضابط إلى الرجل الآخر وقال له: "فتش المكان"، ثم التفت إلى ديرموت، وقال: "امكث هنا أيها الرجل، لن تتمكن من التسلل لتحذير سيدك. بالمناسبة، ما اسمك؟".

"ميلسون يا سيدى".

"ما الوقت الذى تتوقع أن يعود فيه سيدك يا ميلسون؟".

"لا أعلم، يا سيدى؛ فقد كان متوجهًا إلى حفلة، أعتقد أنها فى جرافتون جاليريز".

"لقد غادرَ الحفل منذ أقل من ساعة. أحقًا لم يعد بعد إلى هنا؟".

"لا أعتقد ذلك يا سيدى؛ فلو كان هنا لكنت سمعت صوته أثناء دخوله إلى المنزل".

وفى هذه اللحظة خرج الرجل الآخر من الحجرة المجاورة حاملاً المسدس فى يده، ومر به إلى الضابط فى دهشة، بينما اعتلى الشعور بالرضا وجه هذا الأخير.

تسلل قائلاً: "بهذا يتضح كل شىء؛ فمن المؤكد أنه انسل إلى المنزل وخرج دون أن تشعر به، ولقد قام بدسه هنا منذ دقائق معدودة. ينبغى علىَّ أن أذهب الآن. ابق أنت هنا يا كاولى، فربما يعود ثانية. ولا تغفل عيناك عن هذا الرجل، فربما يعلم عن سيده أكثر مما يتظاهر به".

انطلق الضابط بسرعة، وحاول ديرموت أن يفهم من كاولى تفاصيل الأمر، وكان هذا الأخير على أهبة الاستعداد للحديث والثرثرة.

فبادر بالإجابة قائلاً: "إنها لقضية واضحة للغاية؛ فقد تم اكتشاف القاتل فى الحال. فعندما أحس جونسون، الخادم، بصوت طلقة رصاصة، صعد على الفور إلى غرفة النوم، ثم هبط السلالم ثانية عندما وجد السيد ألنجتون جثة هامدة، إثر رصاصة أطلقت على صدره، فاتصل بنا فى الحال وأتينا، وسمعنا قصته".

فتجرأ ديرموت وقال: "وما الذى يجعلها قضية واضحة للغاية؟".

"بالطبع، فلقد أتى هذا الشاب الذى يدعى وست مع عمه، واندلع بينهما شجار سمعه جونسون عندما أحضر لهم الشراب، وكان الرجل العزيز يهدده بكتابة وصية جديدة بينما كان سيدك يتحدث عن شروعه لقتله رميًا بالرصاص، ولم

تنقض خمس دقائق حتى تم سماع الرصاصة. أوه! نعم، واضح للغاية؛ إنه ذلك الولد الأحمق".

هذا واضح حقًا. لقد خفق قلب ديرموت وارتعدت فرائصه؛ حيث أدرك أن الدليل المقدم ضده دامغ ولا يمكن دحضه أو تفنيده بسهولة. إنه خطر حقًا خطر فظيع! ولا مناص للنجاة من وقوعه وتحققه؛ فأطلق العنان لفطنته ودهائه لحل تلك الأزمة. ولم يكن منه فى هذه اللحظة إلا أن اقترح عمل فنجان من الشاى فلاحقه كاولى بالموافقة حيث إنه تفقد الشقة وعلم أنه لا يوجد بها باب خلفى.

سمح الرجل لديرموت بالذهاب إلى المطبخ، وبمجرد أن دخل إلى المطبخ وضع غلاية الشاى على النار، وبعد أن جعل الفناجين ترتطم وتصطك بالصحون تسلل بهدوء إلى النافذة، ورفع الإطار الخاص بالنافذة. كانت الشقة بالدور الثانى، وكان يوجد خارج النافذة مصعد صغير كهربائى يستخدمه العمال فى الصعود والهبوط على قضيبه المعدنى.

وفى سرعة البرق قفز ديرموت خارج الشباك، وانتقل بالتدلى بواسطة الحبل السلكى لأسفل المنزل، ورغم تسبب السلك فى جرح يديه اللتين أخذتا تنزفان، إلا أنه استمر فى الهبوط بصعوبة.

وبعد دقائق معدودة أخذ يتلصص من خلف المبنى، وبعد أن اتجه إلى الركن الآخر للمبنى تظاهر فى هيئة شخص يقف بمحاذاة رصيف المشاة. وللدهشة التى تجاوزت كل الحدود وجد أمامه جاك ترنت وكان جاك ترنت على دراية كاملة

بخطورة الموقف.

"يا إلهى! ديرموت، أسرع، لا تتسكع".

شـد ترنت من ذراعـه وأسرع به من شـارع إلى شارع، ولم يجـدا سوى سيارة أجـرة وحيدة، لوحا لها، وقفـزا إليها وأمر ترنت السائق بالتوجه إلى عنوانه الشخصى.

قال ترنت: "إن هذا هو المكان الأكثر أمانًا فى تلك اللحظة؛ فهنــاك نتمكن من تحديد ما ينبغى فعلـه فيما بعد لكى نقضى علـى تلـك الحماقـات، ولقد أتيـت إلى هنـا آمـلاً اللحاق بك وتحذيـرك قبـل أن يصل رجـال الشرطة، ولكـن كان قد فات الأوان".

"لم أكن أعرف أنك سمعت بهذا، جاك أنت لا تصدق".

" الطبع لا أصدق ذلك، يا صديقى العزيز، ولا حتى للحظة واحـدة؛ فأنا أعرفك حـق المعرفة، وعلى أية حـال، فهذا عمل بغيض، بعيد كل البعد عن أن تكون أنت مرتكبه. وقد أتى إلينا رجال الشرطة ووجهوا إلينا أسئلة مثل: متى جاء إلى جرافتون جاليريـز ومتى غادر؟ إلخ. ديرموت مـن تعتقد يكون الشخص الذى فعل ذلك بصديقى العزيز؟".

"لا أستطيع أن أتخيل أو أشك فى أحد، فأيًا من كان الفاعل يتبقى هناك حقيقة تواجد المسدس فى درجى، والذى أعتقد أنه وضعه هو بنفسه، ولابد أن يكون هذا الشخص يرصد تحركاتنا ويراقبنا عن قرب".

"لقـد ضرب بـكلام الوسيطـة الروحانية عرْضَ الحائط عندمـا قـال: "لا تذهب للمنزل"؛ حيث كانـت تقصد بكلامها

وسـت المسكـين. لكنـه ذهـب للمنـزل، وتم إطـلاق الرصاص عليه".

قـال ديرموت: "وقد انطبق علىّ أيضًا فقد عدت إلى البيت لأجد مسدسًا مدسوسًا وشرطيًا منتظرًا".

قـال ترنت "حسنًا، آمل ألا ينال منـى أيضًا كلام الوسيطة الروحانية"، ثم توجه للسائق وقال:" سوف ننزل هنا".

دفـع ترنت للسائق أجرته وفتح البـاب وقاد ديرموت لأعلى عـبر السـلالم المظلمة؛ حيث يوجـد وكره الذى هـو عبارة عن حجرة صغيرة فى الطابق الأول.

دفـع ترنت الباب ليدخل ديرمـوت، بينما أضاء ترنت النور ثم ذهب إليه ليجالسه وأشار قائلاً: "فى مثل ذلك الوقت يكون هذا المكان هو الأكثر أمانًا، والآن يمكننا التفكير لتحديد أفضل ما يمكن فعله فى هذا الشأن".

قـال ديرموت فجـأة: "لقد أخطـأت فى حـق نفسى، فكان ينبغى علـىّ أن أواجه الموقـف بشجاعة وأقاوم بجـرأة. الأمور كلهـا تتكشـف لى الآن، ولم يكن هـذا كله سـوى مؤامرة. ماذا يدفعك إلى الضحك إذن؟".

كان ترنـت يتأرجـح مائلاً بكرسيـه للوراء، يغمـره مرح لا حدود لـه، وتخلل صوته شىء مرعب. وكان هناك شىء مرعب أيضًـا بشأن ذاك الرجـل بشكل عام، وسـاد عينيه بريق مثير للتساؤل والشغف.

قال ترنت فى لهفة: "إنها لمؤامرة دنيئة محكمة تم التخطيط لها ضدك يا ديرموت"، وجذب الهاتف نحوه.

سأل ديرموت: "ماذا ستفعل؟".

"سأجرى مكالمة إلى شرطة سكوتلند يارد، وأخبرها بأن الطائر قد تم الإيقاع به فى القفص بأمان، نعم، لقد أغلقت الباب بالمفتاح حين دخلت ووضعته فى جيبى. ولا تبن آمالاً على الباب الذى خلفى؛ فإنه يؤدى إلى حجرة كلير، ودائمًا ما تغلقه بالمفتاح وراءها؛ فهى تخافنى، كما تعلم، تخافنى منذ أمد بعيد. وهى تعلم جيدًا متى أتجه للعنف وأفكر فى اللجوء للسكين. سكين حادة طويلة السن. لا، فلن تضطرنى لهذا .".

وكان ديرموت على وشك أن يهجم عليه عندما قام الآخر بإخراج مسدس ذى منظر قبيح.

وضحك ضحكة خافتة، وقال: "هذا هو المسدس الثانى؛ فلقد وضعت الأول فى درجك بعد أن أطلقت منه الرصاص على عمك، ما الذى تنظر إليه فوق رأسى؟ أهو الباب؟ لا قيمة لهذا الباب، وحتى لو همت كلير بفتحه لك وإنه لمن المتوقع أن تفعل ذلك من أجلك فسوف أطلق عليك الرصاص قبل أن تدلف إليها، ولن أطلق الرصاصة إلى قلبك. ولن أقتلك، وإنما سأصيبك فقط، حتى لا تتمكن من الهرب. وأنت تعلم أننى مصوب جيد إلى حد بعيد. لقد أنقذت حياتك مرة، وكم كنت أحمق فى هذا. لا، لا؛ فأنا أريد إعدامك، نعم، إعدامك. فليس أنت الشخص الذى أستخدم معه السكين. بل إنها كلير كلير الجميلة، الصفاء والرقة ويعرف العجوز وست هذا. وهذا أيضًا هو سبب مجيئه إلى العشاء هذه الليلة؛ ليتأكد مما إذا كنت مجنونًا أم لا. وكان يريد أن يبعدنى بعيدًا حتى لا أقتل

كلير بالسكين، ولكننى كنت بعيد الدهاء والمكر. أخذت مفتاح منزله ومفتاحك، وتسللت من الحفل فور وصولنا إلى جرافتون جاليريز ورأيتك خارجًا من منزله، فدخلت وأطلقت عليه الرصاص وفررت على الفور، ثم توجهت إلى منزلك وتركت المسدس هناك، وعدت إلى جرافتون جاليريز بمجرد وصولك أنت أيضًا إلى هناك، ووضعت المفتاح فى جيبك مرة أخرى عندما كنت تودعنى. ولا أبالى بتصريحى لك بكل هذا؛ فلا يوجد أحد آخر يمكنه سماعنا، ولكن عند تنفيذ عقوبة الإعدام ضدك أود أن تكون على دراية بأننى الفاعل الحقيقى ... يا إلهى، يثير هذا الأمر ضحكى! فيم تفكر الآن؟ أى الطرق الشريرة يمكنك اللجوء إليها؟".

"إننى أفكر فى كلمات أقتطفها من عبارات المرأة الروحانية: من الأفضل يا ترنت ألا تعود إلى المنزل".

"ماذا تقصد؟".

"انظر خلفك!". استدار ترنت، فإذا به يجد كلير والمفتش فيرال واقفين على باب الغرفة التى تصل إلى الغرفة التى يتحدثان بداخلها.

ووقع ترنت بمحاذاة المنضدة الموضوعة فى مقدمة الحجرة، فانطلق رجل الشرطة نحوه بينما أخذ ديرموت يحدق فى كلير وشعر كأنه يحلم، فارتطمت برأسه الأفكار المتضاربة؛ عمه، شجارهما، سوء الفهم الهائل، قوانين بريطانيا المتشددة بشأن الطلاق، التى لن تحرر كلير من زوج مختل عقليًا - "ينبغى علينا جميعًا أن نشفق عليها"، وأيضًا الحيلة التى خططت لها

هـى والسيد ألنجتـون والتى استطاع ترنـت بدهائه اكتشافها، وكذلك بكاؤها له.

"قبيح قبيح، قبيح!" نعم، ولكن الآن...

وقف الضابط ثانية واعتدل.

وقال فى غضب: "مات"

وجـد ديرمـوت نفسـه يقـول: "نعـم، كان دائمًـا مصوبًـا جيدًا"...

www.liilas.com/vb3
uploaded and
scanned by:
THE GHOST 92

الرجل الرابع

خفـق قلب رجل الدين برافيت بسرعة وتلاحقت أنفاسه قليلاً؛ فملاحقتـه للقطارات لم تكن أمرًا مناسبًا لرجل فى مثل سنه، وأحد أسباب ذلك هوفقده لرشاقته وازدياد وزنه بصورة بالغة، ممـا أدى بدوره إلى حدوث قصور فى عملية التنفس، وهذا هو مـا اعتاد رجل الدين على الإشارة إليـه فى كبرياء قائلاً: "إنه قلبى، كما تعلم!".

وانطرح إلى جانب عربة الدرجة الأولى فى تنهيدة لالتقاط الأنفاس؛ حيث كان دفء العربة وحرارتها ملائمـين له، أما خـارج العربة فـلا يوجد سوى الجليد المتساقـط. إنه لمحظوظ حقًا لأنه وجد مقعـدًا جانبيًا فى قطار رحلة طويلة ليلية كهذه، وإلا فإنـه كان سيصـير تعيسًـا لـو لم يجد، ومـن المفترض أن

يتواجد فى هذا القطار حجرة بها أسرة للنوم.

كانت الأركان الثلاثـة الأخرى مشغولة، وبعدما ألقى نظرة عجلـى وأدرك حقيقـة انشغـال الأركان الثلاثـة الأخرى، فإذا بـه يدرك أيضًـا أن شخصًا ما فى الجانب البعيـد يبتسم إليه ابتسامـة تنم عن المعرفة السابقـة. كان رجلاً حليق اللحية، ذا وجه ينم عن شخصية ساخرة، وشعر يشوبه اللون الرمادى من الجانبـين فقط. وبدا واضحًا أن مهنتـه لا يمكن أن تكون سوى محـام، وهى حقيقة لا يمكن لأحـد أن يخطئ فى إدراكها، لأى سبب ولو حتى للحظـة، وكان السيد جورج دوراند حقًا محاميًا مشهورًا.

أشار فى لطف قائلاً: "حسنًا يا برافيت، لديك ميل لركوب القطار، أليس كذلك؟".

قال رجل الدين: "لكـن للأسف فإن ركوب القطارات يضر بقلبى كثـيرًا، ولكنها لمصادفة سعيدة حقًـا أن أقابلك اليوم يا سيد جورج. أمسافر أنت إلى أقصى الشمال؟".

قـال السيد جورج فـى اقتضاب: "إلى نيـو كاسل"، وأردف قائلاً: "بالمناسبة، هل تعرف دكتور كامبل كلارك؟".

وكان هـذا الرجل يجلس فى نفس الجانب من العربة؛ حيث أشار رجل الدين برأسه فى لطف.

أكمـل المحامى حديثه: "لقد تقابلنا على رصيف القطار فى مصادفة أخرى".

نظر رجل الدين برافيت إلى كامبل كلارك فى اهتمام بالغ؛ فكثـيرًا ما تردد هـذا الاسم على مسامعـه. كان دكتور كلارك

فـى طليعـة أفذاذ عصـره كطبيـب متخصص فـى الأمراض العقلية، وشكل كتابه الأخير، "مشكلات العقل الباطن"، محور الأحاديث؛ فقد كان أكثر الكتب التى تمت مناقشتها خلال هذا العام.

رأى برافيـت أمامه رجلاً ذا فم عريض، وعينين زرقاوين قريبتـين وشعر أحمر لا يتخلله الشيب، وانتقل إليه شعور بأنه يقف أمام شخصية قوية.

وبصورة تلقائية نظـر إلى المقعد المقابل له، وبداخله بعض التوقـع بأن يتلقى نظرة أخرى تنم عن أحـد المعارف السابقة، ولكـن يبـدو أن الجالـس فى هـذا الجانـب كان غريبًـا تمامًا أجنبيًـا، مثلما اعتقد. كان هذا الرجل رجـلاً تميل بشرته إلى السمـرة، ومظهـره غير مهنـدم، وإلى حد ما يبـدو أحدب فى معطفه الواسع، واتضح أنه يغط فى نومه.

سأل دكتـور كامبل كلارك فـى صوت خافـت: "أأنت رجل الدين برافيت من برادشيستر؟".

أشبع ذلك التسـاؤل غرور رجل الدين؛ فقد لاقت مجموعة كتبه بعنـوان "عظات علمية "صـدى واسعًـا، وبخاصة عندما تناولتهـا الصحـف بالنشـر، حسنًـا؛ فهـذا هو مـا كان يريده المجتمع أعمالاً جيدة مواكبة للعصر.

قـال رجل الدين: "لقد قرأت كتابـك بشغف واهتمام بالغ، يـا دكتـور كلارك، رغم أنـه كان متعمقًا فـى التخصص؛ مما جعلنى أعجز عن فهم بعض مواضعه".

قاطع دوراند حديثهما.

فسـأل: "هل تفضل الحديث أم النوم يا رجل الدين؟ فإننى صدقًا أعانى من حالة من الأرق، ولذلك أفضل النوم".

رد رجـل الديـن: "أوه، بالتأكيـد! لكننى نادرًا مـا أستطيع النـوم فى الرحـلات الليلية، كمـا أن الكتاب الـذى اصطحبته معى ممل للغاية".

فأشـار الدكتور مبتسمًا: "على أية حـال، إننا نمثل الدين، والقانون، والطب".

ضحـك دورانـد، وقـال: "وهكذا يمكننـا معالجـة أى من الموضوعـات فيمـا بيننـا، أليس كذلـك؟ فبيننا مـن يمثل دار العبـادة، ومـن ثـم، المنظـور الروحى، أمـا أنا فأمثـل المنظور القانونى، أما أنـت يا دكتور فتمثل أوسع المجالات نطاقًا والذى يمتد بين علم الأمراض وحتى علم النفس! وأعتقد أنه بإمكاننا أن نتنـاول كل النقاط التى تتعلق بأى موضـوع من الموضوعات على أكمل وجه".

قـال دكتور كلارك: "ليس بالضبط كمـا تتخيل، أعتقد أنه يبقـى هناك منظور آخر لعلك أغفلتـه؛ إلا أنه منظور فى غاية الأهمية".

سأل المحامى: "ماذا تعنى؟".

"وجهة نظر رجل الشارع".

"وهـل هـذا أمـر مهـم؟ أليس رجـل الشـارع عـادة مـا يخطئ؟".

"أوه، فـى معظم الأحـوال! ولكنه دائمًا يكـون لديه الشىء الذى يفتقده الخبير، وهو وجهة النظر الشخصية. وفى النهاية

فإنك لن تستطيع أن تهرب من مشكلات العلاقات الشخصية. لقـد اكتشفت ذلك بحكم مهنتـى؛ فمع كل مريض يأتى إلىَّ فى حالة مرضيـة حقيقية تجد خمسة آخريـن يأتون لا لأى مرض يعانونـه، بـل لعدم القدرة علـى التعايش مع رفقـاء معيشتهم، وهم يعتقدون أن رأى الخبير قائم فقط على الدراسات البعيدة كل البعد عن الواقع المعيشى؛ بداية من شكوى الخادمة وانتهاءً بأخطـاء الكاتب، ولكن كل هذا إنما ينبثـق من حقيقة واحدة، هـى أن الأفكار السطحيـة تؤثر سلبيًا على غيرهـا من الأفكار الأخرى التى تدور فى العقل".

أشـار رجـل الدين فـى استخفـاف يوحى بثبـات أعصابه قـال: " أعتقد أن لديك العديد مـن المرضى الذين يعانون من اضطرابات عصبية".

راوغهـم الثـالث فى الحديث، وفـى سـرعة كالوميض بـادر سائلاً: " آه، ومـاذا تعنى بذلك؟ اضطرابات عصبية! يستخدم الناس هـذه الكلمة؛ حيث يقولون "لا شىء، إنها مجـرد اضطرابات عصبية" ولكن احمد الله يا رجل؛ فقد كان لديك الكثير من المعضلات قديمًا! حيث كان بإمكانك تشخيص وعلاج المرض العضوى، أما اليوم فأصبحت أكثر علمًا بالأسباب الخفية للكثير من الأمراض العصبية أكثر مما كان الحال عليه حسنًا، فى عهد الملكة إليزابيث!".

قال رجل الدين برافيت، بينما تبدو عليه علامات الارتباك بعد هذا الهجوم: "عزيزى، أهذا صحيح؟".

استمر دكتور كامبل كلارك فى الحديث فقال:" فكر فى الأمر وستجدها نعمة من الله، ففى الماضى كنا ننظر إلى الإنسان كجسد، ونَفْس وضغوط تصيبه".

فصحح القولَ رجلُ الدين فى اعتدال قائلاً: "جسد، ونفس، وروح".

ابتسم الدكتور ابتسامة تعبر عن الاستغراب والاندهاش وقال: "روح؟ بماذا تعنون بالضبط أنتم يا رجال الدين بالروح، فأنتم لستم واضحين على الإطلاق بشأنها، وعلى مدار العصور كلها أحجمتم عن تقديم تعريف محدد لها".

تنحنح رجل الدين استعدادًا للكلام، ولكن لسوء حظه، لم تسنح له الفرصة بالحديث، حيث استمر الدكتور فى حديثه قائلاً:" وهل نحن متأكدون من أن اللفظ المقصود هو "روح"، أليس من المحتمل أن يكون " أرواح"؟".

"أرواح؟" هكذا تسائل السيد جورج دوراند وارتفع حاجباه تعبيرًا عن الدهشة طلبًا للمعرفة.

تحول كامبل كلارك بنظرته المحملقة إليه، وانحنى للأمام وأخذ يربت على صدر الرجل الآخر بهدوء وقال: "نعم"، ثم أردف، فى وقار، يقول: "هل أنت على يقين بأنه لا يوجد سوى راكب وحيد لتلك الكابينة. وهذا هو كل شيء تعلمه، ويكون هذا المسكن الجذاب عرضة لإضافة قطع الأثاث المختلفة، على مدار سبع سنوات، إحدى وعشرين سنة، إحدى وأربعين، إحدى وسبعين، أو أيًا كان عدد تلك السنوات؟ فى النهاية سوف ينقل ساكن هذا المسكن متاعه وأشياءه خارج هذا المنزل تدريجيًا ثم

يخرج ويتركه نهائيًا ثم ينهار المنزل، ويصبح كتلة من الدمار ويتلاشى. أنت سيد هذا المنزل، نقر بهذا، ولكن ألم تشعر مطلقًا بوجود آخرين؛ خادمين هادئين من الصعب أن تدركهم أو تلاحظهم ما لم يؤدوا أعمالاً تلحظها؟ أو أصدقاء يؤثرون عليك ويجعلونك "شخصًا مختلفًا" بمرور الوقت كما يقال؟ ملك القلعة، ولكن تأكد أن هناك أيضاً "أنذالا حقيرين".

تشدق المحامى قائلاً: "عزيزى كلارك، أنت تجعلنى أشعر حتمًا بعدم الراحة. هل عقلى حقًا ساحة قتال لشخصيات متصارعة؟ أهذا هو ما توصل إليه العلم حديثًا؟".

فكان هذا هو دور الدكتور لأن يهز كتفيه فى استهجان.

ورد فى اقتضاب قائلاً: "إن جسدك ساحة قتال لشخصيات متصارعة، وإذا كان الجسد كذلك، فلم لا يكون عقلك هكذا هو الآخر؟".

قال رجل الدين برافيت: "هذا شيق للغاية، آه إنه علم رائع، حقاً رائع"، وحدث نفسه قائلاً: "يمكننى أن أتلقف هذا الموضوع وأجعله الفكرة الرئيسية لعظة تخطف المسامع والأبصار".

لم يكن من دكتور كامبل كلارك إلا أن عاد إلى وضعه الطبيعى فى الجلوس، حيث تلاشى انفعاله الذى استمر لفترة وجيزة من الوقت.

وأشار فى فتور وأسلوب احترافى: "فى الحقيقة، إنها إحدى حالات ازدواج الشخصية التى دفعت بى إلى التوجه لـ نيوكاسل الليلة. وهى حالة مثيرة للغاية، بالطبع تتعلق بالناحية العصبية، إلا أن تلك الحالة نعهدها كثيراً".

قال السيد دوراند وهو يفكر: "ازدواج الشخصية، أعلم أنها ليست حالة نادرة جدًا، وتكون مصحوبة بفقدان فى الذاكرة أيضًا، أليس كذلك؟ وأعلم أن هذا الأمر طرأ على إحدى القضايا التى نظرت فيها محكمة بروبات منذ فترة".

أومأ كلارك.

ثم قال: "بالطبع! إنها تلك القضية القديمة التى تخص فيليسى بولت، ربما تتذكر سماعك بها يا برافيت؟".

قال رجل الدين برافيت:" بالطبع، أعتقد أننى قد قرأت عنها فى الصحف ولكن هذا منذ فترة بعيدة إلى حد ما. سبع سنوات على الأقل".

أومأ دكتور كامبل كلارك، وقال:

"لقد أضحت تلك الفتاة واحدة من أشهر الشخصيات فى فرنسا. وقد أتى لرؤيتها العلماء من جميع أنحاء العالم. فلديها ما لا يقل عن أربع شخصيات مختلفة، تم إطلاق الأسماء: فيليسى (١)، فيليسى (٢)، فيليسى (٣) ... وهكذا عليها".

سأل السيد جورج بحذر:" ألم تكن هناك أية احتمالات أو افتراضات من قبل الأطباء بأن يكون هذا خداعًا متعمدًا؟".

صاح الدكتور قائلاً:" لقد كانت شخصيتا فيليسى (٣) وفيليسى (٤)، عرضة للشك، ولكن لم يغير هذا من الحقيقة السائدة، وكانت فيليسى بولت ابنة لأحد المزارعين. وهى الابنة الثالثة لعائلة من خمسة أشخاص، حيث كان الأب سكيرا، وكانت الأم مختلة عقليًا. وفى إحدى نوبات سكره قام بشنق الأم ثم سافر ليستمتع بحياته ويفر من العقاب، على حد تذكرى.

كانت فيليسى وقتئذ فى الخامسة من عمرها، واهتم بعض أصحاب الإحسان بالأمر، حيث تولت تربيتها وتعليمها سيدة إنجليزية لديها منزل خصصته لرعاية الأطفال الفقراء، إلا أن تلك السيدة عجزت عن تعليم فيليسى سوى أقل القليل، حيث وصفتها بأنها بطيئة وغبية بدرجة غير طبيعية، فلم تستطع تعلم الكتابة والقراءة إلا بصعوبة بالغة، وكانت تعوزها المهارة فى استخدام اليدين فحاولت هذه السيدة التى تدعى الآنسة سلاتر أن تهيئ الفتاة للعمل خادمة عندما وصلت إلى سن مناسبة، وبالفعل أرسلتها إلى العديد من الأماكن لكنها لم تمكث طويلاً".

توقف الدكتور لحظة، أما رجل الدين فبعد أن وضع إحدى ساقيه فوق الأخرى مجدداً، وأحكم لف بطانية السفر الخاصة به حوله، إذا به يفاجأ بأن الرجل الذى يجلس فى المقعد المقابل له قد تحرك قليلاً وفتح عينيه اللتين كانتا مغمضتين، حيث ظهر بهما شىء مبهم ومضلل. أثار هذا روع رجل الدين الفاضل. فهذا الرجل بدا كأنه كان يستمع إلى الحديث ويفكر فيما يسمعه تفكيرًا عميقًا، سرًا وفى خبث.

أكمل الدكتور حديثه: "هناك صورة فوتوغرافية كان قد تم التقاطها لفيليسى وهى فى السابعة عشرة، وتوضح هذه الصورة فيليسى باعتبارها فتاة فلاحة فظة بدينة. ولم توح الصورة بأن تلك الفتاة ستكون لاحقًا واحدة من أشهر الشخصيات فى فرنسا.

وبعد مرور خمس سنوات، وعندما كانت فى الثانية والعشرين، أصيبت فيليسى بولت بمرض عصبى حاد، وعند إتمام الشفاء أخذت الظواهر والأعراض الغريبة تكشف النقاب عن نفسها. وإليكم حقائق صدق على صحتها علماء بارزون؛ فشخصية فيليسى (١) كانت لا تختلف عن تلك التى كانت عليها فيليسى بولت فى الاثنتين والعشرين سنة الماضية، وفيليسى (١) تكتب الفرنسية على نحو سيئ، ولا تتحدث أيًا من اللغات الأجنبية، ولا تستطيع العزف على البيانو. وعلى العكس من فيليسى (١) فإن فيليسى رقم (٢) تتحدث الإيطالية بطلاقة والألمانية بجودة متوسطة. كما أن خط يدها يختلف عن خط يد فيليسى (١)، كما أنها تكتب فرنسية معبرة وطليقة. وكذلك تستطيع الحديث والدخول فى مناقشات حول السياسة والفن، وكانت مولعة بالعزف على البيانو بشكل بالغ. أما فيليسى (٣) فتشترك مع فيليسى (٢) فى نقاط عدة؛ حيث إنها ذكية، وتبدو فى ظاهر شخصيتها على قدر عالٍ من التعليم، ولكن من الناحية الأخلاقية، كانت على النقيض تمامًا. واتضح أنها فى الحقيقة مخلوق فاسد مجرد من الأخلاق، لكن قياساً بحياة سكان باريس وليس سكان الريف. فهى على أتم المعرفة بجميع اللهجات العامية فى باريس وتعبيراتها الرقيقة. وكانت لغتها بذيئة لدرجة أنها كثيرًا ما كانت تتطاول على الدين وعلى من نطلق عليهم "خيار الناس" بأكثر الألفاظ والتعبيرات بذاءة. وفى النهاية لدينا فيليسى (٤)، وهى مخلوق حالم متوسط الذكاء، وكانت متدينة إلى حد بعيد، ولديها سعة

إدراك لا بأس بها. ولكن هذه الشخصية الرابعة لم تكن مقنعة بل كانت مُحيرة، وأحيانًا ما كانت الظنون تثار حول احتمالية كونها خداعًا متعمدًا من قبل فيليسى (٣)، أى نوع من الدعابة تمارسه على العوام السذج سريعى التصديق، ويمكننى القول بأن كل شخصية من تلك الشخصيات باستثناء فيليسى (٤) تختلف وتنفصل عن الأخرى ولا علاقة لها بالأخريات. وكانت شخصية فيليسى (٢)، بلا شك، هى الشخصية المهيمنة بين تلك الشخصيات الأربع، حيث كان من الممكن أن تتواجد لأكثر من أسبوعين فى المرة واحدة، بينما تنطلق فيليسى (١) فجأة لمدة يوم أو اثنين، وبعد ذلك يكون هناك احتمالات لانطلاق فيليسى (٣) أو (٤)، ولكن هاتين الأخريين نادرًا ما كانتا تظلان مسيطرتين لأكثر من بضع ساعات، ويصاحب كل تغيير وانتقال من شخصية لأخرى صداع مبرح، ونوم عميق، وفى كل حالة يكون هناك انعدام لتذكر جميع الحالات الأخرى، حيث تكمل الشخصية الحالية الحياة من حيث انتهت الأخرى دون إدراك لوقت الانتقال بين الشخصيتين".

همهم رجل الدين قائلاً: "رائع، رائع حقًا، ولا ندرى حتى يومنا هذا ما تخفيه لنا الحياة من معجزاتها وخوارقها".

فأشار المحامى فى اقتضاب: "أنتما تعلمان أن هناك بعض المخادعين الماكرين فى هذه القضية".

فرد دكتور كامبل كلارك بسرعة قائلاً: "لقد قام عدد من المحامين، والأطباء والعلماء بالتحقيق فى حالة فيليسى والكشف عنها. وأنت تذكر مترو كويمبيلر، الذى كان قد قام

بأكبر تحقيق شامل ومتكامل، وأكد ما قاله العلماء. وعلى أية حال، لمَ تدهش كل هذا الاندهاش؟ فلقد شاهدنا البيضة ذات الصفارين، أليس كذلك؟ وشاهدنا الموزة ذات الثمرتين؟ فلم لا يكون هناك نفس مزدوجة، أو كما فى هذه الحالة، نفس رباعية فى جسد واحد؟".

احتج رجل الدين قائلاً: "نفس مزدوجة؟".

استدار دكتور كامبل كلارك بعينيه الثاقبتين إليه وقال: "أى اسم آخر يمكننا إطلاقه عليها؟ وذلك إذا كنا نعنى أن الشخصية هى النفس؟".

أشار السيد جورج: "إنه لمن حسن الحظ أن مثل هذه الحالات نادرة الحدوث، أما لو كانت هذه الحالات شائعة، لكانت قد أفضت إلى الكثير من التعقيدات والمعضلات".

وافق الدكتور قائلاً: "بالطبع، هذه الحالة غير طبيعية، وإنه لأمر يبعث على الأسف أنه كان من المفترض إجراء دراسات أكبر على مثل تلك الحالات، ولكن توقفت كل هذه المساعى بموت فيليسى غير المتوقع".

قال المحامى فى هدوء: "على ما أذكر، كان هناك أمر غريب فى هذا الموضوع".

أومأ دكتور كامبل كلارك وقال:

"كان من أكثر الأمور التى يصعب تفسيرها، حيث وجدت الفتاة فى صباح أحد الأيام جثة هامدة فى سريرها. وكان من الواضح أنها قتلت شنقًا. ولكن ثبت منذ فترة وجيزة وبدون أى شك أنها شنقت نفسها وسط دهشة وذهول الجميع. وتلك

البصمات التى وجدت على رقبتها إنما هى علامات أصابعها هى. ولعل طريقة الانتحار هذه رغم إمكانية تنفيذها جسدياً إلا أنها تتطلب قوة عضلية هائلة وقوة إرادة تفوق قدرات البشر. ولم يتم اكتشاف الدوافع التى أودت بها إلى هذا المصير المؤسف. ظل، بالطبع، توازنها العقلى محل شك، ولا يزال كذلك. وبهذا يُسدل الستار نهائيًا، وللأبد، على لغز فيليسى بولت".

فى هذه اللحظة ضحك الرجل الجالس فى الركن البعيد.

قفز الرجال الثلاثة إثر تلك المفاجأة، فقد أغفلوا تمامًا وجود شخص رابع بينهم. وعندما اتجهوا بأنظارهم نحوه وأخذوا يحدقون إليه وجدوه منحنيًا فى معطفه، وأخذ يضحك ثانية.

وقال فى لهجة إنجليزية متقنة، إلا أنها رغم ذلك تمتزج بلكنة أجنبية: "معذرة أيها الرجال".

ثم جلس منتصبًا، فظهر وجهه شاحبًا ذا شارب صغير حالك السواد.

ثم انحنى فى سخرية وقال: "نعم، لابد أن تعذرونى، ولكن حقًا! أيوجد فى العلم كلمة أخيرة أو حد لنهايته؟".

فسأله الطبيب فى لطف: "أتعلم شيئًا عن القضية التى كنا نتحدث فيها؟".

"شيئًا عن القضية؟ لا، ولكنى أعرف فيليسى".

"فيليسى بولت؟".

"نعم، وأعرف أنيت رافيل أيضًا. أعلم أنك لم تسمع عن أنيت رافيل، أليس كذلك؟ لكن قصة الأولى هى ذاتها قصة

الثانيـة. صدقنـى، فأنت لا تعلم شيئًا عـن فيليسى بولت إن لم تكن تعلم قصة أنيت رافيل".

وأخـرج ساعة من جيبه، ونظر فيهـا، ثم قال: "يبقى لدينا نصـف سـاعـة قبل المحطة التاليـة. ولدىّ وقـت لأن أحكى لكم قصتها، إن كان لديكم الرغبة فى سماعها؟".

قال الدكتور فى هدوء: "من فضلك أخبرنا بها".

قال رجل الدين: "نسعد بذلك، نسعد جداً".

ولم يكـن من السيد جورج دوراند إلا أن أعد نفسه فى وضع يعبر عن الرغبة فى المعرفة.

بدأ رفيق السفر الغريب حديثه قائلاً: "اسمى، أيها السادة، هـو راءول ليتاردو. لقد كنتم تتحدثون توًا عن سيدة إنجليزية، هـى الآنسة سلاتـر، التى كانت تصب اهتمامهـا على الأعمال الخيريـة. لقد ولدت فـى تلك القريـة البريطانيـة الساحلية، وعندمـا لقـى والـداى مصرعهما فـى حادثة قطـار، حضرت الآنسـة سلاتر لإنقـاذى، فأنجتنـى من مصـير مماثل لذلك الذى يلقاه من هم فى إصلاحية الأحداث لديكم فى بريطانيا. وكان هناك تحت رعايتها أكثر من عشرين طفلاً، بنات وبنين، كان بينهم فيليسى بولت وأنيت رافيل. وإن لم أستطع أن أوضح لكـم شخصية أنيت، أيها السـادة، فلن تفهموا أى شىء. كانت أنيـت ابنة لمن تسمونها ساقطة، والتـى ماتت إثر هجر حبيبها لها، مما أضناها كثيراً. وكانت والدتها راقصة، وكذلك أنيت كانت لديهـا الرغبة فى الاتجاه للعمل راقصة. وقد رأيتها لأول مـرة عندما كانت فى الحادية عشرة من عمرها، وكانت وقتئذ

ضئيلـة الحجـم وذات عينين تتعاقـب فيهما نظـرات التحدى والواعدة. كانت مخلوقا ضئيـل الحجم ولكنها كانت تمتلئ بكل ما فـى الحياة من حيوية. وفى الحال نعـم، فى الحال جعلتنى أسيرًا لها، فكان الوضع هكـذا" راءول افعل هذا لى. "راءول، افعـل ذاك لى"، أمـا أنا فكنت أطيع، وأصبحـت بالفعل أسيرًا لها، وكانت تعلم ذلك.

"وكنا نذهب ثلاثتنا إلى الشاطئ، حيث إن فيليسى كانت تأتى معنا، وهناك كانت أنيت تقوم بخلع حذائها وجوربها وترقص على الرمال. وعندما تسقط من التعب، تخبرنا بما كانت تقصد فعله.

"أترون، سـوف أصبح مشهورة، نعم مشهـورة بشكل يفوق الخيـال. وسـوف أمتلك مئات وآلاف الجـوارب الحريرية، من أجـود أنـواع الحرير. وسـوف أسكن فى شقـة جميلة وفاخرة، وسـوف يكون كل محبىّ ومعجبىّ شبابًا وسيمين وأغنياء أيضًا، وحـين أرقص سوف تأتى باريـس بأكملها لرؤيتى. سوف ترتفع أصواتهـم بهجـة، وسوف يهتفـون باسمـى، ويصرخون، ويثير إعجابهـم رقصى لدرجـة الجنون. ولن أرقص فـى الشتاء بل سأسافـر إلى الجنـوب حيث الشمـس المشرقـة، إلى الفيلات بحدائقهـا، وأشجـار البرتقـال، وسـوف أمتلـك إحـدى هذه الفيـلات. وأرقـد فـى الشمس على وسـادة من الحريـو وآكل البرتقـال. أما أنت يـا راءول، فلن أنساك علـى الإطلاق مهما بلغت من درجات العظمة والثراء والشهرة، وسوف أحميك، أما فيليسى فستصبح وصيفتى. لا، فيداها غير رقيقتين، انظر إلى

أى مدى هما عريضتان وغليظتان".

كانت فيليسى تنزعـج وتحنق من ذلك القول، بينما تستمر أنيت فى إثارة غضبها فتقول:

"إن فيليسـى تشبه إلى حد كبير الملكات، فهى أنيقة للغاية، ومهذبة إنها أميرة متخفية، ها، ها".

وترد فيليسى على إغاظتها قائلة: "لكن أبى وأمى متزوجان، وهذا يجعلنى أتفوق عليك".

"نعـم، وقد قتـل والدك أمـك. شىء جميـل أن تكونى ابنة قاتل".

فتعـاود فيليسى الحديث قائلـة: "لقد ترك والدك أمك كى تفسد أخلاقياً".

تصبـح أنيـت أكثر تعقلاً وتقـول: "أما نعم، أمـى المسكينة. يجب أن يظل الإنسان قويًا وبصحة جيدة، فأهم شىء أن يبقى الإنسان قويًا وبصحة جيدة".

فتقول فيليسى فى تباه : "إننى قوية كالحصان".

وبالفعـل، كانت فيليسى كذلـك. فكان لديهـا ضعف القوة التـى تتمتع بهـا أى فتاة فى الـدار، ولم تتعرض للمرض على الإطلاق.

ولكنها كانـت غبية، كالحيوان الوحشـى، علكم تفهموننى، فكثـيرًا ما كنـت أتساءل عن سبب تشبههـا بأنيت فى كل شىء تفعلـه، حيث كانـت مفتونة بهـا. وأحيانًـا أخرى كنـت أتخيل أنهـا تكره أنيت بالفعـل، وبالفعل لم تكن أنيـت طيبة تجاهها. حيـث كانـت تسخر من بطئهـا وغبائها، بـل وتهاجمهـا أيضًا

بتوجيـه الانتقادات اللاذعـة لها أمام الآخريـن. ولطالما كنت أرى فيليسـى تبـدو عليها علامـات الغضب الشديـد، وأحيانًا كنـت أعتقد أنها سوف تحكـم قبضتها حول رقبة أنيت وتحاول خنقهـا إلى أن تفارق الحياة، فلم تكـن فيليسى سريعة الفطنة بالدرجة الكافية التى تمكنها من الرد على توبيخ أنيت الساخر لهـا، ولكنها تعلمت بمرور الوقـت الرد الذى يفحمها دائماً وهو الإشـارة إلى صحتهـا وقوتها. حيث إنها عرفـت الشىء (الذى طالما كنت أعرفه) وهو أن أنيت كانت تحقد عليها بسبب بنيتها القويـة، وبذلـك استطاعت فيليسى أن تنقـر على نقطة ضعف خصمها.

وذات يـوم أتـت إلىّ أنيـت وهـى فـى غاية المـرح، وقالت: "راءول، نريد أن نضحك اليوم ونسخر من غباء فيليسى".

"ماذا ستفعلين؟".

"تعال خلف المخزن الصغير وسوف أخبرك".

ويبدو أن أنيت كانت تحتفظ بكتاب لم تستطع فهم جزء منه نظرًا لصعوبة فهمها للموضـوع الذى يدور حوله الكتاب. وكان هذا الكتـاب من الأعمال الأدبية القديمـة التى تتناول موضوع التنويم المغناطيسى.

يقولون إن التنويم المغناطيسى يحدث بالنظر إلى شىء براق، وهناك حلية نحاسية فى سريرى، يمكن أن أجعلها تدور، حيث جعلت فيليسـى تنظر إليها الليلة الماضيـة، وقلت لها: "انظرى إليهـا بثبـات، لا تغمضـى عينيك عنهـا، ثم أدرتهـا. وانتابنى الخوف يا راءول حيث إن عينيها بدتا غريبتين، غريبتين للغاية،

فقلت لها: "فيليسى، سوف تفعلين دائمًا ما أقوله لك"، فردت: "سـوف أفعـل دائمًا ما تقولـين لى يا أنيت"، وبعـد ذلك قلت: "غـدًا سوف تحضرين شمعة من الشحـم الحيوانى إلى الملعب فـى تمام الثانية عشـرة، وتشرعين فى أكلهـا، وعندما يسألك أى شخص عما تفعلينه ستقولين: إنها أشهى شىء تذوقته على الإطلاق" أوه! راءول، تخيل هذا الموقف!".

فاعترضت قائلاً: "ولكنها لن تفعل هذا".

"هذا ما يقوله الكتـاب وليس ما أصدقه، ولكن، أوه! راءول لو تحقق كل ما يقوله الكتاب فسوف نستمتع كثيرًا!".

اعتقـدت أنا أيضًا أن الفكـرة مرحة جدًا، وأخبرنا رفقاءنا سـرًا، وفى تمام الثانية عشرة كنـا جميعاً فى الملعب فى الوقت المحـدد، بالضبط، ثم خرجـت إلينا فيليسـى وبيدها كتلة من الشمع. وهل تصدقوننى إذا قلت لكم يا سادة، إنها بدأت تأكل الشمـع فى هدوء. كنـا جميعًا فى حالـة هستيرية! وبين الحين والآخر كان يأتـى إليها واحد من الأطفال ويقول لها فى هدوء: "حسنًـا، ماذا تأكلين يا فيليسى؟" فكانـت تجيب: "إنها، نعم، إنهـا أفضل شـىء تذوقته على الإطلاق"، فلا يكـون منا إلا أن نصـرخ ونضحـك. مكثنا نضحك فى كل مرة حتـى إن أصوات ضحكاتنا بدت فى المرة الأخيرة كأنها أيقظت فيليسى وأعادتها إلى وعيهـا وإدراكها لما تفعله. فطرفـت عيناها دهشة ونظرت إلى الشمعة، ثم إلينا، ومسحت بيدها على جبهتها.

وهمهمت قائلة: "ولكن ما هذا الذى أفعله هنا؟".

فصرخنا قائلين: "أنت تأكلين الشمع".

فصرخت أنيت ورقصت فرحًا، وقالت: "لقد جعلتك تفعلين ذلك، لقد جعلتك تفعلين ذلك".

حدقـت فيليسـى فيهـا للحظة ثـم توجهت إليهـا على مهل وقالـت: "هل أنت التى جعلتنى مثاراً للسخرية والضحك؟ أبدو أننى أستطيع تذكر ما حدث. آه! سوف أقتلك لفعلك هذا بى".

وكانـت فيليسى تتكلم فى نبرة هادئـة، بينما اندفعت أنيت فجأة لتختبئ خلفى، وقالت:

"احمنى يا راءول! أنا خائفة من فيليسى. لم يكن هذا سوى مزاح يا فيليسى، فقط مزاح".

قالـت فيليسى: "أنا لا أحب مثل هـذا المزاح، أتفهمين، إنى أكرهك، إنى أكرهكم جميعًا".

وفجأة انفجرت فى البكاء وانطلقت بعيداً.

ولقـد كانـت أنيـت، علـى مـا أعتقـد، مذعورة مـن عواقب تجربتهـا، ولذلك لم تحـاول أن تكررها ثانيـة. ولكن منذ هذه اللحظة أضحت هيمنتها على فيليسى تزداد أكثر فأكثر.

وأعتقـد أن فيليسى أصبحـت تكره أنيت، إلا أنها رغم ذلك لم تكـن تستطيـع أن تبتعـد عنها. فقـد اعتـادت أن تتبع أنيت وتحوم حولها مثل الكلب.

وبعـد ذلك يا سـادة بفترة وجيزة، وجـدت عملا بالخارج، ولـذا لم أكن آتى إلى الدار إلا فى المناسبات. ولم تعد أنيت إلى تنمية رغبتها فى الرقص بجدية، بينما أخذت تطور فى صوتها الغنائـى الجميـل على مـدار السنـوات اللاحقة، كمـا وافقت الآنسة سلاتر على أن يتم تدريبها كمطربة.

لم تكن أنيت شخصية كسولة، بل أخذت تعمل بحماس وبدون توقف لدرجة اضطرت الآنسة سلاتر إلى أن تمنعها من بذل كل ذلك المجهود المضنى، وقد تحدثت معى ذات مرة فى ذلك الشأن.

فقالت: "لقد كنت دائمًا محبًا لأنيت. حاول إقناعها بأن تكف عن ذلك العمل والمجهود الشاق الذى تبذله، فلقد أصيبت مؤخرًا بسعال يؤرقنى".

ولعل عملى سرعان ما أبعدنى عنهم ولقد تلقيت خطابًا واحدًا من أنيت فى الفترة الأولى من سفرى، ولكنى لم أسمع منها أو عنها أى شىء بعد ذلك وطيلة خمس سنوات بعد رحيلى للخارج.

وبالمصادفة، لفت نظرى عندما عدت إلى باريس إعلان ملصق عن أنيت رافيل وبه صورتها، فتعرفت عليها فى الحال. وفى تلك الليلة ذهبت إلى المسرح الذى يشير الإعلان إليه، وقد غنت أنيت بالفرنسية والإيطالية، وكانت رائعة على المسرح. وبعد ذلك ذهبت إلى غرفتها فاستقبلتنى فى الحال.

صرخت وهى تمد يديها إلىّ وقالت: "لماذا يا راءول، شىء رائع! أين كنت كل هذه السنوات؟".

كنت سأخبرها عن سبب ذلك ولكنها لم تكن لديها الرغبة الحقيقية فى معرفة السبب، وواصلت حديثها قائلة:

"كما ترى يا راءول، لقد وصلت إلى ما كنت أصبو إليه تماماً!".

ولوحت بيدها يملؤها شعور بالانتصار بينما تشير إلى باقات الزهور التى تملأ جنبات الحجرة.

"لابد أن الآنسة سلاتر الطيبة فخورة بنجاحك".

"تلك المرأة العجوز؟ بالطبع، لا. لقد كانت ترنو إلى الحاقى بمعهد الموسيقى، ذاك الغناء الذى يقيد موهبتى، لكننى فنانة ولن أمارس هوايتى إلا هنا فوق المسارح المتنوعة حيث يمكننى التعبير عن نفسى".

وبعد ذلك أتى إلى حجرتها شخص وسيم فى منتصف العمر. كان مميزًا، وسرعان ما وجدت من أسلوبه وطريقته أنه الحارس الشخصى لأنيت. فنظر إلىّ نظرة جانبية وأوضحت له أنيت هويتى قائلة:

"هذا صديق طفولتى، وقد رأى صورتى على إعلان ملصق بينما كان يمر فى باريس".

وبذلك أصبح الرجل فى غاية العذوبة واللطف تجاهى. ثم أخرج سوارًا مطعمًا بالماس والياقوت وعقده حول معصم أنيت. وعندما نهضت للذهاب ألقت علىّ نظرة عجلى تعبر عن الانتصار، وهمست قائلة:

"لقد نجحت فى أن أصل إلى ما أريده، أليس كذلك؟ أرأيت؟ العالم كله يجلس أمامى".

ولكن بمجرد مغادرتى للحجرة، سمعت سعالها، كان سعالها جافًا وحادًا، وعلمت ماذا يعنى ذلك السعال، فقد كان ذلك السعال عرضًا لمرض السل الذى أصيبت به بالوراثة عن أمها.

ثـم رأيتها بعد مضـى سنتين وكانت قد عـادت ولجأت إلى الآنسـة سلاتر بعدمـا عجزت عـن مزاولة مهنتهـا. وتفاقمت حالتها الصحية بسبـب مرض السل لدرجة يئس معها الأطباء عن فعل أى شىء من أجلها.

آه! لـن أستطع أن أنساها بعد هـذا المشهد الذى رأيتها فيه آنـذاك! كانت ترقد فى مكان يشبـه الخيمة فى حديقة المنزل، حيث فرض عليها أن تمكث خارجه ليلاً ونهارًا، كانت وجنتاها غائرتين هزيلتين، وعيناها محمرتين.

صافحتنى بحالة من اليأس أثرت فى نفسى وقالت:

"إنه لمن حسن الحظ أن أراك يا راءول. أتدرى بما يقولونه، بأنـى لـن أشفـى ثانية؟ يقولـون هذا مـن ورائى كمـا تعرف. إنهـم يحاولون تخفيف آلامى ومواساتـى من أجل استرضائى، ويخدعوننـى بقولهم إننى بخير. ولكنى أعلـم أن كل هذا ليس حقيقيًـا يـا راءول. ليـس حقيقيًا! ولكن لـن أسمـح للموت أن يلتهمنـى. هل أموت؟ أموت وأمامـى تلك الحياة الفاتنة تبسط ذراعيها لى؟ لكن المهم هو الإرادة والرغبة فى الحياة. هذا هو مـا يقوله جميع الأطباء العظام اليـوم، وأنا لست من الواهمين الذين يدعون الحياة تفر مـن بين أيديهم. بالطبع أشعر بأننى أتحسن باستمرار، أتحسن باستمرار، هل تسمعنى؟".

وحاولـت أن تنهض استنادًا على مرفقهـا لكى تثبت لى ما تقولـه، ولكنها وقعت طريحة الفراش بعد أن هاجمتها نوبة من السعال أضنت جسدها الهزيل وأنهكته.

وتنهدت قائلة: "لا شىء، إنه مجرد سعال، كما أن النزف لا يخيفنـى. سوف أفاجئ الأطبـاء، إن ما يهم هو العزيمة. تذكر دائماً يا راءول أننى سوف أعيش".

كان هذا مؤسفًا، مؤسفًا كما تعرفون.

وبعد ذلك خرجت فيليسى بولـت حاملة صينية عليها كوب من اللبن الساخـن حيث أعطته لـ أنيت، وشاهدتها بينما كانت تشرب اللبن، وقد ظهر على وجهها تعبير لم أستطع سبر غوره، فقد كان به نوع من الرضا والاعتداد بالنفس.

استطاعت أنيت أيضًا أن تفهم ما ترمى إليه نظرة فيليسى، ولذا ألقت الكوب على الأرض حتى تهشم وأصبح فتاتًا.

"أرأيـت؟ فهـذه هى نظرتهـا لى دائمًا. إنهـا سعيدة بأننى سوف أموت! نعم، إنها تشعر بالارتياح، حيث إنها قوية وبصحة جيـدة. انظر إليها، لم يصبها مرض قط! لكنها لن تجنى شيئاً مـن ذلك، فما فائدة هذا الجسد الضخـم الذى تمتلكه؟ ماذا تستطيع أن تفعل به؟".

انحنـت فيليسـى لتلتقط بقايا الكـوب المكسـور وقالت فى صوت غنائى خافت:

"لا يهمنـى مـا تقولـه، فمـاذا يعنـى لى ذلك؟ إننـى فتاة محترمة. هكذا أنا، أما هى فستذوق نيران الجحيم قريبًا، وأنا فتاة متدينة ولنَ أقول شيئًا".

صرخت أنيت: " أنت تكرهيننى! لقد كنت دائمًا تكرهيننى. آه! ولكنـى أستطيـع أن أأسـرك، كالعادة. أستطيـع أن أجعلك تفعلـين ما أريد. انظرى الآن، إذا طلبت منك أن تركعى أمامى

الآن على تلك الحشائش الخضراء فستفعلين".

قالت فيليسى فى اقتضاب:" إنك تعبثين".

"ولكن، نعم، فستفعلين. سوف تفعلين ذلك، لكى ترضينى، اركعى، آمرك بهذا أنا أنيت. اركعى يا فيليسى".

وسواء أكان بسبب نبرة الالتماس المؤثرة التى سادت صوت أنيت، أم بسبب دافع أعمق فى نفس فيليسى، فقد أطاعتها فيليسى. وأخذت تهبط ببطء على ركبتيها، وبسطت ذراعيها، حيث كان وجهها خاليًا من أى تعبيرات سوى التعبير عن شخصية غبية.

مالت أنيت برأسها للخلف وأخذت تضحك. وأخذ صوت ضحكاتها يرن مدويًا فى أرجاء المكان.

"انظر إليها! انظر إلى وجهها الذى يرتسم عليه الغباء! كم تبدو مضحكة. يمكنك النهوض الآن يا فيليسى. أشكرك! فلا فائدة من العبوس فى وجهى، فأنا سيدتك، وينبغى عليك أن تفعلى ما آمرك به".

ثم عادت إلى وسادتها منهكة. بينما التقطت فيليسى الصينية، وغادرت على مهل. ولكن بمجرد أن استدارت فيليسى لتنظر إليها، دبَّ فى قلبى الرعب من استيائها المتقد.

لم أكن متواجدًا عندما ماتت أنيت. ولكن يبدو أن الأمر كان فظيعًا. فلقد تشبثت بالحياة وصارعت المرض بجنون، ولطالما كانت تتنهد مرارًا وتكرارًا وتقول: "لن أموت. أتسمعوننى؟ لن أموت، سوف أعيش، سوف أعيش...".

أخبرتنى بذلك الآنسة سلاتر عندما جئت لزيارتها بعد ستة أشهر من زيارتى هذه لها.

قالت فى إشفاق: "عزيزى راءول المسكين، لقد أحببتها، أليس كذلك؟".

"لطالما كنت أحبها دائمًا، دائمًا. ولكن بماذا يفيد حبي لها؟ لا تدعينا نتطرق إلى هذا الأمر. فلقد ماتت، وكانت رائعة تملؤها حيوية الحياة ...".

تعاطفت معى الآنسة سلاتر فأخذت تتحدث عن أشياء أخرى. وكانت قلقة جدًا بشأن فيليسى، هكذا قالت لى، إن الفتاة تعانى من نوع غريب من الاختلال العصبى، ولطالما كانت غريبة فى سلوكها وتصرفاتها.

قالت الآنسة سلاتر بعد لحظة من التردد: "هل تعلم أنها تعلم العزف على البيانو؟".

لم أكن أعلم ذلك وبالتالى انتابتنى الدهشة. فيليسى تتعلم البيانو! وقلت إن الفتاة لا تستطيع قراءة المقطوعات الموسيقية.

أردفت الآنسة سلاتر قائلة: "يقولون إن لديها الموهبة، ولا أستطيع أن أفهم ذلك. فدائمًا ما كنت أنظر إليها على أنها... حسنًا راءول، أنت تعرف بنفسك أنها فتاة غبية".

أومأت لها.

فأردفت: "إنها غريبة فى تصرفاتها وسلوكياتها، ولا أدرى ماذا يمكننى أن أفعل معها".

وبعد دقائق معدودة، دخلت إلى حجرة التعلم، حيث كانت فيليسى تعزف البيانو. وكانت تعزف نفس الموسيقى الخاصة بأغنية كنت قد سمعت أنيت تغنيها فى باريس. وأنتم تفهمون ياسادة، فهذه الموسيقى دفعتنى للغناء. وبمجرد سماعها لى أوقفت العزف فجأة ونظرت إلىّ فى تأمل، يملأ عينيها السخرية والدهاء، وفكرت للحظة أن... حسنًا، لن أقول لكم ما فكرت فيه.

قالت: "إذن أنت السيد راءول".

لا أستطيع أن أصف الطريقة التى قالت بها هذه الجملة. كانت أنيت تدعونى دائمًا راءول، أما فيليسى، فنظرًا للقائنا فى سن متقدمة فكانت دائمًا تدعونى السيد راءول، ولكن الطريقة التى قالتها بها الآن تختلف عما قبل، حيث كانت كلمة "السيد" مشددة قليلاً مما جعلها أكثر رقة.

تمتمت قائلاً: "لماذا تبدين اليوم مختلفة يا فيليسى؟".

قالت ردًا على ذلك: "هل أنا هكذا؟ هذا كلام غريب. ولكن لا تكن وقوراً هكذا يا راءول، لقد قررت أن أناديك راءول. ألم نعتد أن نلعب معًا فى مرحلة الطفولة؟ إنما الحياة مرح ولهو. دعنا نتكلم عن المسكينة أنيت، تلك التى ماتت وتم دفنها. إننى أتساءل، هل هى فى الجحيم أم أين؟".

ثم أخذت تدندن مقطوعة غنائية لم يكن هناك نغم بدرجة واضحة ولكن كلمات الأغنية لفتت انتباهى.

صحت: " فيليسى، أتتحدثين الإيطالية؟".

"لمَ لا يا راءول؟ أنا لست غبية مثلما أتظاهر وأدعى أمامكم". وأخذت تضحك بسبب ما ينتابنى من ارتباك.

فشرعت قائلاً: "أنا لا أفهم ...".

"ولكنى سأخبرك. أنا ممثلة بارعة، أكثر مما يتوقع أى شخص. إننى أستطيع أن ألعب أدوارًا عدة، بل، وألعبها ببراعة".

ضحكت ثانية، ثم اندفعت خارج الحجرة قبل أن أتمكن من إيقافها.

ورأيتها مرة ثانية قبل أن أغادر. وكانت نائمة على مقعد بمسندين، حيث كان شخيرها يعلو بطريقة مفزعة، فوقفت أراقبها مندهشًا رغم كونى منزعجًا ومشمئزًا. ثم استيقظت فجأة. والتقت عيناها اللتان تملؤهما الكآبة والجمود بعينىّ.

تمتمت قائلة: "السيد راءول".

"نعم فيليسى، سوف أغادر الآن. ألن تعزفى لى ثانية قبل أن أذهب؟".

"أنا؟ أعزف؟ إنك تسخر منى يا سيد راءول؟".

"ألا تتذكرين عزفك لى هذا الصباح؟" .

هزت رأسها وقالت:

"أنا أعزف؟ وكيف لفتاة مسكينة مثلى أن تعزف؟".

وسكتت لدقيقة كأنها كانت تفكر فى ذلك، ثم أومأت لى وقالت:"سيد راءول، هناك أمور تحدث فى هذا المنزل! إنهم يخدعونك بحيل عديدة. نعم، نعم، إننى أعنى ما أقوله، وكل ذلك من صنعها".

سألت فى دهشة:" من التى تفعل كل هذا؟".

"إنهـا أنيت، تلك الشريرة، فعندمـا كانت على قيد الحياة كانـت دائماً تعذبنى، والآن بعدما ماتـت فإنها تعود من قبرها وتعذبنى أيضاً".

حدقـت النظر فى فيليسى حيث أدركت فى تلك اللحظة أن رعبًا شديدًا ينتابها وتجحظ عيناها خارج وجهها.

"إنهـا سيئـة، تلك المرأة، إنهـا سيئة، أؤكد لـك هذا. فهى تأخـذ زادك من فمك والملابس مـن وراء ظهرك، وروحك من جسدك...".

ثم تشبثت بى فجأة، وقالت:

"أنـا خائفة، أخبرك بهذا، خائفـة. إن صوتها لا يتردد فى أذنـىّ بل هنـا فى رأسـى"، ومسحـت جبهتها، وقالـت: سوف تأخذنـى بعيدًا، "سـوف تأخذنى بعيدًا، وعندئـذ ماذا سيكون بوسعى أن أفعل، وماذا سيحدث لى؟".

وارتفـع صوتها إلى حد الصراخ، ولاحـت فى عينيها نظرة الحيـوان المرتعـد الـذى يدافع عن نفسـه بضراوة فـى ساحة الافتراس...

وفجأة ابتسمت ابتسامة لطيفة، ولكنها مليئة بالمكر والدهاء يتخللها شىء جعلنى أرتجف.

"لـو وصل الأمر لهذا الحـد، يا سيـد راءول، فأنا لدىَّ قوة كامنة فى يدىّ لدى قوة كامنة فى يدىّ".

لم أكن ألاحظ، من قبـل، يديها تحديدًا؛ لذا نظرت إليهما فارتعـدت رغـم أنفـى. فأصابعهـا قصـيرة وغليظـة كأصابع

الوحوش، وكمـا قالت فيليسـى، قوية للغايـة ... لا أستطيع أن أشـرح لكم الذهـول والرهبة اللذين غمرانـى، فلابد أن يدين كهاتين قد استخدمهما أبوها فى شنق أمها...

وكانت هذه هى المرة الأخيرة التى رأيت فيها فيليسى بولت، وبعـد ذلك سافـرت على الفور للخـارج، إلى أمريكا الجنوبية. وعـدت بعد سنتين مـن وفاتها. وقرأت شيئًـا فى الصحف عن حياتهـا وموتها المفاجئ. ولقد سمعـت التفاصيل بأكملها اليوم منكـم، عن فيليسى (٣) وفيليسـى (٤)، ألا تنتابنى الدهشة؟ لقد كانت ممثلة رائعة، كما تعلمون!".

أبطـأ القطار من سرعتـه، فعدل الرجل فـى الركن الآخر عـن جلوسه، وجلس منتصبًا ودثر نفسه بمعطفه وجعله محكمًا عليه.

سأل المحامى وهو يومئ للأمام: "ما وجهة نظرك؟".

فشـرع رجـل الديـن برافيت فـى الحديـث قائـلاً: "أنا لا أستطيع أن أصدق..."، ثم سكت.

لم يقـل الدكتور شيئًا بل أخذ يحـدق فى راءول ليناردو ولم يحول نظره عنه طرفة عين.

اقتطـف الرجـل الفرنسى جملـة فيليسـى فكررها بلطف: "الملابس من وراء ظهرك، والروح من جسدك". ونهض قائلاً: "أخبركـم يا سـادة بأن حكاية فيليسى بولـت هى ذاتها حكاية أنيـت رافيـل. أنتم لا تعرفونهـا يا سادة ولكنـى أعرفها. كانت مولعة بالحياة...".

وبعد أن وضع يديه على الباب مستعدًا للخروج التفت فجأة وانحنى ليربت بيده على صدر رجل الدين برافيت.

آلمت يده معدة رجل الدين حين قال: "السيد الدكتور الذى يجلس هناك قال توًا إن هذا ليس إلا مسكنًا. إذن فأخبرنى ماذا تفعل لو وجدت لصًا يقتحم مسكنك؟ ستقتله، أليس كذلك؟".

صاح رجل الدين قائلاً: "لا، بالفعل لا، وأنا أعنى ذلك، ليس فى هذا البلد".

ولكن كلماته الأخيرة ترددت فى الأجواء الخالية. حيث صُفع باب عربة القطار.

وجلس رجل الدين والمحامى والدكتور بمفردهم. وأصبح مكان الرجل الرابع خاليًا.

THE GHOST 92

استغاثة

١

قال السيد دينسميد بإعجاب: "آه!".

عاد إلى المنضدة المستديرة وتفحصها باستحسان، حيث كان ضوء الشمعدان يومض متلألئًا على مفرش المنضدة الأبيض غير المصقول، وتصطف السكاكين والشوك، وباقى أدوات المائدة.

تساءلت السيدة دينسميد فى تردد: "هل... هل كل شىء تم إعداده؟". كانت السيدة دينسميد امرأة هزيلة صغيرة الحجم، ذات وجه شاحب وشعر ضعيف تمشطه للخلف، ودائماً ما تكون عصبية فى تصرفاتها وأسلوب حياتها.

قال زوجها بلطف شديد: "كل شىء تم إعداده".

وكان السيد دينسميد رجلاً ضخمًا، ذا كتفين منحنيين، ووجه عريض تملؤه الحيوية، ولديه عينان ضيقتان كعينى

النمر، تدوران أسفل حاجبيه كثيفى الشعر.

اقترحت السيدة دينسميد، فى صوت أقرب ما يكون إلى الهمس: "عصير الليمون؟".

هز زوجها رأسه نافياً، وقال:

"الشاى، فهو أفضل فى جميع الأحوال. انظرى إلى الطقس بالخارج! إن المطر ينهمر بغزارة والرياح تعصف مدوية، لذا، فإن فنجان شاى ساخن حلو المذاق هو ما يحتاج إليه أى شخص على العشاء فى مثل تلك الليلة".

وغمز بعينيه على نحو طريف، ثم أسقط عينيه على المنضدة ليتفحصها ثانية، وقال:

"طبق شهى من البيض، لحم بقرى بارد، خبز وجبن هذا هو ما أريده على العشاء، فهيا أعديه أيتها الأم. إن تشارلوت فى المطبخ لتساعدك".

نهضت السيدة دينسميد وأنهت ما كانت تحيكه ولفت بكرة الخيط وهمهمت قائلة: "لقد أصبحت الآن فتاة حسنة المظهر، ويمكن القول إنها صارت غاية فى الجمال".

قال السيد دينسميد: "آه! صورة طبق الأصل من أمها! إذن انهضى ولا تهدرى المزيد من الوقت".

وأخذ يتجول فى الغرفة على مهل ويحدث نفسه لمدة دقيقة أو اثنتين، وما إن وصل إلى النافذة حتى نظر خارجها، وتمتم قائلاً: " إنه طقس سيئ للغاية، وليس من المحتمل أن يأتى ضيوفنا هذه الليلة".

ثم ترك هو الآخر الحجرة.

وبعد نحو عشر دقائق دخلت السيدة دينسميد حاملة طبق البيض المقلى، وتبعها ابنتاها تحملان باقى الطعام، ثم أتى بعدهن السيد دينسميد وابنه جونى، وجلس الأول على رأس المنضدة.

ثم قال على سبيل الفكاهة: "إننا لا نريد أكثر من ذلك، أكرم الله ذلك الشخص الذى أوجد فكرة الأطعمة المعلبة، فلا أعرف ماذا كنا سنفعل، ونحن على بعد أميال من الأماكن المأهولة لو لم يكن لدينا أطعمة معلبة نلجأ إليها بين الحين والآخر، عندما يغفل الجزار عن إحضار طلبنا الأسبوعى؟".

وأخذ يقطع شرائح اللحم بإتقان.

قالت ابنته ماجدلين باستياء: "إننى أتعجب من الذى فكر فى بناء منزل كهذا يبتعد أميالاً عن أى مكان مأهول بالسكان حتى إننا لا نرى شخصًا واحدًا".

قال الأب: "لا، ولا يوجد شخص واحد".

قالت تشارلوت: "إننى لا أدرى ما الذى دفعك لشراء هذا البيت يا أبى".

"ألا تدرين، يا ابنتى؟ حسناً، كان لدىّ أسباب دفعتنى لذلك، كان لدىّ أسبابى".

واتجه بعينيه إلى زوجته فنظر إليها خلسة، لكنها عبست بوجهها.

قالت تشارلوت: "كما أنه منزل مسكون، فأنا لا أستطيع النوم بمفردى فى حجرتى مهما كان الأمر".

قال الأب: "هذا هراء، فأنت لم ترَ من قبل شيئاً قط، أليس كذلك؟ أجيبي".

"ربما لم أر شيئاً، لكن ـ".

"لكن ماذا؟".

لم تجبه تشارلوت، ولكنها ارتعدت قليلاً، حيث ارتطم المطر الذى أخذ ينهمر بغزارة بأسطح النوافذ الزجاجية، وسقطت ملعقة من يد السيدة دينسميد فوق الصينية محدثة رنيناً.

قال السيد دينسميد: "إنك ليست متوترة أيتها الأم، أليس كذلك؟".

"كل ما فى الأمر أن الطقس سيئ هذه الليلة. لا يقلقك هذا، فنحن فى أمان هنا بجوار المدفأة وليس من المحتمل أن يزعجنا أى شخص بزيارته. إنها لمعجزة أن يقوم أى شخص بزيارتنا، والمعجزات لا تتحقق. لا، لن يحدث هذا". ثم أضاف كأنه يحدّث نفسه برضا واضح: "المعجزات لا تتحقق".

ولم يكد يكمل كلمته الأخيرة حتى فوجئ الجميع بطرق على الباب، فوقف السيد دينسميد متصلباً فى مكانه.

وتمتم قائلاً: "من يكون هذا؟"، بينما بدت على وجهه ملامح الدهشة.

وصرخت السيدة دينسميد صرخة تذمر ولفّت الشال حولها. وتغير لون وجه ماجدلين فمالت نحو والدها وقالت له: "لقد تحققت المعجزة، ومن الأفضل أن تذهب وتسمح للطارق بالدخول".

٢

منذ عشرين دقيقة ومورتيمر كليفلاند يقود سيارته وسط هطول الأمطار والضباب الذى يغطى الزجاج الأمامى. لقد كان حظاً سيئاً ومريراً بالفعل عندما اختُرقت إطارات السيارة بثقبين لا يفصل بينهما سوى عشر دقائق، هنا فى هذا المكان المنعزل الذى يبعد أميالاً عن المناطق المأهولة، تحاصره منحدرات ويلتشاير المقفرة، بينما بدأ ظلام الليل ينسدل دون أمل فى وجود أى مأوى، وكان من الأصلح أن يجد طريقًا مختصرًا، لكنه فقط يتمنى أن يضع قدميه على الطريق الرئيسى! فقد ضل الطريق ووجد نفسه فيما يشبه البيداء، وليس من المحتمل أن توجد حتى قرية صغيرة على مقربة من هذا المكان.

تلفت حوله فى حيرة، ولفت نظره ضوء ينبعث من جانب التل، ولكن واراه الضباب مرة أخرى. فانتظر فى صبر إلى أن رأى ضوءا ينبعث ثانية، وبعد لحظة تأمل غادر سيارته وتوجه لصعود جانب التل.

ولم يمض وقت طويل حتى تحرر من الغمام وأدرك أن الضوء ينبعث من نافذة منزل صغير، وهنا وجد مأوى له. فأسرع مورتيمر خطاه، وخفض رأسه لمواجهة الهجوم الشديد من العواصف والأمطار التى بدت كأنها تبذل أقصى ما بوسعها لردعه وقهره.

كان كليفلاند يستحق مزيداً من الشهرة، لكن الغالبية كانوا يجهلون تماماً اسمه وإنجازاته. كان كليفلاند فذاً فى

العلـوم العقليـة، وألف كتابـين رائعين عن العقـل الباطن، كما كان عضـواً فى جمعية أبحاث علم النفسـ، ودرس بعض علوم التنجيم، الأمر الذى أثر على نتائج أبحاثه والمسار الذى يسلكه فى مجاله.

كان بطبيعتـه شديـد الحساسيـة للأجـواء المحيطـة بـه، وقـد أضـاف إلى تلك الهبة الربانية تدريبـه القائم على أسس مدروسـة. وعندما وصل فـى النهاية إلى المنـزل وطرق الباب أدرك حدوث إثارة وانتباه فى الداخل كما لو أن قدراته الفطرية قد انتعشت على الفور.

لقـد كانـت تمتمة الأصـوات داخـل المنزل واضحـة وجلية بالنسبـة لـه. وإثر طرقه البـاب اختفت تلـك التمتمات وأطبق صمـت مفاجئ على المكان، ثـم صدر صوت احتكاك كرسى مع الأرضيـة يُدفع للخلـف. وبعد ذلك بدقيقة فتـح صبى فى نحو الخامسة عشرة الباب بقـوة وبعنف، فأخذ كليفلاند ينظر من فوق كتفيه لكى يرى المشهد بالداخل.

وذكره هذا المشهـد باجتماع داخلى يرأسه أحد السادة من الهولنديـين، حيث رأى منضدة مستديرة مُعدة لتناول الطعام، وتجمعًـا أسريًا يلتف حولها، وفوقها شمعـة أو اثنتان يتراقص لهيبهما، بالإضافة إلى المشعل الذى يضىء المكان كله. ويجلس الأب، ذلـك الرجـل كبير الحجم عنـد أحد طرفيهـا، وتجلس أمامه سيدة ذات شعر رمادى ووجه تظهر عليه ملامح الخوف. وفـى مواجهة البـاب أمام كليفلاند مباشـرة تجلس فتاة كانت عيناهـا تنظران إلى عينيه فى دهشة، بينما تصلبت يدها التى

تحمل فنجاناً فلم تصل إلى فمها.

وبمجـرد أن وقعت عينـا كليفلاند عليهـا، رأى فتاة جميلة من طابع خاصـ غير مألوف، فشعرها الذهبـى المائل للحمرة ينسدل حول وجهها ليحجـب عنها الرؤية. وعيناها متباعدتان للغاية، يومضان لونـاً رماديـاً صافياً وفمهـا وذقنها يماثلان ذلكما اللذين تملكهما مادونا الإيطالية.

سـاد البيـت لحظـات مـن الصمـت التـام قبـل أن يدخل كليفلانـد إلى الحجـرة ويبدأ فـى شرح المأزق الـذى وقع فيه، حيـث سرد لهم كليفلاند قصته بكل تفاصيلها. ثم جاءت وقفة يصعـب تفسيرها أو فهمها. وفـى النهاية نهض الأب وبدا كأنه كان قد بذل مجهوداً فى نهوضه.

وقال: "تفضل يا سيد ... كليفلاند، هكذا اسمك؟".

قال مورتيمر مبتسماً: "بالفعل هذا هو اسمى".

"آه! نعـم، تفضل يا سيد كليفلانـد فالطقس بالخارج غير مناسـب على الإطلاق، أليس كذلك؟ تفضل إلى جانب المدفأة. هـلا أغلقت البـاب يا جونى؟ لا تقـف متصلباً عنـدك إلى أن ينقضى النصف المتبقى من الليل".

تقـدم كليفلانـد وجلس على كرسى خشبى بجـوار المدفأة. وأغلق جونى الباب.

قـال الرجل، الـذى أصبـح الآن فى غاية اللطـف: "إسمى دينسميـد، وهـذه هـى زوجتـى، وهـا همـا ابنتـاى تشارلوت وماجدلين".

وكانت هـذه هى المرة الأولى التى يـرى فيها كليفلاند وجه الفتاة التى كانت تجلس وقد أعطته ظهرها. ووجد أن ملامحها تختلف كل الاختلاف عـن شقيقتها إلا أنها كانت جميلة أيضاً. فهـى داكنة البشـرة، ووجهها شاحـب شحوب المرمـر، وأنفها معقوف، وفمها غائر. لكن كان جمالها نوعاً من الجمال الكالح وربما المنفر. وقابلت تقديم أبيها لها بانحناءة لرأسها، ونظرت إليه بتحديـق متعمد لتبحث فى هيئتـه وشخصيته، حيث بدت كأنهـا تكـوّن رأيًا عنـه، بينما تقيمـه من خلال وجهـة نظرها الشابة.

تردد السيد دينسميد للحظة ثم التقط الفناجين الخمسة؛ واحداً تلو الآخر من فـوق المنضدة وأفرغ محتوياتها جميعاً فى إناء كبير.

وقـال بأسلوب جـاف: "هذا الشاى بـارد، ألا تحضـرين لنا غيره أيتها الأم؟".

نهضت السيدة دينسميد وانصرفت على عجل بإناء الشاى. واعتقد مورتيمر أنها سعدت بمغادرة الحجرة.

وسرعان ما عاد الشاى الساخن وتكدست الأطعمة للضيف غير المتوقع.

تحـدث السيـد دينسميد وأسهـب فى الحديـث، لكنه كان لطيفًا ومهـزارًا، حيث أخبر الغريب بكل شىء عن نفسه. فلقد تقاعد مؤخراً عن العمـل فى مجال تجارة العقارات، لكنه حقًا قـد استفاد من هذا العمل، فقد شعر هووزوجته بأنهما بحاجة إلى جـو ريفى ذى هواء نقى ذلك المناخ الذى لم يعيشا فيه قط

مـن قبل. ومن الخطأ أن يقع اختيارك على فترة شهرى أكتوبر ونوفمبر لتنتقل فيهمـا إلى الريف، ولكنهما لم يريدا الانتظار، ولعل إحدى الجمل التى كان يرددها: "إننا لا نأمن مكر الحياة، كمـا تعلم يا سيدى" تعبر عن ذلك. لذا قاما بشراء هذا المنزل الذى يبعد بحوالى ثمانية أميال عن المناطق المأهولة بالسكان، ويبعد حـوالى تسعة عشر ميلاً عما يسمى بالمدينة. ولم يشتكيا من مـكان هذا المنـزل، فبينما كانت الفتاتـان تجدانه موحشًا وكئيبًا قليلاً كان الزوجان يستمتعان بهدوئه.

وأسهب السيد فى الحديث تاركاً مورتيمر واقعاً تحت تأثير تنويم مغناطيسى إثر تدفق حديثه، ورغم أنه لا يوجد شىء فى هـذا المكان يمكـن أن يلحظه أى شخص سـوى الحياة العائلية المألوفـة والمعتادة؛ إلا أنه استشعـر من الوهلة الأولى التى دخل فيها المنزل بأن هناك بعض التوتر والانفعال اللذين ينبعثان من أحد الأفـراد الخمسة، ولكنه لا يعرف من هو تحديداً. لكن كل ذلك مجرد حماقـة، وربما كانت أحاسيسه كلها غير صحيحة! وربما كان كل ذلك بسبب دهشتهم إثر زيارته المفاجئة لهم.

وتطـرق مورتيمـر إلى مسألة إيوائه هـذه الليلة فتلقى الرد فـى الحال: "ينبغى عليك أن تبقى معنـا يا سيد كليفلاند، فلا يوجد أى مأوى آخر لمائة ميل حولنا، وبإمكاننا توفير حجرة نوم لك، ورغم أن ملابس نومى ربما تكون أكبر من مقاسك إلا أنها أفضل من لا شىء، وسوف تجف ملابسك بقدوم الصباح".

"هذا كرم منك".

قال الرجل بلطف: "على الإطلاق، فمثلما قلت لك من قبل إن الطقس فى هذه الليلة سيئ للغاية. انهضا يا تشارلوت أنت وماجدلين وأعدا الحجرة".

غادرت الفتاتان الحجرة، وسمع مورتيمر تحركهما فوق رأسه فى الطابق العلوى.

قال كليفلاند: "أرى أن هذا المكان موحش وكئيب لفتاتين جذابتين مثل ابنتيك".

قال السيد دينسميد بابتهاج أبوى: "إنهما حسناوان، أليس كذلك؟ فهما لا يشبهان أمهما ولا يشبهاننى كثيرًا، فنحن زوجان قبيحان إلا أننا شديدا الارتباط ببعضنا البعض. أؤكد لك هذا يا سيد كليفلاند. أليس الأمر كذلك يا ماجى؟".

ابتسمت السيدة دينسميد فى الحال، ثم شرعت فى الحياكة ثانية، حيث كانت الإبر تصدر نقراً متلاحقاً، فقد كانت حائكة سريعة وتعمل بهمة ونشاط.

وتم الإعلان عن إنهاء إعداد الحجرة. فأعلن مورتيمر بعدما أبدى شكره مرة أخرى للسيد دينسميد عن رغبته فى الانصراف إلى الحجرة.

سألت السيدة دينسميد فجأة من منطلق أنها سيدة المنزل: "وهل وضعتما زجاجة ماء دافئ أسفل الفراش؟".

"نعم، أماه، وضعنا اثنتين".

قالت السيدة دينسميد: "حسناً، اذهبا معه أيتها الفتاتان وتأكدا مما إذا كان له احتياجات أخرى".

صعدت ماجدلين إلى النافذة وتأكدت من إحكام إغلاقها، بينما ألقت تشارلوت نظرة أخيرة على معدات الاغتسال، ثم مكثتا إلى جانب الباب.

"طابت ليلتك يا سيد كليفلاند، هل أنت متأكد من إعداد كل ما تحتاج إليه؟".

"نعم، أشكرك يا آنسة ماجدلين. إننى أشعر بالخجل مما سببته لكما من متاعب، طابت ليلتكما".

"طابت ليلتك".

انصرفت الفتاتان وأغلقتا الباب وراءهما. وأصبح مورتيمر كليفلاند بمفرده، فخلع ملابسه على مهل وهو يفكر. وبعد أن ارتدى رداء نوم السيد دينسميد ذا اللون الوردى جمع ملابسه المبتلة ووضعها خارج الحجرة مثلما أوصاه مضيفه. واستطاع أن يسمع صوت دينسميد القادم من أسفل الدرج.

ياله من رجل ثرثار! شخصية غريبة للغاية، ولكن كان هناك بالفعل شيء ما غامض بشأن العائلة كلها، أم أن هذا لم يكن سوى وهمه وتخيلاته؟

عاد إلى حجرته بهدوء وأغلق الباب، ووقف إلى جوار سريره غارقًا فى التفكير. ثم أدرك...

كانت تغطى المنضدة المصنوعة من خشب الماهجونى أكوام من التراب، وكان مكتوباً على التراب كلمة يمكن قراءتها بوضوح، وهى كلمة استغاثة

أخذ مورتيمر يحدق فى الكلمة كأنه لا يصدق ما تراه عيناه، فهذه الكلمة جاءت تأكيداً لكل تخميناته الغامضة

وكذلك مخاوفه تجاه المكان. إذن فهو على حق، وهناك شىء ما مريب فى هذا المنزل.

(استغاثة)، ولكن أى يد خَطَّت هذه الكلمة على التراب؟ هل هى ماجدلين أم تشارلوت؟ وتذكر أن كلتيها كانتا قد توقفتا هناك للحظة أو اثنتين قبل أن تخرجا من الحجرة. فيد من منهما قد تسللت، خلسة، وكتبت هذه الكلمة على المنضدة؟

وتراءى أمام عينيه وجها الفتاتين، ماجدلين بوجهها داكن البشرة الذى لا يبدى اهتمامًا، وتشارلوت بعينيها الواسعتين ودهشتها ونظراتها الغامضة حينما رآها للوهلة الأولى.

ذهب ثانية للباب وفتحه ولكنه لم يعد يسمع صوت السيد دينسميد، وخيم الصمت على المنزل.

ففكر قائلاً لنفسه:

"لن أستطيع فعل شىء هذه الليلة. حسناً سوف نرى الأمر غدًا".

٣

استيقظ كليفلاند مبكراً، وخرج من حجرته مروراً بحجرة المعيشة حتى وصل إلى الحديقة. كان الصباح صافياً وجميلاً بعد انتهاء المطر، لكن كان هناك شخص آخر قد استيقظ مبكراً؛ ففى أسفل الحديقة وجد كليفلاند تشارلوت منحنية على سياج الحديقة تحدق فى بزوغ الفجر. وازداد الدافع

لديه قليلاً كى ينزل إلى الحديقة لمشاركتها. وطوال هذه المدة كان مقتنعاً فى قرارة نفسه بأن تشارلوت هى التى كتبت تلك الرسالة. وعندما وصل إليها التفتت إليه قائلة: "صباح الخير". لكن نظراتها كانت مباشرة وبريئة كالأطفال، وليس بها أى شىء يوحى بالغموض.

قال مورتيمر مبتسماً: "صباح جميل، فالطقس اليوم يختلف كليًا عن ليلة أمس".

"هو كذلك حقاً".

كسر مورتيمر أحد أغصان شجرة قريبة منهما، ثم أخذ يرسم به، بتراخ، فوق جزء رملى ممهد أسفل قدميه، حيث كتب كلمة (استغاثة) بينما يراقب رد فعلها. ولكنه لم يستطع هذه المرة أيضاً أن يستشف أو يدرك أى إشارة تدل على فهم الفتاة.

قال فجأة على حين غرة: "هل تعرفين ما تشير إليه هذه الكلمة؟".

نظرت تشارلوت فى قليل من التجهم، ثم سألت: "أليست هذه الكلمة هى التى يرسلها قائدو السفن عندما يواجهون كارثة؟".

أومأ مورتيمر قائلاً فى هدوء: "لقد كتب شخص ما هذه الأحرف على المنضدة التى تقع إلى جوار سريرى، وقد اعتقدت أن هذا الشخص ربما يكون أنت".

نظرت إليه بعينين واسعتين تملؤهما الدهشة وقالت:

"أنا؟ أوه، لا..".

إذن لقد أخطأ مورتيمر، وأصابته خيبة أمل حادة، فقد كان متأكداً، كان متأكداً بدرجة كبيرة، وكان قلما تخطئ أحاسيسه.

فأصر قائلاً: "هل أنت متأكدة؟".

"أوه، نعم".

سار الاثنان معًا ببطء عائدين إلى المنزل. وبدت تشارلوت مشغولة ومنهمكة فى التفكير فى شىء ما، حيث كانت تجيب بعشوائية على الملاحظات التى كان يخبرها بها، وفجأة قالت بصوت خفيض: "من الغريب أنك تسأل عمن كتب هذه الكلمة، إننى بالطبع لم أكتبها، أو ربما قد كتبتها عفويًا".

توقف ونظر إليها، ولكنها استمرت فى حديثها فقالت على عجل:

"هذا يبدو سخيفاً، أعرف هذا، ولكننى كنت خائفة، كنت مرتعبة للغاية، وعندما أتيت إلينا الليلة الماضية، بدا لى هذا الأمر كأنه ... كأنه إجابة لشىء ما".

فسألها فى الحال: "مم تخافين؟".

"لا أعرف".

"لا تعرفين؟".

"أعتقد أن السبب هو المنزل، فمنذ أن أتينا إلى هنا ينتابنى خوف متزايد، فكلنا صرنا مختلفين، أبى، وأمى، وماجدلين، لقد تغيروا جميعًا".

لم يتحدث مورتيمر فى الحال، وقبل أن يشرع فى الحديث بادرت تشارلوت بالاستمرار فى الحديث قائلة:

" أتعلم أنه يقال إن هذا المنزل مسكون؟".

أثار هذا اهتمامه فتساءل: "ماذا؟!".

"نعم، لقد قتل رجل زوجته فى هذا المنزل، منذ سنوات. ولم نكتشف هذا إلا بعدما جئنا إلى هنا. وأبى يقول إن الأشباح ما هى إلا هراء، ولكننى لا أعرف الحقيقة".

أخذ مورتيمر يفكر فى عجلة.

وقال فى نبرة توحى بالجدية:

"أخبرينى، هل تم ارتكاب الجريمة فى تلك الحجرة التى كنت أرقد فيها ليلة أمس؟".

قالت تشارلوت: "لا أعلم أى شىء بخصوص هذا الشأن".

قال مورتيمر على نحو يبدو كأنه يتحدث إلى نفسه: "إننى أتساءل، نعم، ربما تكون هى الغرفة".

نظرت إليه تشارلوت فى عدم فهم.

قال مورتيمر بلطف: "آنسة دينسميد، هل حدث لك أى شىء يوحى بأنك على صلة بعالم الأرواح؟".

حدقت تشارلوت النظر إليه.

فقال بهدوء: "أعتقد أنك تعلمين جيداً أن من كتب تلك الكلمة البارحة هو أنت. أوه! بالطبع حدث ذلك دون وعى منك، فقد حدثت جريمة، دعينا نقل إنها أضرت بالمحيط الذى وقعت بداخله، ولعل عقلاً حساسًا مثل عقلك ربما اضطر إلى التصرف على هذا النحو، فلطالما كنت تتقمصين مشاعر وانطباعات الضحية، وربما تكون الضحية قد كتب كلمة "استغاثة" على المنضدة فى تلك الحجرة منذ سنوات عديدة،

وبالتالى فقد أعدت تكرار هذا الفعل ليلة أمس".

اعتلى وجه تشارلوت الإثارة.

فقالت: "أفهم، أتعتقد أن هذا هو تفسير ما حدث؟".

ثم سمعت صوتاً ينـادى عليها قادمًا من المنـزل، فذهبت تاركـة مورتيمـر يذرع الحديقـة جيئـة وذهاباً. هل هـو راض ومقتنع بتفسيره؟ وهل هـذا التفسير يتضمن كل الحقائق التى عرفهـا؟ وهل يفسر ذلك التوتر الذى شعـر به عند دخوله إلى المنزل الليلة الماضية؟

ربما، إلا أنه لايزال ينتابه ذاك الشعور الغريب بأن حضوره المفاجئ قد سبب نوعًا من الذعـر الشديد داخل المنزل، ففكر قائلاً لنفسه:

"ينبغـى ألا أنساق وراء التفسير النفسـى الذى ربما يفسر حالـة تشارلوت فقط، وليس كل الآخرين، فمجيئى قد أزعجهم جميعـاً بشكل مفزع، فيما عدا جونى، لكن مهما يكن الأمر فإن جونى بعيد تماماً عن كل هذا.

لقد كان متأكداً من هـذا، ومن الغريب أن يكون واثقًا لهذا الحد، ولكن كان الأمر هكذا.

وفى هذه اللحظة خرج جونى بنفسه من المنزل واقترب من الضيف.

وقال على نحو غير متلائم: "طعام الإفطار تم إعداده، هلا تفضلت؟".

لاحظ مورتيمر أن أصابع الفتى كانت ملطخة، وأدرك جونى ما توحى به نظرته إليه فضحك فى حزن قائلاً:

"كثـيراً ما أعبث بالمواد الكيميائيـة، وهذا يجعل أبى عنيفاً فـى بعض الأحيان تجاهى. فهو يريد أن أدرس الهندسة المدنية والعمـار، ولكننى أريد دراسة الكيمياء وعمل الأبحاث الخاصة بها".

ظهر السيـد دينسميد أمامهما مطلاً مـن النافذة مبتهجًا مرحـاً ومبتسماً، وما إن وقعت عينـا مورتيمر عليه حتى ثارت بداخلـه كل مشاعر الريبـة والضغينة تجاهـه. وكانت السيدة دينسميد جالسة على المنضدة، فقالت له بصوت فاتر: "صباح الخير"، فأحس ثانية بأنها خائفة منه لسبب أو لآخر.

وفـى النهاية حضرت ماجدلـين وأومأت لـه إيماءة خفيفة وجلست على المقعد المقابل له.

سألتـه على حـين غرة قائلة: "هل كان نومـك على ما يرام بالأمس؟ أكان الفراش مريحاً؟".

ونظـرت إليه فى شغـف، وعندما أجابها بلطـف بالإيجاب لاحـظ لمحة مـن خيبة الأمل تعلـو وجهها وتسـاءل، ماذا كانت تتوقع أن يجيبها به؟

فالتفت إلى مضيفه قائلاً فى سرور:

"يبدو أن ابنك لديه اهتمامات بالكيمياء، أليس كذلك".

ثم صـدر صوت ارتطـام إثر سقوط فنجـان الشاى من يد السيدة دينسميد.

قال زوجها: "ماذا إذن يا ماجى، ماذا إذن".

بـدا لمورتيمر إن صـوت دينسميد ونبرته بها نـوع من اللوم والتحذير، ثم التفت إلى ضيفه وتحدث إليه بإسهاب عن مزايا

تجارة العقارات وعدم ترك صغار الأبناء وشأنهم يتجهون لما يحلو لهم.

وبعد الإفطار خرج كليفلاند للحديقة. لقد حان الآن الوقت الذى ينبغى فيه أن يرحل عن المنزل. فلم يكن يؤوى لهذا البيت سوى لليلة واحدة فقط، وإطالة مدة مكوثة بدون أية أعذار سوف يكون أمراً صعباً. وما العذر الذى يمكن تقديمه؟

وبعدما قلب الموضوع فى رأسه قرر الرحيل وسلك طريقاً دائريًا يؤدى إلى الجزء الآخر الخلفى من المنزل. وكان نعل حذائه من المطاط الخفيف، وبالتالى كان الصوت الصادر عنه خافتاً يكاد يكون منعدماً، وأثناء مروره بنافذة المطبخ سمع كلمات دينسميد بالداخل والتى جذبت انتباهه فى الحال إذ قال:

"إنه قدر لا بأس به من المال".

وردت عليه السيدة دينسميد، لكن صوتها كان خفيضًا فلم يسمعها مورتيمير، ولكن دينسميد رد قائلاً:

"قال المحامى حوالى ستين ألف جنيه".

لم يكن لدى مورتيمر النية أو الرغبة فى التنصت، لكنه أكمل خطاه منغمساً فى التفكير، فذكر المال بدا كأنه قد بلور الأمر وأوضح معالمه، إذن فإن الأمر يتعلق بشكل أو بآخر بمسألة الستين ألف جنيه وهذا جعل الأمر أكثر وضوحاً وقبحًا فى الوقت نفسه.

توجهت ماجدلين إلى خارج المنزل، لكن سرعان ما سمعت صوت أبيها يستدعيها فدخلت إلى المنزل ثانية. بينما توجه

دينسميد لمرافقة ضيفه.

وقال بلطف: "صباح الخير، أتمنى ألا يكون قد أصاب سيارتك سوء".

فكر مورتيمر بينه وبين نفسه قائلاً: "إنه يريد فقط أن يعرف متى سأدخل".

شكر كليفلاندا السيد دينسميد مرة أخرى بحرارة على استضافته له.

ورد دينسميد: "عفوًا، عفوًا".

خرج كل من ماجدلين وتشارلوت من المنزل، تتعلق إحداهما بذراع الأخرى إلى أن جلستا على مقعد مصنوع من الأغصان يقع على مسافة قريبة. فشكل كل من الشعر الداكن والذهبى معاً تناقضًا جميلاً. وقال مورتيمر فى اندفاع:

"تختلف كل واحدة من ابنتيك عن الأخرى كل الاختلاف يا سيد دينسميد".

كان دينسميد يشعل الغليون، فهز رسغه بعنف ليطفئ عود الثقاب ثم ألقاه وقال: "أتعتقد ذلك؟ نعم، حسناً أظنهما كذلك".

كان مورتيمر يتمتع بسرعة البديهة.

فقال بلطف: "ولكن بالطبع ليست إحداهما ابنتك".

قال: "هذه مهارة منك لأن تعرف ذلك سيد مورتيمر".

وأردف قائلاً: "واحدة منهن لقيطة كفلناها وهى طفلة رضيعة، وربيناها كابنة لنا، وهى ذاتها لا تعلم شيئاً عن تلك الحقيقة، لكن يجب أن تعرف ذلك قريباً".

اقترح مورتيمر فقال: "أهى مسألة تتعلق بالميراث؟".

فنظر إليه الآخر نظرة تملؤها الريبة والشك.

ويبدو أنه قرر بعد ذلك أن الصراحة هى الأفضل، فأصبح أسلوب حديثه إلى كليفلاند صريحاً وبلا حدود على نحو عدائى، حيث قال:

"إنه لمن الغريب أن تتحدث فى مثل تلك الأمور يا سيدى".

قال مورتيمر: "إنه مجرد تخاطر، أليس كذلك؟" ثم ابتسم.

"هكذا الأمر، لقد كفلناها حتى نجبر الأم على دفع مبلغ من المال حيث كنت آنذاك مبتدئاً فى تجارة العقارات. ومنذ بضعة أشهر لفت انتباهى إعلان بالجريدة ولاحظت أن الطفلة التى يتعلق الإعلان بها هى ابنتنا ماجدلين. فذهبت إلى المحامين وجرت أحاديث عدة بيننا بشكل أو بآخر. وكان ينتابهم الشك تجاهى، ولكن هذا أمر طبيعى كما تعرف، ولكن كل شىء قد اتضح الآن. سوف أصطحب الفتاة إلى لندن الأسبوع القادم. وهى لا تعلم أى شىء عن ذلك حتى الآن. ويبدو أن والدها كان أحد الأثرياء، حيث علم بوجود ابنته قبل شهور قليلة من وفاته، وعين وكلاء لمحاولة العثور عليها، وخصص كل أمواله لتكون ملكًا لها عند العثور عليها.

أنصت إليه مورتيمر باهتمام بائع، فلم يكن لديه أى سبب للشك فيما قاله السيد دينسميد. فقصته تفسر سبب جمال ماجدلين الداكن، وكذلك توضح السبب وراء تصرفاتها ونمطها البعيد كل البعد عن باقى أفراد الأسرة. ومع ذلك

ورغم أن القصة ذاتها يحتمل أن تكون صادقة، إلا أن هناك شيئاً ما يتوارى وغير مُصرح به.

ولكن مورتيمر لم تكن لديه الرغبة فى إثارة شكوك مُحدثة، بل وجد أن عليه ألا يصطدم به كى يهدئ من روعه.

قال: "إنها قصة شائقة سيد دينسميد، وأهنئ الآنسة ماجدلين على الإرث والجمال، إن الحياة أمامها مفتوحة على مصراعيها".

وافقه الأب وقال بلطف: "نعم أمامها الحياة كلها، كما أنها فتاة حسنة من هؤلاء اللاتى يندر تواجدهن يا سيد كليفلاند".

جاء أسلوبه محملاً بكل مشاعر الدفء والحب.

قال مورتيمر: "حسناً، أظن أنه لابد أن أرحل الآن. وأقدم لك شكرى مرة أخرى على استضافتك الطيبة لى".

واصطحبه مضيفه إلى داخل المنزل ليودع السيدة دينسميد، التى كانت تقف فى النافذة وظهرها مواجه له ولم تسمعهما عند دخولها. وعندما قال لها زوجها فى مرح: "ها هو السيد كليفلاند قد جاء ليودعك" والتفت فى عصبية إليها وقع من يدها شىء كانت تمسك به، فناولها مورتيمر إياه. كانت صورة لشارلوت يبدو أنها قد رسمت منذ خمسة وعشرين عاماً. وكرر مورتيمر كلمات الشكر ذاتها التى قدمها لزوجها، ولاحظ ثانية الخوف الذى بدا عليها.

لم تكن الفتاتان تحضران ذلك اللقاء. ولكن كان جزءًا من خطة مورتيمر وسياسته عدم إبداء الاهتمام لرؤية الفتاتين،

كما أن لديه أفكاره الخاصة التى ثبتت صحتها بقدر ضئيل.

لقد سار لحوالى نصف ميل بعيداً عن المنزل إلى حيث ترك سيارته الليلة الماضية فوجد الشجيرات التى تصطف على جانب الطريق مطروحة جانباً، وفوجئ بماجدلين قادمة فى مواجهته.

قالت له: "كان لابد أن أراك".

قال مورتيمر: "لقد توقعت أنه أنت. إنه أنت من كتبت كلمة "استغاثة" على منضدة غرفتى ليلة أمس، أليس كذلك؟".

أومأت ماجدلين.

سأل مورتيمر فى لطف: "لماذا؟".

استدارت الفتاة وأخذت تنزع الأوراق من أغصان الشجيرات.

وقالت: "لا أعلم، حقاً لا أعلم".

قال مورتيمر: "أخبرينى".

أخذت ماجدلين نفساً عميقاً.

قالت: "إننى شخصية عملية، ولست واحدة من الذين يخدعهن الخيال والوهم. إننى أعلم أنك تؤمن بالأرواح والأشباح، أما أنا فلا، ولذا فعندما أقول لك إن هناك شيئاً ما مريبًا فى هذا البيت"، وأشارت إلى أعلى التل وأكملت: "فأعنى أن هناك بالفعل شيئاً ما مريبًا وليس على ما يرام. إنه ليس مجرد صدى يردده الماضى. فقد أخذ يتصاعد منذ أن أتينا للعيش هنا. وكل يوم يزداد الوضع سوءاً، ويصبح أبى أكثر اختلافاً عن اليوم الذى سبقه وكذلك أمى وشارلوت".

قاطعها مورتيمر سائلاً: "وهل جونى أيضاً يختلف؟".

نظرت إليه وأجابته فى استحسان بدا فى عينيها. وقالت: "لا، ينبغى الآن أن أفكر فى ذلك، فجونى لا يبدو مختلفاً. وهو الشخص الوحيد الذى لا يمتد إليه ذلك التغيير، ولا يؤثر عليه على الإطلاق. فلم يكن مختلفاً ليلة أمس أثناء تناول الشاى".

قال مورتيمر: "وأنت؟".

"لقد كنت خائفة خائفة للغاية بالضبط مثل الطفل، دون أن أعرف ما هذا الذى أخشاه، وأبى كان غريبًا، ولا يوجد كلمة أخرى يمكن التعبير بها سوى كلمة غريب. لقد كان يتحدث عن المعجزات ولكنى حقاً دعوت الله كى تتحقق معجزة فطرقت أنت الباب".

توقفت ماجدلين فجأة وأخذت تحدق النظر إليه.

وقالت فى جرأة: "أعتقد أننى أبدو لك مجنونة".

قال مورتيمر: "لا، على النقيض تماماً، فأنت عاقلة إلى حد بعيد. وكل العقلاء يتوارد إليهم تحذيرات تنذرهم بالخطر إن اقترب منهم".

قالت ماجدلين: "إنك لم تفهم ما أقصد قوله. أنا لم أكن خائفة بشأنى".

"إذن على من تخافين؟".

ولكن لم يكن من ماجدلين سوى أن هزت رأسها على نحو محير، وقالت: "لا أعلم".

واستمرت فى حديثها قائلة: "لقد كتبت كلمة "استغاثة" بدافع فى نفسى، واعتقدت فى عبث بلا شك بأنهم لن يتركونى

أتحدث إليك، أعنى باقى أفراد الأسرة. ولا أعرف ما الذى كنت أريده منك أن تفعله، ولا أعرف حتى الآن".

قال مورتيمر: "لا بأس. سأفعل".

"ماذا بإمكانك أن تفعل؟".

ابتسم مورتيمر قليلاً.

وقال: "سأفكر".

فنظرت إليه فى ريبة.

قال مورتيمر: "نعم، يمكن فعل الكثير فى هذا الصدد، أكثر مما يمكن أن تتوقعيه. أخبرينى هل هناك كلمة أو عبارة لفتت انتباهك قبل تناول الطعام مباشرة مساء أمس؟".

قالت ماجدلين فى اقتضاب: "لا أعتقد ذلك، ربما يكون ذلك على الأقل عندما سمعت أبى يتحدث إلى أمى عن كون تشارلوت تشبهها كثيراً، وضحك بطريقة غريبة، ولكن لا يوجد شىء غريب فى ذلك، أليس كذلك؟".

قال مورتيمر فى هدوء: "لا، إلا إذا كانت تشارلوت هى أمك".

وبقى مورتيمر غارقًا فى التفكير لدقيقة أو اثنتين، ثم رفع بصره فوجد ماجدلين تمعن فيه النظر وهى فى شك وريبة مما يقول.

قال: "اذهبى الآن يا صغيرتى، ولا تقلقى. اتركى هذا الأمر لى".

أطاعته ماجدلين فتوجهت إلى أعلى التل فى طريقها للمنزل. بينما تجول مورتيمر بعض الوقت ثم جلس على المرج

الأخضر، وأغمض عينيه، وتتابعت الأفكار فى رأسه.

يا لجونى! دائما ما يعود بتفكيره إلى جونى. جونى برىء تماماً، فهو خارج تلك الشبكة التى تتقاطع فيها خيوط الشك والتآمر، إلا أنه هو المحور الذى تدور حوله كل الأشياء. وتذكر سقوط فنجان السيدة دينسميد فوق الطبق أثناء تناول الإفطار هذا الصباح. فما الذى سبب اهتياجها هذا؟ هل بسبب إشارته العارضة حول ولع الفتى بالكيمياء؟ وفى تلك اللحظة لم يكن ينتبه فيها إلى دينسميد، ولكنه الآن يراه بوضوح وهو يجلس ماسكاً فنجان الشاى وقد تجمدت يده فلم يصل الفنجان إلى فمه.

ودفعه هذا إلى الرجوع للتفكير فى تشارلوت، حيث رآها عندما فتح له جونى الباب ليلة أمس. لقد كانت تجلس محدقة له من فوق حافة فنجانها. وفى انسيابية توالت الأفكار برأسه، فتلا ذلك تذكره لتفريغ السيد دينسميد لفناجين الشاى واحداً تلو الآخر قائلاً: "هذا الشاى بارد".

تذكر البخار الذى كان يتصاعد منه. حقاً لم يكن الشاى بارداً، أليس كذلك؟

وبدأ شىء ما يهيج برأسه. وهو تذكرة لشىء ما كان قد قرأه منذ فترة ليست بعيدة، ربما منذ شهر. شىء يتعلق بتسمم عائلة بأكملها بسبب إهمال فتى، عندما تساقطت بعض القطرات من عبوة زرنيخ فوق الخبز كان قد تم وضعها فى خزانة الطعام. لقد قرأ عن تلك الحكاية فى الصحيفة، وربما يكون السيد دينسميد قرأ عنها هو الآخر.

بدأت الأمور تتضح الآن.

وبعد مضى حوالى نصف ساعة نهض مورتيمر وانتصب على قدميه.

٤

عاد المساء محددًا إلى المنزل، وتم سلق البيض وإعداد عبوة لحم كانت هناك تلك الليلة. ودخلت السيدة دينسميد من المطبخ حاملة إناء كبيرًا من الشاى. وأخذ أفراد العائلة مقاعدهم حول المنضدة.

قالت السيدة دينسميد وهى تنظر إلى النافذة: "إن الطقس اليوم على نقيضه بالأمس تماماً".

قال السيد دينسميد: "نعم فهو هادئ وساكن اليوم، حتى إنك تستطيعين سماع سقطة الإبرة على الأرض. والآن هل صببت لنا الشاى أيتها الأم؟".

ملأت السيدة دينسميد الفناجين ووزعتها حول المنضدة. وبعد ذلك بمجرد أن وضعت إناء الشاى، صرخت فجأة ضاغطة بيدها على قلبها. أخذ السيد دينسميد يتلفت فوق كرسيه متتبعاً اتجاهات نظرات عينيها المرعبة، حيث شاهد مورتيمر كليفلاند واقفاً عند مدخل الغرفة.

تقدم كليفلاند وكان لطيفاً فى أسلوبه الذى عبر به عن اعتذاره.

حيث قال: "معذرة أن أكون قد أثرت خوفكم، ولكننى اضطررت لأن أعود لشىء ما".

صرخ السيد دينسميد، وتغير لون وجهه وانتفخ: "عدت لأجل ماذا، لابد أن أعرف ذلك؟".

قال مورتيمر: "لتناول قليل من الشاى".

وبسرعة أخذ شيئاً من حافظته، وتناول كوبا من أكواب الشاى، وأفرغ بعضاً منه فى أنبوب اختبار كان يمسكها بيده اليسرى.

لهث السيد دينسميد قائلاً: "ماذا... ماذا تفعل؟".

وتحول وجهه للون الأبيض من هول المفاجأة، وبدأ اللون الأرجوانى الذى كان قد سبق وساد وجهه يختفى على نحو سحرى، بينما أطلقت السيدة دينسميد صرخة حادة تعبر عن مدى ارتعادها ورعبها.

"أعتقد أنك تقرأ الصحف يا سيد دينسميد، أليس كذلك؟ إننى متأكد من ذلك. فأحياناً ما نقرأ عن عائلات تتسمم بأكملها، بعضهم يشفى، والبعض الآخر لا يشفى. أما فى هذه الحالة فلن يشفى أحد، وأول تفسير سوف يذهب إلى اللحم المعلب الذى كنتم تأكلونه، ولكن ماذا سيكون الأمر إن كان الطبيب الشرعى شخصًا ينتابه الشك تجاه كل شىء ومن الصعب أن يخدعه أمر الأطعمة المعلبة؟ فهناك علبة زرنيخ فى خزانة الأطعمة، وفى الرفّ السفلى توجد عبوة الشاى. كما أن هناك فتحة مناسبة فى الرف العلوى، وبالتالى تكون الاحتمالات أكثر بتسرب الزرنيخ إلى الشاى مصادفة، وسوف

يعاقب ابنك على إهماله، ليس إلا".

لهث دينسميد قائلاً: "أنا ... أنا لا أعلم ما ترمي إليه".

قال مورتيمر: "أعتقد أنك تعلم"، ثم تناول كوباً آخر من الشاي وملأ به أنبوبة اختبار أخرى. ثم ثبت ورقة عباد الشمس الزرقاء على إحداهما وأخرى حمراء على الأنبوبة الأخرى.

ثم أردف يقول: "تلك الأنبوبة ذات الورقة الحمراء تحتوى على الشاى الموجود فى فنجان ابنتك تشارلوت، والأخرى تحتوى على ذلك الموجود فى فنجان ابنتك ماجدلين. وإننى لعلى أهبة الاستعداد لأن أقسم بأن تلك الأولى تحتوى على أربعة أو خمسة أضعاف من نسبة الزرنيخ التى تحتويها الأخرى".

قال دينسميد: "أنت مجنون".

"أوه! لا يا عزيزى، أنا لست بمجنون، لقد ثبت لى اليوم يا سيد دينسميد أن ماجدلين ابنتك، وأن تشارلوت هى الطفلة التى كفلتها، إنها الطفلة التى تشبه أمها إلى حد بعيد حتى إننى عندما أمسكت بصورة مصغرة للأم اعتقدت خطأً أنها صورة لتشارلوت ذاتها. وكان من المفترض أن ترث ابنتك الحقيقية هذه الثروة، ولكن حيث إنه من المستحيل أن تبقى ابنتك بالكفالة بعيدة عن الأنظار خشية أن يراها أحد ممن يعرف الأم فيعرف حقيقة التشابه بينهما ومن ثم يعرف حقيقة الأمر، لذا عقدت العزم، حسناً، لأن تلجأ لمقدار من الزرنيخ الأبيض تضعه فى فنجان الشاى".

أطلقت السيدة دينسميد صرخة مفاجئة ومدوية وأخذت ترتعد وترتعش بشكل هيستيرى.

وقالت بصوت مرتفع: "شاى، هذا هو ما قاله، طلب شاى، وليس ليموناً".

قال السيد دينسميد فى غضب وبصوت يشبه الزئير: "كف عن الكلام، ألا يكفى ذلك؟".

وجد مورتيمر تشارلوت تحدق النظر إليه بعينين مفتوحتين لأقصاهما فى تعجب وتساؤل. ثم شعر بيد تمسك بذراعه، حيث سحبته ماجدلين إلى خارج ذلك الصخب.

وأشارت إلى الزجاجتين قائلة: "هاتين الزجاجتين...، أبى إنك لم...".

وضع مورتيمر يده فوق كتفها وقال: "صغيرتى، أنت لا تؤمنين بالماضى، ولكنى أؤمن به، فأنا أؤمن بأجواء ذلك البيت. ولو لم يكن الأمر كذلك ربما ما كان ليدبر تلك الخطة التى أتقنها. سوف أبقى على هاتين الأنبوبتين لحماية تشارلوت الآن وفى المستقبل. وبعيداً عن ذلك لن أفعل أى شىء لتلك اليد التى كتبت كلمة استغاثة".

حين تكون هناك وصية

قال دكتور مانيل بأسلوب يبعث على الارتياح كعادة الأطباء: "رغم كل شيء تجنبى القلق والانفعال".

لم تسترح السيدة هارتر بل بدت أكثر ارتيابًا، شأنها فى ذلك شأن كل من يستمع إلى تلك الكلمات التى لا طائل من ورائها.

أردف الدكتور فى طلاقة يقول: "هناك ضعف فى أداء القلب، ولكن لا يوجد ما يدعو للقلق والانزعاج. أؤكد لك ذلك، كل شيء على ما يرام". ثم أضاف: "ربما تحتاجين أيضاً لاستخدام المصعد الكهربائى. هل لديك مصعد؟".

بدت السيدة هارتر منزعجة.

www.liilas.com/vb3
www.liilas.com/vb3
www.liilas.com/vb3
www.liilas.com/vb3
www.liilas.com/vb3
www.liilas.com/vb3
www.liilas.com/vb3
www.liilas.com/vb3
www.liilas.com/vb3
www.liilas.com/vb3
www.liilas.com/vb3
www.liilas.com/vb3
www.liilas.com/vb3
www.liilas.com/vb3

وعلى النقيض بدا على دكتور مانيل السرور والإعجاب بالنفس. ولعل السبب الذى يجعله يفضل الأغنياء من المرضى أكثر من الفقراء هو أنه يستطيع أن يحلق بخياله المتقد فى وصف أمراضهم.

قال دكتور مانيل محاولاً التفكير فى شىء بديل لتجنب التعرض للاندفاع والهبوط: "إذن سنحاول تجنب كل الجهد الذى لا داعى له. ويمكنك المشى على سبيل التمرين اليومى، ولكن تجنبى صعود التلال، وتجنبى أى جهد أو ارتباك ذهنى، تسهبين فى التفكير بشأن صحتك وتتوهمين ما ليس صحيحًا".

ولكن الدكتور كان أكثر وضوحاً وصراحة فى حديثه إلى ابن أخ السيدة العجوز تشارلز ريد جواى.

قال الدكتور له: "لا تخطئ فهم ما أقوله، ربما تعيش خالتك لسنوات، ولكن فى الوقت ذاته فإن أى صدمات أو مجهود زائد قد يودى بحياتها!"، وطقطق أصابعه ثم قال: "لابد أن تحيا حياة هادئة، بدون أى مجهود، بدون أى إرهاق. ولكن بالطبع لا ينبغى أن تطيل التفكير فى مرضها، بل لابد أن تظل فى حالة مرحة حيث ينشغل ذهنها عن الهموم".

قال تشارلز ريد جواى، وهو يفكر: "ينشغل؟".

كان تشارلز شابًا يراعى مشاعر الناس ويؤمن بتقديم رغبات الآخرين على رغباته.

وفى هذا المساء، اقترح تشغيل جهاز المذياع.

انزعجت السيدة هارتر ولم يكن لديها الرغبة فى سماعه، حيث إنها كانت منزعجة أيضا مما أثاره الدكتور حول فكرة المصعد، ولكن تشارلز كان شخصية مقنعة.

قالت السيدة هارتر فى إشفاق: "أنت تعلم أننى أهتم بهذه الأشياء المستحدثة، أعنى الموجات، فكما تعلم ربما تؤثر علىَّ تلك الموجات الكهربائية".

فأشار تشارلز فى لطف إلى عدم جدوى تلك الفكرة.

ظلت السيدة هارتر غير مقتنعة بما قاله لها، فرغم أن معرفتها بذلك الموضوع ضحلة وغير مؤكدة على الإطلاق إلا أنها كانت متشبثة برأيها.

تمتمت فى خوف قائلة: "كل هذا الكم من الكهرباء! يمكنك قول ما يحلو لك يا تشارلز ولكن هناك الكثير من الناس الذين يتأثرون بها، فدائماً ما يصيبنى صداع حاد قبل حدوث عاصفة رعدية. إننى أعلم هذا".

وأومأت برأسها فى انتصار.

كان تشارلز شاباً صبورًا ومثابراً.

حيث قال: "عمتى العزيزة مارى، دعينى أوضح لك الأمر".

كان تشارلز أحد أفذاذ هذا المجال، ولقد تلقى محاضرة حول هذا الموضوع الذى يتصل بشكل وطيد بتخصصه. فتحدث عن أنابيب الانبعاث الضوئى وكذلك أنابيب الانبعاث المعتم، والتردد العالى والتردد المنخفض، وتضخم الصوت والمكثفات.

وبذلك غاصت السيدة هارتر في بحر من الكلمات والمصطلحات التي لا تدرك عنها أي شيء على الإطلاق، ولم تكن تتراءى لمسامعها من قبل.

تمتمت قائلة: "بالطبع يا تشارلز، لو أنك حقاً تعتقد...".

قاطعها تشارلز في حماس: "عمتي العزيزة ماري، هذا المذياع مفيد جداً لك، ليخرج بك من أجواء التفكير في أي شيء يبعث على الكآبة وما إلى ذلك".

وبدأ تركيب المصعد الذي وصفه دكتور مانيل على الفور، وكانت فترة التركيب تمثل للسيدة هارتر انزعاجًا كبيرًا للغاية، فهي كغيرها من السيدات العجائز ترفض من داخلها دخول غرباء إلى المنزل، فقد ساورها الشك في أنهم سوف يخططون لسرقة مصوغاتها القديمة.

وبعد تركيب هوائي المذياع. وتركت السيدة هارتر بمفردها لتتأمل هذا الشيء الذي يبدو غريبًا، ذاك الصندوق الضخم المليء بالأزرار والذي يضيق صدرها لرؤيته.

استنفدت محاولة استرضاء السيدة هارتر واستمالتها نحو هذه الأشياء كل حماس وطاقة تشارلز، ولكن من جانبه أخذ يشعل كل هذه الأزرار مخاطباً إياها بطلاقة.

جلست السيدة هارتر على كرسيها ذي المسند المرتفع في صبر وهدوء وبداخلها اقتناع بأن كل هذه الأشياء المستحدثة لم تكن أكثر ولا أقل من مصادر إزعاج تزيد من متاعب وآلام البشر.

"اسمعي يا عمتي ماري، ها نحن الآن نسمع إذاعة برلين! أليس هذا رائعاً؟ هل تسمعين المذيع؟".

قالت السيدة هارتر: "لا أستطيع أن أسمع سوى صخب وتشويش".

استمر تشارلز في لف مؤشر موجات الإذاعة وأعلن في حماس قائلاً: "بروكسل".

قالت السيدة هارتر بقليل من الاهتمام: "أحقاً؟".

استمر تشارلز في تحريك المؤشر فدوى في الحجرة صوت بشع يشبه صوت النباح.

قالت السيدة هارتر، والتي تتمتع بروح الفكاهة: "والآن يبدو أننا قد انتقلنا إلى إذاعة الكلاب".

ضحك تشارلز قائلاً: "ها، ها، إنك تمزحين يا عمتي ماري، أليس كذلك؟ يا له من شيء ممتع!".

لم تستطع السيدة هارتر أن تمتنع عن الضحك وكانت مولعة بتشارلز، فمنذ بضع سنوات كانت تعيش معها ابنة أخيها ميريام هارتر. وكانت السيدة هارتر تنوي جعلها وريثتها، إلا أن الفتاة لم تنجح في استرضاء عمتها، فلم تكن صبورة، بل كانت تمل من المجتمع المحيط بعمتها، فكانت دائماً خارج المنزل "تتسكع"، مثلما اعتادت السيدة هارتر أن تقول. وفي النهاية ارتبطت بشاب لم يكن يثير استحسان عمتها على الإطلاق، ثم عادت ميريام إلى والدتها حاملة رسالة جافة تشكرها من خلالها، ثم تزوجت ذلك الشاب، واعتادت السيدة هارتر أن ترسل إليها إما صندوق مناديل أو منضدة كهدايا في أعياد

رأس السنة.

وبعد أن أصيبت السيدة هارتر بخيبة أمل تجاه بنات الأخ توجهت إلى الأبناء، حيث إن تشارلز، منذ البداية، قد أثبت نجاحاً بارزاً. فكان دائماً مختلفاً مع عمته ولكن بلطف، ويستمتع في اهتمام شديد بذكريات شبابها، وبالتالي كان في هذا الصدد نقيضاً لميريام التي كانت صريحة في إعلان مللها تجاه عمتها. لم يسأم تشارلز على الإطلاق بل كان دائماً في حالة مزاجية جيدة وفي سرور وبهجة، وكثيراً ما كان يخبر عمته بأنها كانت سيدة عجوزًا رائعة.

ونظراً لرضائها بشكل كبير عن ابن أخيها وسلوكه قامت بالكتابة إلى محاميها تطلب منه عمل وصية جديدة لها، والتي أرسلت لها فيما بعد لتصدق عليها.

وحتى في حالة المذياع فقد فاز تشارلز وكسب المناقشة.

وبذلك انتقلت السيدة هارتر من مرحلة المعاداة مروراً بمرحلة التسامح ووصولاً إلى مرحلة الاقتناع. وكانت تستمتع بذلك المذياع خاصة عندما يكون تشارلز خارج المنزل، فمشكلة تشارلز التي تؤرقها هي أنه لا يدع الأشياء وحالها. وقد تجلس السيدة هارتر على كرسيها في راحة تستمع إلى مقطوعة موسيقية أو محاضرة في إذاعة لوكرزيا بورجيا أو بوندلايف في سعادة وطمأنينة وسلام نفسي تجاه العالم كله، لكن سيتحطم هذا التناغم بالصرخات والنغمات التي تدوّي إثر نزوعه الملىء بالحماس تجاه سماع المحطات الأجنبية. ولذلك تستمتع السيدة هارتر لسماع المذياع حقيقة في تلك الأمسيات

التي يتناول فيها تشارلز العشاء خارج المنزل مع أصدقائه، فيمكنها الاستماع إلى إزاعتين، بينما تجلس على كرسيها المرتفع الظهر وتستمتع بالبرامج التي تبث في المساء.

وبعد حوالي ثلاثة أشهر على تشغيل المذياع وقع الحادث المخيف الأول بينما كان تشارلز يلعب الورق بصحبة أصدقائه.

كان برنامج هذا المساء يتضمن بعض الأغنيات الشعبية، وكان من بينها الأغنية الشهيرة "إني لوري"، وفي منتصف الغناء حدث شيء غريب. لقد حدث توقف مفاجئ وتوقفت الموسيقى للحظة، ثم انطلق صوت أزير وتشويش، ثم توقف هو الآخر. ساد الصمت ثم صدر صوت مشوش وخافت للغاية.

اعتقدت السيدة هارتر أن الجهاز انتقل ليبث محطة أخرى بعيدة تماماً عما كانت تستمع إليه، وبعد ذلك تحدث رجل في وضوح بلكنة أيرلندية خافتة قائلاً: "ماري ... أتسمعينني يا ماري؟ أنا باتريك... سآتي إليك قريباً. ستكونين مستعدة، أليس كذلك يا ماري؟".

وبعد ذلك على الفور انطلق مقطع أغنية "إني لوري" مرة أخرى وملأ الحجرة.

جلست السيدة هارتر متصلبة في كرسيها تتشبث بذراعي الكرسي. هل كانت تحلم؟ باتريك! صوت باتريك إن صوت باتريك. يتردد في ذات تلك الحجرة، إنه يتحدث إليها، لا، لابد أن هذا حلم، أو ربما شيء من الهلوسة، لابد أن تكون قد غفت لدقيقة أو دقيقتين. إنه شيء غريب أن تحلم بأنها تسمع

صوت زوجها المتوفى يتحدث إليها عبر الأثير، وقد أخافها ذلك قليلاً. فما هى الكلمات التى كان ينطق بها؟

"سآتى إليك قريباً، ستكونين مستعدة، أليس كذلك يا مارى؟".

هل كانت تلك الكلمات هاجسًا؟ هل كانت نتاج ضعف فى أداء القلب؟ هل تعطل قلبها؟ على أية حال فقد عاشت بهذا المرض لسنوات عديدة متقدمة فى العمر.

نهضت السيدة هارتر من كرسيها فى بطء وألم، بينما تقول: "إنه تحذير، هذا ما عنته تلك الكلمات"، وأضافت على نحو مميز: "كل هذه الأموال تم تبديدها فى تركيب المصعد!".

لم تخبر السيدة هارتر أى شخص عن ذلك الحادث، ولكن استحوذ عليها التفكير خلال اليوم أو اليومين التاليين.

وبعد ذلك جاء الحادث الثانى. حيث كانت توجد بمفردها فى الحجرة مجدداً، وقد صمت المذياع على نحو مفاجئ مثلما حدث سابقًا، إذ كان يبث مختارات موسيقية، وساد الصمتُ المكانَ مجدداً ثم شعرت بابتعاد الصوت، وفى النهاية ارتفع صوت باتريك. لم يكن صوته مثلما كان عليه فى حياته بل كان صوتاً مهيباً وأكثر روحانية.

"إن باتريك يتحدث إليك يا مارى. سوف آتى إليك قريباً جدًا..." ثم صدر صوت مشوش وعادت المختارات الموسيقية تدوى فى الحجرة مرة أخرى.

نظرت السيدة هارتر إلى الساعة. لا، إنها لم تكن نائمة هذه المرة. فلقد سمعت صوت باتريك يتحدث إليها وهى متيقظة فى

كامل وعيها. لم تكن هذه هلوسة، لقد كانت متأكدة من ذلك. وفى حيرة وارتباك أخذت تفكر فيما قاله لها تشارلز وشرحه لها بخصوص نظرية موجات الأثير.

هل من المحتمل أن يكون باتريك قد تحدث إليها حقاً وأن صوته قد انتقل عبر الفراغ؟ إن هناك أطوالاً موجية مفقودة أو شيئاً من هذا القبيل. وتذكرت حديث تشارلز عن "فجوات الأثير". فهل من المحتمل أن تفسر تلك الموجات المفقودة ما يطلق عليه الظواهر النفسية؟ لا، فهناك شىء مستحيل حدوثه فى تلك الفكرة. لقد تحدث إليها باتريك، ولقد استفاد من العلوم الحديثة حتى يخبرها بما سيحدث قريبًا.

استدعت السيدة هارتر خادمتها إليزابيث.

كانت إليزابيث امرأة طويلة القامة نحيلة تبلغ من العمر ستين عاماً. وكانت تخفى خلف ما تبديه من صرامة فيضًا من الحب والحنان لسيدتها.

قالت السيدة هارتر فور ظهور خادمتها المخلصة أمامها: "إليزابيث، أتتذكرين ما أخبرتك به؟ الدرج العلوى الأيسر لمكتبى، ذاك الدرج المغلق بالمفتاح الطويل ذى العلامة البيضاء، إن به كل شىء تم إعداده".

"كل شىء معد، ماذا يا سيدتى؟".

قالت السيدة هارتر فى اقتضاب: "كل شىء معد لدفنى، أنت تعرفين جيداً ما أقصده يا إليزابيث. لقد ساعدتنى بنفسك فى إعداد كل الأشياء ووضعها هناك".

بدأت ملامح وتعبيرات غريبة ترتسم على وجه إليزابيث.

وصاحت فى نحيب قائلة: "أوه، يا سيدتى، لا تكترثى لتلك الأوهام،أعتقد أنك تتحسنين".

قالت السيدة هارتر بلهجة عملية: "كل منا لابد أن يرحل يوماً ما، ولقد تقدمت فى العمر كثيراً يا إليزابيث. اذهبى، اذهبى، لا تضعى نفسك فى موضع حرج، اذهبى وابكى فى مكان آخر".

تقهقرت إليزابيث ولكنها لا تزال تنتحب.

نظرت إليها السيدة هارتر نظرة مليئة بمشاعر الحب.

وقالت: "إنك حمقاء أيتها العجوز، ولكنك مخلصة، مخلصة جداً". وأردفت: "لابد أن أرى إذا كنت تركت لها مائة أم خمسين جنيهاً فقط؟ لابد أن يكون المبلغ مائة".

كانت السيدة العجوز يساورها القلق جراء هذا الشأن، لذا قامت فى اليوم التالى بالكتابة إلى محاميها تطلب منه إرسال الوصية الخاصة بها كى تلقى نظرة عليها. وكان هذا هو اليوم الذى روعها فيه تشارلز عندما تحدث عن شىء على العشاء.

حيث قال: "بالمناسبة يا عمتى، من هو صاحب الصورة المثيرة للضحك المعلقة فى الحجرة الخالية؟ أقصد تلك الصورة الموجودة أعلى رف المدفأة، ذاك الشاب الذى يرتدى الخوذة وتتدلى منه السوالف الجانبية؟".

نظرت إليه السيدة هارتر على نحو قاس وصارم.

وقالت: "إنها صورة لخالك باتريك فى مرحلة شبابه".

"أوه، عمتى مارى، إننى فى غاية الأسى، لم أقصد أن أكون

وقحاً".

قبلت السيدة هارتر اعتذاره فى انحنائة لرأسها مليئة بالكبرياء.

أكمل تشارلز فى ريبة قائلا: "لقد كنت أتساءل فقط، تعلمين ...". ثم توقف على غير قصد، فقالت السيدة هارتر فى حدة: "حسناً، ماذا كنت تنوى أن تقول؟".

فبادر تشارلز قائلاً: "لا شىء، أقصد لا شىء ذا معنى".

لم تسهب السيدة هارتر فى الحديث بشأن ذلك الموضوع فى اللحظة الراهنة، ولكنها عادت إليه مرة أخرى فى اليوم التالى عندما جلسا معًا بمفردهما، حيث قالت: "أود أن تخبرنى يا تشارلز عما جعلك تسألنى عن صورة خالك".

بدا تشارلز خجلاً فقال: "لقد أخبرتك يا عمتى مارى أن سبب ذلك التساؤل لم يكن سوى تخيلات سخيفة، ربما تكون مضحكة".

فقالت السيدة هارتر بصوت مستبد للغاية: "تشارلز، إننى مصممة على أن أعرف".

"حسناً، يا عمتى العزيزة، ما دمت ترغبين فى ذلك، لقد خيل لى أننى رأيته - أعنى ذلك الرجل صاحب الصورة - يطل برأسه من النافذة الأخيرة عندما كنت أتوجه لأعلى عشية أمس. وأعتقد أنه ربما يكون ذلك خيالاً بفعل التأثيرات الضوئية. وتساءلت من يكون هذا الشخص، حيث كان الوجه أقرب ما ينتمى لبداية عصر الملكة فيكتوريا، ثم قالت لى إليزابيث إنه لا يوجد أى زائر أو غريب بالمنزل، وبعد ذلك

حدث أن دلفت فى وقت متأخر من المساء إلى الحجرة الخالية فوجدت صورته أعلى رف المدفأة. يا للرجل العائد للحياة! وأعتقد أن تفسير ذلك سهل جداً؛ إنه يندرج تحت العقل الباطن وما إلى ذلك. لابد أننى قد لاحظت الصورة من قبل دون أن أشعر أننى قد لاحظتها، ثم تخيلت بعد ذلك صاحب الوجه يطل من النافذة".

قالت السيدة هارتر فى حدة: "هل هى النافذة الخلفية".

"نعم، لماذا؟".

قالت السيدة هارتر: "لا شىء".

ولكنها ظلت خائفة طوال الوقت، فلقد كانت تلك الحجرة حجرة ملابس زوجها.

وفى ذات المساء تغيب تشارلز عن المنزل فجلست السيدة هارتر لتستمع إلى المذياع فى تلهف محموم. ولو كانت سمعت ذلك الصوت الغامض للمرة الثالثة لكان ثبت لها قطعيًا ونهائياً دون أدنى شك أنها على اتصال بالعالم الآخر.

ورغم أن قلبها كان يخفق وتتلاحق دقاته بسرعة إلا أنها لم تندهش عند حدوث التوقف المماثل وبعد فاصل الصمت المطبق المعتاد انطلق الصوت الأيرلندى الخافت القادم من بعيد مرة أخرى قائلاً:

"مارى أنت مستعدة الآن ... فى يوم الجمعة سآتى إليك. يوم الجمعة فى التاسعة والنصف.... لا تخافى، لن يكون هناك أى ألم ... كونى مستعدة...".

لم تكتمل الكلمة الأخيرة للمتكلم ثم انطلق صوت موسيقى الأوركسترا مرة أخرى فى دوى وصخب.

جلست السيدة هارتر متصلبة لدقيقة أو اثنتين. وبدت كأن الدم قد اختفى من خلايا وجهها حيث بدت زرقاء عبوسة.

ثم نهضت وجلست على مكتبها. وكتبت بيدين مرتعشتين الأسطر التالية:

الليلة، فى تمام التاسعة والربع سمعت بوضوح صوت زوجى المتوفى وأخبرنى أنه سيأتى إلىّ يوم الجمعة فى التاسعة والنصف مساء. فلو تحقق ومت فى ذلك اليوم وفى تلك الساعة فإننى أود إثبات حقيقة إمكانية التواصل مع عالم الأرواح.

ـــ مارى هارتر

ثم تصفحت السيدة هارتر ما كتبته، ووضعت الورقة فى ظرف وعنونته. ثم دقت الجرس وعلى الفور أجابتها إليزابيث، فنهضت السيدة هارتر من مكتبها وأعطته لتلك المرأة العجوز.

وقالت: "إليزابيث، إذا مت عشية يوم الجمعة أودك أن تعطى تلك الرسالة للدكتور مانيل"، وعندما كانت إليزابيث على وشك الاحتجاج بادرت السيدة هارتر قائلة: "لا، لا تجادلينى. لقد اعتدت أن تخبرينى بإيمانك، والآن قد تراءى لى أحد الهواجس. هناك شىء آخر، لقد تركت لك بموجب

وصيتـى خمسـين جنيهـاً. وأود أن أعطيك مائـة جنيه، فإن لم أستطـع الذهـاب بنفسـى إلى البنك قبـل أن أمـوت فسيتولى تشارلز ذلك الأمر".

وكالعـادة قاطعـت السيـدة هارتـر احتجاجـات إليزابيث المصحوبة بالنحيب. ومتابعـة لقرارها تحدثت السيدة العجوز لابن أخيها فى هذا الشأن فى الصباح التالى قائلة:

"تذكـر يا تشارلـز، إن حدث لى أى شـىء فعليك أن تعطى إليزابيث خمسين جنيهاً أخرى".

قـال تشارلز فـى مرح: "إنك لمتشائمة تلـك الأيام يا عمتى مـارى. وما الذى يمكن أن يحدث لـك؟ فسوف نحتفل كما قال الدكتور مانيل بعيد ميلادك المائة بعد عشرين عاماً أو ما يقرب من ذلك!".

تبسمـت السيدة هارتر إليه فى رقـة وحب ولكنها لم تجب. ثم قالت بعد دقيقة أو اثنتين:

"ماذا ستفعل مساء الجمعة يا تشارلز؟".

أبدى تشارلز بعض الاندهاش وقال:

"فـى الحقيقة، يريـد منى كل من إيوينـج وزوجته الذهاب للعب الورق معهما. ولكن إن كنت تفضلين مكوثى بالمنزل ـ".

قاطعتـه السيـدة هارتر فـى حسـم: "لا، بالطبـع لا. إننى متأكـدة من ذلك يـا تشارلز، ففى هذه الليلة مـن دون الليالى ينبغى علىَّ أن أكون بمفردى".

نظر إليهـا تشارلز فى غرابة ولكنها لم تبـح بأية معلومات أو كلمـات أخرى، فلقد كانـت سيدة عجـوزًا شجاعة حاسمة،

وأحست أنه ينبغى عليها أن تخوض تجربتها الغريبة بمفردها.

وجـاء يـوم الجمعـة ليطبق علـى المنـزل الصمـت التام. وجلسـت السيـدة هارتـر كعادتهـا علـى الكرسـى ذى المسند المرتفع إلى جانب المدفأة. لقد أعدت كل شىء. فلقد ذهبت فى الصبـاح إلى البنك لتحضر خمسين جنيهاً من أجل إليزابيث، وأعطتها إياها رغم احتجاجها المصحوب بالنحيب. لقد أعدت كل شـىء ورتبت كل ممتلكاتهـا وخصصت قطعة أو اثنتين من مصوغاتهـا للأصدقـاء أو الأقـارب، كما كتبـت مجموعة من التعليمات لتشارلز، والتى تقضى بأن تنتقل أوانى تقديم الشاى لابنة العم إيما، ومجموعة البرطمانات من طراز سفرز تذهب للشاب ويليام، وهكذا.

وإنهـا الآن تنظـر إلى الظـرف الطويـل الـذى تمسك به، حيث أخرجـت منه وثيقة مطوية. وكانت هذه هى وصيتها التى أرسلهـا إليها السيـد هوبكنسون وفقـاً لتعليماتهـا. لقد أتمت قراءتهـا بعناية، ولكنها ألقت عليها نظرة ثانية الآن لكى تنعش ذاكرتهـا. كانت الوصيـة قصيرة ومحددة، وكانـت تشمل إرثاً مقـداره خمسون جنيهاً لإليزابيث. ألقت عليها نظرة ثانية الآن تقديراً لإخلاصها فـى خدمتها، وكذلك شملت الوصية مبلغين يقـدر كل منهما بخمسمائة جنيه لإحدى شقيقاتها وابن عمها، والباقى لابن أخيها المحبب لقلبها تشارلز ريد جواى.

أومأت السيدة هارتر برأسها عدة مرات. سيصبح تشارلز غنيـاً جـداً بموتهـا. حسنـاً. فلطالما كان ولـداً عزيـزاً أحسن مرافقتهـا. كان طيبّـا دائماً، عطوفاً دائمـاً، ذا لسان عذب لم

يخفق قط فى إرضائها.

نظرت إلى الساعة. يتبقى ثلاث دقائق. حسناً، فهى مستعدة. كانت هادئة، هادئة إلى حد بعيد. ورغم تكرارها تلك الكلمات الأخيرة لنفسها عدة مرات إلا أن قلبها الآن أخذ يخفق على نحو غريب وغير منتظم. إنها لم تكن تدرك ذلك حتى وصلت إلى مرحلة من التوتر التى أنهكت فيها أعصابها.

وفى التاسعة والنصف، تم تشغيل المذياع، فماذا ستسمع؟ هل ستسمع صوتاً مألوفاً يعلن عن التنبؤات الجوية، أم ستسمع ذلك الصوت البعيد لشخص قد مات منذ خمسة وعشرين عاماً؟

ولكنها لم تسمع شيئاً من هذا قط، بل سمعت بدلاً من ذلك صوتاً مألوفاً، صوتاً تعرفه حق المعرفة، حيث جعلها تهدأ وتشعر كأن يداً حنونة وضعت على قلبها. ثم سمعت صوت حسيس أقدام عند الباب الأمامى...

وسمعت الصوت مرة أخرى، ثم تخلل الحجرة نسمة باردة وملأت أرجاءها. تأكدت الآن السيدة هارتر مما تشعر به وتحسه. كانت خائفة، بل أكثر من خائفة، لقد كانت مرعوبة....

وجال بخاطرها: "إن خمسة وعشرين عاماً تعد فترة طويلة جداً. إن باتريك الآن غريب بالنسبة لى".

الرعب! هو ما كان يعتريها ويهاجمها.

إنها تسمع صوت خطوة تقترب من الباب، إنه صوت خفيض لقدم تتوقف، ثم انفتح الباب فى هدوء...

وقفت السيدة هارتر على قدميها فى ارتباك، وأخذت تنتقل فى ريبة بين جانبى الحجرة وعيناها لا تحيدان عن ممر الحجرة التى فتح بابها، وانزلق شىء من بين أصابعها وسقط داخل المدفأة.

وأطلقت صرخة خانقة لم تخرج من حلقها. وفى ضوء مدخل الحجرة الخافت وجدت شخصاً مألوف الهيئة، ذا لحية كستنائية اللون، له سوالف على جانبى وجهه، ويرتدى معطفاً يرجع تصميمه إلى العصر الفيكتورى.

لقد جاء باتريك إليها!

خفق قلبها خفقة شديدة ثم سكن، وبعدها سقطت على الأرض.

وهناك وجدتها إليزابيث، بعد مضى ساعة.

تم استدعاء الدكتور مانيل فى الحال، واستدعى تشارلز ريد جواى ليحضر من حفلة لعب الورق، ولكن ما من شىء يمكن فعله، فلم يكن هناك بشر يستطيع تقديم يد العون للسيدة هارتر .. لقد ماتت.

لم تتذكر إليزابيث الرسالة التى أعطتها لها سيدتها إلا بعد يومين، حيث قرأها دكتور مانيل فى اهتمام شديد وعرضها على تشارلز ريد جواى.

قال الدكتور: "إنها لمصادفة غريبة، يبدو أن عمتك كانت تنتابها حالات من الهلوسة بخصوص صوت زوجها المتوفى.

ولابد أنها قد توترت وتمادت فى تلك الهلوسة إلى أن وصلت لحد خطير، وعندما جاء ذلك الوقت بالفعل أماتتها الصدمة".

سأله تشارلز: "هل كان هذا إيحاءً نفسياً؟".

"شىء من هـذا القبيل. وسوف أطلعك علـى نتائج تشريح الجثـة فى أقرب وقت ممكن رغم أننى على يقين بالسبب الذى ذكرتـه لك. وفى مثل تلـك الظروف يكون تشريـح الجثة أمراً محبذاً رغم أن ظاهر الجسد يكون خالياً من أية علامات تثير الشك فى الوفاة".

أومأ تشارلز على نحو يعبر عن تفهمه لما قيل.

كان تشارلـز فى الليلـة الماضية قد أزاح سلـكاً محدداً كان يمتـد من خلف حجـرة المذيـاع إلى حجـرة نومه فـى الطابق العلـوى عندما ذهبت مديـرة أعمال المنزل السيـدة إليزابيث للنوم. ونظراً لـبرودة مساء تلك الليلة فلقد طلب من إليزابيث أن تشعـل المدفأة فـى حجرته، وفى نيرانها قـام بإحراق لحية كستنائيـة وسوالـف. وأعـاد تغيير ملابـس ينتمـى تصميمها للعصـر الفيكتورى تخص عمـه الراحل بملابس أخرى بسيطة تنبعث منها رائحة الكافور.

إنـه يظـن أنه فـى أمـان، ولقد نجحـت خطته التـى رسم الخطـوط العريضة لها، والتى تراءت لذهنه منذ الوهلة الأولى عندمـا أخبره دكتور مانيـل بأن عمته ربما تعيش لسنوات إذا خضعـت لرعايـة تتـلاءم وتتوافـق مع حالتهـا. لكـن كما قال الدكتور مانيل، لقد ماتت إثر صدمة مفاجئة. وابتسم تشارلز، ذلك الشاب العطوف الذى تحبه السيدات العجائز.

وبمجرد أن رحل الدكتور شرع تشارلز على الفور فى فعل ما يجب عليه فعله. فقد تم إعداد كل الترتيبات الجنائزية وينبغى أن يتـم حجز قطـارات لنقل الأقـارب القادمين مـن مسافات بعيدة. فسوف يقضـون الليلة هنا بشكل أو بآخر. وقام تشارلز بـكل تلك الإجـراءات فى كفاءة ونظـام رغم أن هـذا يناقض أفكاره الداخلية.

يـا لهذا العمـل العظيم! لقـد كان ذلك الأمر حمـلاً ثقيلاً بالنسبـة لهم. فلم يكـن أحد على الأقل من أقـارب عمته يعلم بمدى المعاناة التى كان تشارلز يمر بها، فلقد دفعت به صنائعه إلى ظلمات السجن.

ولـو لم يتمكن تشارلـز من جمع مبلغ من المـال فى الأشهر الأخيرة لكان مصيره الدمار والفضيحة. لكن، حسنًا، كل شىء علـى ما يرام الآن. ضحك تشارلـز بينه وبين نفسه، فهو يشكر تلك المزحة الجيـدة، فليس هنـاك شىء إجرامى فى ذلك، لقد نجا. ولقد صار الآن رجلاً ثريًا، وليس لديه أى قلق بهذا الشأن، فلم تكن السيدة هارتر تعلم أى شىء عن نواياه.

وبينمـا هو منغمـس فى التفكير فـإذا بإليزابيـث تطل من الباب معلنة مجىء السيد هوبكتز الذى يود لقاءه.

فكـر تشارلز فى الوقت الـذى سيستغرقه هذا اللقاء، ومنع نفسه من إطلاق زفير يعبر عن استيائه، ثم رسم ملامح الوقار علـى وجهه كى تتـلاءم مع الموقف، وتوجـه إلى المكتبة. وهناك صافح الرجل اللطيف الذى ظل مستشارًا قانونيًا لعمته لما يزيد على ربع قرن.

جلس المحامى إثر دعوة تشارلز له للجلوس، وبدأ حديثه فى الموضوع قائلاً:

"لم أستطع فهم ما يرمى إليه خطابك الذى وصلنى يا سيد ريد جواى. هل كتبت لى لأنك تعتقد أن وصية السيدة هارتر لدىّ؟".

حدق تشارلز إليه النظر وقال:

"بالطبع، لقد سمعت عمتى تتحدث عن ذلك كثيراً".

"أوه، هكذا كان الأمر. لقد كانت لدىَّ".

"كانت؟".

"نعم، أعنى ذلك، لقد كتبت لى السيدة هارتر تطلب منى إرسال الوصية إليها الثلاثاء الماضى".

دب فى قلب تشارلز الخوف، وشعر بهاجس داخلى يبعث على القلق.

مضى المحامى فى حديثه بلطف قائلاً: "وبلا شك سوف يتم العثور عليها بين الأوراق الخاصة بها".

لم يقل تشارلز شيئاً، وكان يخشى أن يصدق ما قاله المحامى، فلقد بحث بالفعل فى أوراق السيدة هارتر بدقة متناهية، مما جعله متأكدًا من عدم وجود أية وصية بينهما. وبعد دقيقة أو اثنتين، وبعد أن تمالك نفسه ثانية، صرح للمحامى بذلك، إذ كان صوته يبدو زائفًا حتى لنفسه، وانتابه شعور وكأن قطرات مياه باردة تتساقط على ظهره.

قال المحامى: "هل تفقد أى شخص مقتنياتها الشخصية؟".

أجاب تشارلز بأن الخادمة إليزابيث قد فعلت ذلك، وبناءً على اقتراح السيد هوبكنز جاءت إليزابيث على عجل، ووقفت فى تجهم، وأجابت عن الأسئلة التى وجهت إليها.

لقد بحثت فى ملابس سيدتها ومقتنياتها الشخصية وتأكدت من عدم وجود أية وثائق قانونية كوصية مثلاً بينهما. فهى تعرف جيداً شكل الوصية، ولقد كانت الوصية فى يد سيدتها صباح يوم وفاتها.

قال المحامى فى حدة: "هل أنت متأكدة من ذلك؟".

"نعم، يا سيدى، لقد أخبرتنى بذلك. وخصصت لى خمسين جنيهاً، حيث كانت الوصية موضوعة فى مظروف أزرق كبير".

قال السيد هوبكنز: "هذا صحيح".

أكملت إليزابيث قائلة: "تذكرت الآن، كان هذا المظروف الأزرق موجوداً على المنضدة فى صباح اليوم التالى ولكنه كان خالياً ووضعته على المكتب".

قال تشارلز: "أتذكر رؤيتى له هناك".

ونهض وتوجه للمكتب. وفى خلال دقيقة أو اثنتين، التقط المظروف بيده وناوله للسيد هوبكنز الذى تفحص المظروف وأومأ برأسه وقال:

"هذا هو المظرف الذى أرسلت بداخله الوصية لها الثلاثاء الماضى".

نظر كلا الرجلين إلى إليزابيث فى حدة.

فسألت فى احترام: "هل هناك أى شىء آخر يا سيدى؟".

"لا يوجد حاليًا، أشكرك".

توجهت إليزابيث نحو الباب.

فـإذا بالمحامى يقول: "انتظرى دقيقة، هل تم إشعال نيران فى المدفأة مساء تلك الليلة؟".

"نعم يا سيدى، يتم إشعالها دائمًا".

"أشكرك، حسناً".

انصرفت إليزابيث بينما انحنى تشارلز للأمام ووضع يديه المرتعشتين على المنضدة.

وقال: "فيم تفكر؟".

هز السيد هويكنز رأسه قائلاً:

"ينبغـى أن نظـل على أمـل أن تظهر تلك الوصيـة. فإن لم تظهر".

"حسناً، وماذا لو لم تظهر؟".

"أخشى ألا يكون أمامنا سوى استنتاج وحيد، وهو أن عمتك أرسلت تطلب الوصية من أجل إعدامهـا. ونظراً لعدم رغبتها فى أن تفقد إليزابيث نصيبها، قامت بإعطائها إرثها نقداً".

صرخ تشارلز فى ضراوة: "ولكن لماذا؟ لماذا؟".

تنحنح السيد هويكنز فى غلظة وهمهم قائلاً:

"ألم يكـن بينـك وبـين عمتـك أيـة خلافـات يا سيـد ريد جواى؟".

تنهد تشارلز وصرخ فى حزن قائلاً:

"لا، كانـت علاقتنا على أفضل وأطيب ما يكون منذ البداية وإلى النهاية".

قال السيد هويكنز بينما لم ينظر إليه: "آه!".

أصيـب تشارلـز بصدمة بسبب عدم تصديـق المحامى له. فمـن يدرى بما سمعه ذاك العجوز الأحمق الفظ؟ ربما تسربت إليـه شائعات عـن تصرفات تشارلـز. وربما يفترض أنه من الطبيعى أن تكون تلك الشائعات قد انتقلت إلى السيدة هارتر، وبالتالى نشبت مشادة بين العمـة، وابن أخيها فى هذا الشأن، أليس كذلك؟

لكن لم يكن الأمر كذلك! ولقد مر تشارلز بأحلك اللحظات فى حياته، ولقد صدقـت أكاذيبه، أما الآن فصدقه لا يصدق. يا للمفارقة!

بالطبـع لم تحرق عمته الوصيـة! بالطبع لا ... وفجأة وصل تفكيـره إلى مشهـد كان قـد رآه، فمـاذا رأى؟ لقـد رأى سيدة عجـوزًا تضع إحـدى يديها على قلبها ... وشـىء ما يسقط ... إنها ورقة ... سقطت على الجمر الملتهب.....

أخـذ تشارلز فى الشحوب. وسمع صوتاً أجش، صوته الذى يسأل:

"ماذا لو لم نجد تلك الوصية ؟".

"لا تـزال هناك وصية سابقة للسيدة هارتر. مؤرخة بتاريخ سبتمـبر ١٩٢٠، تـترك السيـدة بمقتضاها كل مـا تملك لابنة أخيها ميريام هارتر، والتى صارت الآن ميريام روبنسون".

مـا الـذى قالـه ذاك المحامى العجـوز الأحمـق؟ ميريام؟ ميريام وزجها الذى لا يطـاق وأطفالها الأربعة المزعجين؟ لقد كرس كل ذكائه لصالح ميريام!

رّن الهاتف الذى يوجد إلى جوار مرفقه. فتناول السماعة ووجد أن المتحدث هو الدكتور الذى تحدث إليه فى لطف ورقة:

"هل أنت ريد جواى؟ أعتقد أنك تود أن تعرف ما سأقوله لك. فلقد أسفرت نتائج تشريح الجثة منذ قليل عن أن سبب الوفاة ليس مثلما ظننت. ولكن فى الحقيقة كانت المشكلات التى يعانى منها القلب أكثر خطورة من تشخيصى لها خلال حياتها. وبهذا لم تكن لتحيا أكثر من شهرين إذا توفرت لها أفضل سبل الرعاية. واعتقدت أننى لابد أن أخبرك، فهذا ربما يكون عزاء لك بشكل أو بآخر".

قال تشارلز: "معذرة، هل يمكنك تكرار ما قلته؟".

قال الدكتور بنبرة أعلى قليلاً: "لم تكن لتعيش أكثر من شهرين. لكن كل ما يحدث خير، كما تعلم يا عزيزى...".

قام تشارلز بإرجاع السماعة بعنف إلى مكانها، حيث كان يدرك صوت المحامى يتحدث إليه عن بعد قائلاً:

"عزيزى السيد ريد جواى. هل أنت متعب؟".

تباً لهم جميعاً! المحامى ذى الوجه المقتضب، والدكتور مانيل الشرير. لم تعد هناك بارقة أمل أمامه، لم يعد يرى سوى شبح أسوار السجن ...

وشعر كأن هناك شخصًا ما يتلاعب به، يتلاعب به مثلما يتلاعب القط بالفأر. لابد أن هناك شخصًا يمزح ....

لغز المرطبان الأزرق

نظر جاك هارينجتون إلى ما انتهت إليه قذفته للكرة فى حزن. وقف بمحاذاة الكرة ونظر وراءه إلى حفرة الجولف ليقيس المسافة. كان وجهه معبرًا عن الخزى والازدراء الذى يعتريه. وجذب إليه مضرب الجوف وسدد ضربتين اقتلعتا زهرة هندباء وكتلة من الحشائش، ثم استدار فى صرامة فى مواجهة الكرة.

إنه لمن الصعب لشاب يبلغ الرابعة والعشرين من العمر مطمحه الوحيد هو تحسين أدائه فى لعب الجولف أن يوفر وقتًا أو حتى يعير اهتمامًا لمسألة كسب الرزق. ويبقى جاك لخمسة أيام ونصف سجينًا فيما يشبه المقبرة فى المدينة، بينما يكرس النصف الآخر من يوم السبت ويوم الأحد بأكمله لأمور دينه.

ونظـرًا لحماسه تجاه الجولف فقد أخذ حجرة فى فندق صغير بالقـرب من ملاعب جولف ستورتن هيث، حيث يستيقظ يوميًا فـى تمام السادسـة صباحًا ليتدرب ساعة قبـل اللحاق بقطار الساعة الثامنة وست وأربعين دقيقة المتجه إلى البلدة.

والعيـب الوحيد فى ذاك الوقت الباكر مـن الصباح هو أن هارينجتون بطبيعته لا يستطيع ضرب أى شىء فى تلك الساعة المبكـرة، حيث تتبع الضربة الرديئة غير المتقنة تصويبة أخرى خاطئـة. وتجرى الكـرة التى يقذفهـا بعصاه علـى الأرض فى مرح. ويبدو أن أربع ضربات جيدة هى الحد الأدنى لأى مباراة يلعبها.

تنهد جـاك وأمسك مضـرب الجولف بثبات وكـرر لنفسه الكلمات السحرية: "استخدام الذراع اليسرى فى ضرب الكرة على اليمين دون النظر لأعلى".

رجع للخلف ثم توقـف، وتجمد فى مكانه حين سمع صرخة مدوية شقت صمت الصباح تنادى: "قتيل، النجدة! قتيل!".

كان الصوت صوت امرأة، لأنه نتهى إلى تنهيدة متقطعة.

طـرح جاك عصا الجولف جانبًا وجـرى فى اتجاه الصوت الـذى كان يأتـى من مكان قريـب منه. وكان ذلـك الجزء من الأرض المخصصـة للجولف موحشًـا وغير مأهـول بالسكان. فلـم يكن هناك سـوى مجموعة قليلة من المنـازل على مقربة، ولكن فى الحقيقـة كان هناك منزل صغير ذو منظر بديع لفت انتبـاه جـاك؛ حيث يغلب عليـه طابع الأيام الخـوالى الهادئة، فأسـرع نحوه، ولكنه كان يتوارى خلف منحدر مغطى بالنباتات

المختلفـة، وفى أقل من دقيقة وصل إلى بوابته الصغيرة المغلقة بالمزلاج.

كانت هنـاك فتاة تقف فى الحديقة، فاستنتج جاك تلقائيًا أنهـا هى من أطلقـت صرخة الاستغاثة، ولكنـه سرعان ما نبذ هذه الفكرة.

كانت تمسك بسلة صغـيرة فى يدها، نصف ممتلئة ببعض الحشائش الضارة، ويبـدو أنها كانت قد انتهت لتوها من جمع مساحـة كبيرة مـن زهور البنفسج. وهنـا رأى جاك أن عينيها تشبهان أزهار البنفسج نفسها؛ فهما صافيتان، داكنتان، يميل لونهما إلى اللون البنفسجى أكثر منه إلى الأزرق. ويبدو قوامها بشـكل عام مثل زهرة البنفسج بردائها الأرجوانى المصنوع من الكتان.

أخـذت الفتـاة تنظـر إلى جاك بوجـه تتغـير تعبيراته بين الدهشة والانزعاج.

قـال الشـاب: "معـذرة، هل أطلقـت صرخـة استغاثة منذ قليل؟".

"أنا؟ فى الحقيقة، لا".

كانـت دهشتهـا صادقـة لدرجـة أصابت جـاك بالارتباك والحـيرة، حيـث كان صوتهـا خفيضًـا وجميـلاً. تتخللـه لكنة أجنبية خفيفة.

فتعجـب قائـلاً: "لكـن لابـد أن تكونى قـد سمعتهـا، فلقد انطلقت من مكان قريب من هنا".

حدقت إليه، وقالت:

"لم أسمع شيئًا قط".

حدق جـاك إليها، فهذا أمر لا يصـدق ألا تكون قد سمعت استغاثة المعاناة تلك. إلا أن هدوءها أوضح له أنها صادقة فيما تقول، وأنه من المستحيل أن تكون كاذبة.

أصر قائـلاً: "ولكن الصوت أتى من مـكان قريب جدًا من هنا".

بدأت تنظر إليه فى ريبة، وسألت:

"وماذا قال هذا الصوت؟".

"قتيل، النجدة! قتيل!".

كررت الفتاة ما قاله: "قتيل، النجدة! قتيل! لابد أن شخصًا ما كان يخدعك، يا سيدى. فمن يمكن أن يقتل هنا؟".

تفحص جاك مـا حوله فى ارتبـاك، وداخله اعتقـاد بأنه سيجـد شخصًا مقتولاً ومطروحا علـى أحد ممرات الحديقة، فهـو لا يزال متأكـدًا من أن تلك الصرخة التـى سمعها حقيقة وليسـت نتـاج تخيلاته، فنظر إلى نوافذ المنـزل، لكن كل شىء بدا على ما يرام.

سألت الفتاة فى اقتضاب: "أتريد تفتيش منزلنا؟".

انصرف جـاك قائلاً: "معـذرة، لابد أن الصـوت جاء من مكان ما داخل الغابة".

ورفع قبعته وتراجع. وعندما التفت برأسه ونظر خلفه وجد الفتاة قد استأنفت جمع العشب فى هدوء وتريث.

واستغرق بعض الوقت فـى البحث داخل الغابة عن مصدر هـذا الصـوت، لكنـه لم يجد أية علامـة تدل على وقـوع شىء

غريـب. ورغم ذلك بقى على يقينـه بأنه قد سمع صرخة، وفى النهاية أقلع عن البحـث وأسرع إلى المنزل ليتناول إفطاره قبل اللحـاق بقطـار الساعـة الثامنة وسـت وأربعين دقيقـة، الذى أوشـك على التحرك. وبمجرد أن جلس فى القطار، أخذ يشعر بتأنيب الضمير. ألم يكن عليه أن يبلغ الشرطة فور سماعه لهذا الصوت؟ هـل كان السبب الوحيد لعدم فعلـه ذلك هو تشكيك الفتاة فيما قاله؛ فلقد كان شكها فى أنه يتوهم ويتخيل واضحًا وربمـا كان رد فعل الشرطة كذلك هل هـو متأكد قطعًا من أنه سمع صرخة؟

لم يعـد الآن واثقًا ممـا سمعه كما كان من قبل، وهى نتيجة طبيعيـة لمحاولته استعادة تذكـر شعور قد فقده، فهل كان ذلك صيـاح أحد الطيور يحلق بعيـدًا وقد اختلط فـى الهواء ليشبه صوت امرأة؟

ولكنـه سرعان ما نبـذ ذلك الاعتقاد فـى غضب. لقد كان صـوت امـرأة، ولقد سمعه. وتذكـر أنه نظـر إلى الساعة قبيل انطـلاق الصرخة، حيث كان الوقت تقريبًا هو السابعة وخمس وعشريـن دقيقة عند سماعه لتلـك الصرخة. وربما تكون هذه معلومة مفيدة للشرطة إذا ... إذا تم اكتشاف أى شىء.

وبعدمـا عاد إلى البيت ذلـك المساء، تصفـح الجرائد فى شغـف لـيرى ما إذا كانت هنـاك إشارة لوقوع حـادث، لكن لم يكن هناك أى شىء من هذا القبيل، وأصبح عاجزًا عن معرفة ما إذا كان عليه أن يرتاح ويهدأ أم يصاب بخيبة أمل.

وكان الصبـاح التالى رطبًا للغاية، لدرجة تثبط من حماس

لاعب الجولف المتحمس للعب. فنهض جاك فى اللحظة الأخيرة، وتناول إفطاره على عجل وأسرع للحاق بالقطار، وتصفح الجرائد ثانية فى شغف، ولم ترد أى أخبار عن اكتشاف أى شىء مخيف؛ حيث ورد فى جرائد الصباح ما ورد فى جرائد المساء.

قال جاك لنفسه: "شىء غريب، ولكن لابد أن يكون قد حدث شىء ما. ربما كان هناك مجموعة من الصبية يلعبون معًا فى الغابة".

فخرج مبكرًا فى الصباح التالى، وعند مروره بالمنزل لاحظ بطرف عينيه الفتاة فى الحديقة تجمع النباتات مجددًا، ومن الواضح أن تلك هى عادتها. اقترب منها وتمنى لو أنها لاحظته. ونظر إلى الساعة نظرة عجلى عند وضعه لكرة الجولف على حاملها عند الحفرة التالية، وقال:" تمام السابعة وخمس وعشرين دقيقة"، وأردف: "إننى أتعجب...".

وتجمدت الكلمات بين شفتيه، حيث سمع الصرخة نفسها التى روعته من قبل. إنه صوت امرأة، يقول فى لهفة شديدة: "قتيل، النجدة، قتيل!".

فأسرع جاك للخلف مرة أخرى. كانت الفتاة ذات الرداء البنفسجى تقف عند البوابة، حيث بدت عليها ملامح الخوف. فأسرع جاك إليها فى انتصار، صارخًا: "لقد سمعتِها هذه المرة على أية حال".

كانت عيناها متسعتين وتعبران عن شعور لم يفهمه جاك، ولكن لاحظ أنها ابتعدت عنه عندما اقترب منها. وأخذت تلقى

بنظراتها إلى المنزل خلفها وكأنها تفكر فى التوجه للمنزل لتحتمى به.

وهزت رأسها وهى تحدق إليه وقالت فى تعجب:

"لم أسمع شيئًا قط".

بدا الأمر كأنها قد أصابته بصدمة؛ فصدّق تعبيرها واضح بدرجة يصعب معها تكذيبها، غير أنه لم يستطع تخيل ذلك، لم يستطع .. لم يستطع حقًا..

لقد سمع صوتها وهى تتحدث فى لطف، أقرب ما يكون للتعاطف حين سألته: "إنك تعانى من اضطراب عصبى، أليس كذلك؟".

وفى الحال أدرك نظرتها المليئة بالخوف، وتلتها بالاتجاه ناحية المنزل. لقد اعتقدت أنه مجنون ...

وبعد ذلك تبادرت إلى ذهنه فكرة خطيرة. هل هى على حق؟ هل هو حقًا يعانى من اضطرابات عصبية؟ وانهمك فى التفكير فى ذلك الأمر، ثم استدار وانصرف دون أن ينطق بكلمة. شاهدته الفتاة وهو ينصرف، فتنهدت وهزت رأسها فى أسى، ثم انحنت ثانية لجمع النباتات.

وحاول جاك أن يستوضح الأمور، فقال لنفسه: "لو سمعت تلك الصرخة اللعينة ثانية فى تمام السابعة وخمس وعشرين دقيقة فلابد أن أكون مصابًا بنوع ما من الهلوسة، ولكننى لن أسمعها ثانية".

وظل متوترًا طوال اليوم، وذهب لينام تاركًا حسم الأمور حتى الصباح التالى.

وكان من الطبيعى لشخص فى مثل حالته أن يبقى مستيقظًا لمنتصف الليل إلى أن أجبر نفسه فى النهاية على النوم. وفى تمام السابعة وعشرين دقيقة غادر الفندق وتوجه إلى ملعب الجولف. وأدرك أنه لن يستطع التوجه إلى تلك البقعة المشئومة فى السابعة وخمس وعشرين دقيقة، ولكن إن كان الأمر ليس إلا هلوسة حقًا فسوف يسمع تلك الصرخة فى أى مكان. واستمر فى اللعب وعيناه مثبتتان على الساعة.

السابعة وخمس وعشرون دقيقة. من مكان بعيد يتردد صدى صوت امرأة تنادى. لم يستطع تمييز كلماتها ولكنه كان مقتنعًا بأن هذا الصوت هو نفسه ذلك الصوت الصارخ الذى سمعه من قبل، وأنه يأتى من نفس البقعة المجاورة للمنزل.

من الغريب أن هناك شيئاً طمأنه، فربما كان ذلك كله ما هو إلا خدعة تمارسها تلك الفتاة؛ فهذا ليس بعيد الاحتمال، ومن ثم هز كتفيه وأخرج عصا الجولف من الحقيبة. وقرر أن يضع الحفر بالقرب من المنزل.

كانت الفتاة فى الحديقة كالمعتاد. وبدت فى حالة جيدة ذلك الصباح، وعندما رفع لها قبعته قالت له: صباح الخير فى خجل ... بدت حسب ما رأى أكثر ودًا.

"إنه يوم جميل، أليس كذلك؟". هكذا قال جاك فى ابتهاج، مستنكرًا تلك الملاحظة العادية المبتذلة التى اضطر لقولها.

"نعم، حقًا، هو جميل".

"إن هذا مفيد للحديقة، على ما أعتقد، أليس كذلك؟".

ابتسمت الفتاة قليلاً فظهر فى وجنتها غمازة فاتنة.

"للأسف، لا! فالأزهار تحتاج إلى نزول المطر، انظر، كلها ذابلة".

قبل جاك الدعوة التى وجهتها له بإيماءة، حيث ذهب إلى أسفل السياج الذى يفصل الحديقة عن ملاعب الجولف. وأخذ ينظر من فوقه إلى الحديقة.

فأشار فى ارتباك حين أدرك نظرات الفتاة التى تملؤها الشفقة قائلاً: "إن الزهور فى حال جيدة".

فقالت: "الشمس رائعة، أليس كذلك؟ ولعل الأزهار تحتاج إلى الرىِّ دائمًا، ولكن الشمس تقويها وتُحسِّن من نموها إنك أفضل اليوم يا سيدى، مثلما أرى".

ضايقه بشدة نبرة صوتها المشجعة له.

فقال لنفسه: "تبًا لكل هذا، أعرف أنها تحاول علاجى بالإيحاء".

ثم أردف بعصبية: "إننى بصحة جيدة".

فعاودت الفتاة حديثها الهادئ الملطف قائلة: "حسنًا، إذن".

وانتاب جاك إحساس حانق بأنها لا تصدقه. فلعب الجولف لبعض الوقت ثم أسرع لتناول الإفطار، وبينما كان يتناول الإفطار لاحظ رجلا يمعن النظر إليه كان يجلس على المنضدة التى تلى منضدته، وكانت هذه ليست المرة الأولى التى يلاحظ فيها ذلك، وكان ذاك الرجل فى منتصف العمر، وذا وجه يعبر عن شخصية قوية، ولديه لحية صغيرة داكنة وعينان ثاقبتان رماديتان، وكان لمرونته وثقته بنفسه دور فى وضعه ضمن

مصـاف الطبقات العليا من فئـات المنحرفين. وعرف جاك أن اسمـه لافينجتون، كمـا تردد على مسامعه أنـه طبيب مشهور. ولكـن عدم تردد جاك على شـارع هارلى ستريت كان سببًا فى أن معرفته بهذا الشخص قليلة أو شبه معدومة.

ولكـن هـذا الصبـاح تيقن جيـدًا مـن ملاحظتـه الهادئة ومراقبتـه له؛ ممـا آثار مخاوفه قليـلاً. هل كان سـره ظاهرًا بوضـوح على وجهه حتى إنه بـدا واضحًا للعيان؟ هل يعلم ذاك الرجل من خلال مهنته أن هناك شيئاً خاطئًا فى ذاك الموضوع الغامض؟

وارتعد جاك من هذه الفكرة. هل هذا صحيح؟ هل هو على وشك الجنون؟ هل الأمر كله هلوسة، أم إنه خدعة بشعة؟

وفجـأة تراءت لـه طريقة سهلة للتوصـل للحقيقة. فهو إلى الآن يذهـب بمفرده ليسمع ذاك الصوت. وماذا لو كان شخص آخر معه؟ إذن سيحـدث أحد الاحتمالات الثلاثة، إما ألا يكون هنـاك صوت، وإمـا أن يسمـع كلاهما ذلك الصـوت، وإما أن يسمعه وحده.

وفـى المسـاء شرع فـى تنفيـذ خطتـه. وكان لافينجتون هو الشخص الذى أراد صحبته. ودار الحديث بينهما فى سهولة وطلاقة. كان ذلك الرجل العجوز فى انتظار مثل تلك الفرصة. وربمـا كان من الواضح أن جاك أثار اهتمامـه لسبب أو لآخر. فما كان من هذا الرجـل سوى أنه رحب باقتراح جاك بتلقائية ويسر للعب الجولف معًا قبل تناول الإفطار. وتم الترتيب لذلك فى الصباح التالى.

وبـدأ الاثنان اللعب قبل السابعة بقليل. وكان الجو مناسبًا، ساكنـا وبـلا سحب، ولكـن لم يكن دافئـا بما يكفـى. لقد كان الدكتـور لاعبًا جيدًا، بينما جاك كان سيئًا للغاية كعادته، حيث كان ذهنـه مستغرقـًا فـى التفكير فـى الكارثة التـى ستحدث ويختلس النظر إلى ساعته.

ووصـلا إلى الهـدف السابع الذى يقع بالقـرب من المنزل، وذلك فى حوالى الساعة السابعة وعشرين دقيقة.

وكالعادة، كانت الفتاة فى الحديقة ولم تلتفت إليهما عندما مرا بها.

كانـت الكرتان علـى الأرض. ووقف جـاك إلى جوار حفرة الجولف، بينما كان الدكتور واقفًا على مسافة أبعد.

قال لافينجتون: "تلك اللعبة لى، لابد أن أسددها"، وانحنى ليحـدد الخـط أو المسـار الـذى لابـد أن يتخـذه. ووقف جاك متصلبـًا وعيناه مثبتتان على السـاعـة، حيث كانت الساعة هى السابعـة وخمسًا وعشريـن دقيقة بالضبط. وجـرت الكرة فى انسيابية على الخضرة، وتوقفت عند حافة الحفرة مترددة ثم سقطت فيها.

قـال جاك: "ضربـة صائبة" فى صوت أجشـن يختلف عن طبيعـة صوته.. ودفـع ساعة يده إلى مقدمـة رسغه فى تنهيدة تعـبر عن الراحـة الغامرة. لم يحـدث شىء. لقـد انتهت نوبة الهلوسة.

فقال: "أتمانع فى الانتظار لدقيقة. أود تدخين الغليون". فتوقفـا لفـترة وجيزة قبل بـدء الرمية الثامنـة. حيث ملأ

جاك الغليـون وأشعله وأصابعه ترتعش قليـلاً رغمًا عن إرادته وبدا كأن حملاً ثقيلاً قد انزاح عن كاهله.

وقـال بينمـا ينظـر إلى الهـدف أمامه فـى سعـادة بالغة: "سيدى، يا له من يوم جميل".

وأردف قائلاً: "استمر يا لافينجتون فى اللعب".

ثم حدث ما حدث فى نفس اللحظة التى يقذف فيها الطبيب الكرة، وانطلق صوت امرأة عاليًا فى ألم ومعاناة:

"قتيل، النجدة! قتيل!".

سقـط الغليون من يد جـاك دون إرادته، حيـث التفت إلى اتجاه مصدر الصوت، ثـم تذكر وحدق إلى رفيقه متجمدًا فى مكانه.

وبينما كان لافينجتون ينظر إلى مسار الجولف التفت بعينيه وقال: "إنه قصير إلى حد ما، ينبغى فقط أن نضرب برفق".

إنه لم يسمع شيئًا.

بدا لجاك كأن الدنيا تدور به. ثم خطا خطوة أو اثنتين، ثم تمايل بشدة. وعندما أفاق وجد نفسه راقدًا على أرض الجولف ورأى لافينجتون منكبًا عليه يقول:

"استرح هنا، استرح الآن، استرح".

"ماذا حدث لى؟".

"لقد سقطت مغشيًا عليك أيها الشاب، أو أنك أوشكت على ذلك".

فقال جاك متأوهًا: "يا إلهى!".

"ماذا بك؟ هل يعانى مخك من شىء؟".

"سأخبرك توًا، ولكننى أريد أن أسألك عن شىء أولاً".

فأشعل الدكتور غليونه وجلس على الأرض.

ثم قال فى هدوء: "اسأل عما تريد".

"لقد ظللت تراقبنى منذ يوم أو يومين. لماذا؟".

لمعت عينا لافينجتون قليلاً.

"هـذا سؤال سمج، فمن الممكـن أن ينظر أى شخص لآخر كما تعلم".

"لا تستخـف بسؤالى، فإننـى حقًا يملؤنـى الفضول لمعرفة الإجابـة. لماذا كنت تراقبنى؟ فهناك سبب خطير يدفعنى لهذا السؤال".

أخذت تعبيرات وجه لافينجتون تتحول إلى الجدية. وقال:

"سـوف أجيبـك بصدق. لقـد أدركت فيـك علامات رجل يعانـى من توتر حاد، فأثار ذلـك فضولى لأن أعرف سبب هذا التوتر".

قال جاك فى حزن ومـرارة:" يمكننى أن أخبرك ببساطة، فإننى على وشك الجنون".

ثـم توقف عـن الحديث فى أسـى. لكن جملتـه لم تبد أنها أثارت اهتمام أو تركيز الطبيب، لذا كررها.

"أخبرك بأننى على وشك الجنون".

تمتم لافينجتون: "إنه شىء غريب، شىء غريب حقًا".

شعر جاك بالامتعاض.

وقـال: "أعتقـد أن الأمر هكـذا قد اتضـح لى بأكمله. فتبًا لهؤلاء الأطباء قساة القلب".

"تعال، تعال يا صديقى الشاب. فإنك تتحدث بعشوائية. أقول لك فى البداية إننى منذ أن حصلت على الدرجة العلمية فى الطب لم أمارسه، ولكى أكون أكثر تحديدًا فأنا لست طبيب أمراض عضوية، هذا هو الأمر".

نظر إليه جاك فى شغف وقال:

"هل أنت دكتور أمراض عقلية؟".

"نعم، يمكنك قول هذا، ولكننى أعتبر نفسى طبيبا روحيا".

"أوه!".

"إننى أشعر بالاستخفاف فى نبرات صوتك، لكن إذا كان لابد أن نستخدم كلمة تشير إلى العنصر الفعال فى الجسد فلابد أن نستخدم مصطلح الروح كما تعلم أيها الشاب، فهى ليست فقط مصطلحًا دينيًا أوجده رجال الدين. غير أننا نطلق عليه العقل أو العقل الباطن أو أى مصطلح يحلو لك. إنك لاتزال تستاء من حديثى إليك حتى الآن، ولكننى أؤكد لك أن ما أثار فضولى هو أن أجد شخصًا متزنًا وطبيعيًا مثلك أيها الشاب يقع فريسة للتوهم بأنه أوشك على الجنون".

"إننى سأفقد عقلى، حسنًا. هذا قطعًا هراء".

"سامحنى على قولى ذلك، فأنا لا أعتقد ذلك".

"إننى أعانى من الوهم".

"هل نواصل حديثنا بعد العشاء؟".

"لا، فى الصباح".

قال الدكتور وهو يشعل غليونه الذى انطفأ: "لا يمكن أن

يحدث ذلك".

"دعنى أخبرك بأننى أسمع أشياء لا يسمعها أحد غيرى".

"يمكن لفرد من بين ألف فرد أن يرى أقمار المشترى. ولا يمكن الشك حول وجود أقمار المشترى بسبب عدم قدرة التسعمائة وتسعة وتسعين شخصًا الباقين على رؤيتها، ولا يعنى ذلك أن الشخص رقم ألف مجنون".

"ولكن أقمار المشترى حقيقة علمية ثابتة".

"وربما تتحول أوهام اليوم إلى حقائق علمية ثابتة فى الغد".

كان لحديث لافينجتون حول الحقائق أثر لا بأس به على جاك رغمًا عنه، حيث شعر بالراحة والابتهاج. فنظر إليه الدكتور باهتمام لدقيقة أو اثنتين ثم أومأ وقال:

"حسنًا. مشكلتكم أيها الشباب أنكم دائمًا على يقين بأنه لا يمكن لشىء أن يحدث خارج نطاق فلسفتكم؛ لذا فإنكم تثورون غضبًا عندما يحدث شىء خارج عن تلك الفلسفة. دعنى أسمع أسبابك حول اعتقادك بأنك توشك على الجنون وسنحدد بعدها ما إذا كنا سوف نذهب بك إلى مصحة أم لا".

وبكل صدق أخذ جاك يسرد له الحكاية كلها بكل أحداثها وتفاصيلها، وختم حديثه قائلاً: "ولكننى لا أستطيع أن أفهم أو أدرك السبب وراء وقوع ذلك الحدث هذا اليوم فى تمام السابعة والنصف، متأخرًا خمس دقائق عما كان من قبل".

وفكر لافينجتون لدقيقة أو اثنتين.

ثم قال: "كم ساعتك الآن؟".

فرد جاك: "الثامنة إلا الربع".

"الأمر بسيط، فالوقت فى ساعتى الآن الثامنة إلا الثلث، أى أن ساعتك متقدمة بمقدار خمس دقائق. وهذه نقطة مهمة ومثيرة ... بالنسبة لى. لكن فى الحقيقة، إنه أمر لا أهمية له".

"كيف ذلك؟".

حيث أصبح جاك أكثر اهتمامًا.

"حسنًا. إن التفسير الواضح أنك سمعت فى الصباح الأول تلك الصرخة، ربما كانت خدعة وربما لا.

وفى صباح باقى الأيام خيل لك أنك سمعت نفس الصرخة فى نفس الوقت".

"إننى واثق من أنها لم تكن تخيلات".

"ربما حدث ذلك دون وعى منك، فإن العقل الباطن، كما تعلم، يمارس بعض الخدع الطريفة ضدنا، ولكن على أية حال فإن هذا التفسير ليس حتميًا؛ فلو كانت تلك الحالة ليست إلا إيحاءً لكنت قد سمعت الصرخة فى تمام السابعة وخمس وعشرين دقيقة بتوقيت ساعتك، ولما كنت سمعتها فى وقت متأخر حسبما تعتقد".

"حسناً. وماذا بعد؟".

"حسناً، إن حديثى واضح بالنسبة لك، أليس كذلك؟ إن تلك الصرخة تحدث فى مكان وزمان محددين؛ المكان هو المنطقة المجاورة للمنزل والزمان هو السابعة وخمس وعشرون دقيقة".

"نعم، ولكن لماذا أنا الشخص الوحيد الذى يسمعها؟ إننى لا أؤمن بالأشباح وما إلى ذلك فلماذا أسمع ذلك الشئ اللعين؟".

"آه! لا يمكننا معرفة ذلك الآن. إنه شىء غريب، وقد أثبته الكثير من الروحانيين المهرة رغم كونه مثيرا للشكوك، إلا أن المهتمين بتلك الظواهر الغامضة ليسوا هم الذين يرونها، فالكثير من الأشخاص يرون ويسمعون ما لا يسمعه أو يراه غيرهم، ونحن لا نعلم السبب الذى يكمن وراء ذلك، ولعل هؤلاء الأشخاص فى أغلب الأحوال يكون لديهم قناعة داخلية بأنهم مصابون بالوهم، مثلما كنت أنت تمامًا، فهذا الأمر يشبه الكهرباء، فبعض المواد تعد جيدة التوصيل للكهرباء، ومنذ زمن طويل ونحن لا نعرف سبب ذلك، وكنا نضطر إلى قبول تلك الحقيقة. أما اليوم، فقد صرنا نعلم سبب ذلك. وفى يوم ما، دون شك، سنعرف لماذا تسمع أنت ذلك الشىء ولا تسمعه الفتاة. فكل شىء تحكمه قوانين الطبيعة كما تعلم، فليس هناك بالفعل ما يعد خارقاً للطبيعة. وسوف يكون اكتشاف القوانين التى تحكم ما يسمى بالظواهر الروحية عملاً شاقاً، ولكن أقل القليل سوف يفيد.

قال جاك: "ولكن ماذا سأفعل أنا الآن؟".

ضحك لافيتجتون فى خفوت، وقال:

"أرى أنك عمليًا حسنًا يا صديقى الشاب عليك أن تتناول إفطارك الشهى، وتنطلق إلى المدينة دون أن تشغل بالك بالمزيد من تلك الأشياء التى لا تفهمها، أما أنا فسوف أتحرى ذلك

الأمر لأرى ما يمكن أن نكتشفه بشأن ذلك المنزل القابع هناك. وأقسم بأن اللغز إنما يكمن بداخله".

نهض جاك وقال:

"صحيح، يا سيدى. سوف أفعل ذلك، لكن أود أن أقول...".

"ماذا؟!".

احمر وجه جاك للغاية.

ثم تمتم قائلاً: "إننى متأكد من أن الفتاة على ما يرام".

بدا الشعور بالتسلية على وجه لافينجتون، وقال:

"لم تقل لى إنها فتاة جميلة! حسناً، فلنفرح، ولكنى أعتقد أن اللغز يبدأ منذ اللحظة التى رأيتها فيها".

وعاد جاك إلى المنزل ذاك المساء مليئا بالفضول والإثارة. فقد وضع كل ثقته فى لافينجتون، وتقبل الطبيب الأمر بشكل طبيعى، حيث كان حديثه مدعما بالحقائق وليس مشوشًا، وبالتالى اقتنع به جاك.

وجد جاك صديقه الجديد فى انتظاره فى صالة استقبال الفندق عندما نزل لتناول العشاء. واقترح عليه الطبيب أن يتناولا العشاء معًا على نفس المنضدة.

سأله جاك فى قلق: "هل هناك جديد، يا سيدى ؟".

"لقد درست تاريخ هذا المنزل جيدًا، حيث إن اسمه منزل هيثر كوتاج، وأول من سكنه كان بستانيًا عجوزًا وزوجته. مات الرجل وذهبت الأم إلى ابنتها. ثم تملكه عامل بناء أعاد تجديده على نحو بديع ثم باعه لرجل من المدينة استخدمه

لقضاء عطلات الأسبوع. ومنذ عام تقريباً، قام ببيعه إلى الزوجين؛ السيد والسيدة ترنر. ويبدو أنهما كانا زوجين غاية فى الغرابة أكثر من أى من الأزواج الذين قابلتهم من قبل كان هو إنجليزياً بينما كانت زوجته روسية، ومثلما كان يُعرف عنها فقد كانت امرأة جميلة وجذابة. وقد عاش الزوجان حياة هادئة لم يريا فيها أحداً، وقلما كانا يذهبان خارج حديقة المنزل. وتناقلت الشائعات بأنهما يخافان شيئا ما، ولكننى لا أعتقد أننا ينبغى أن نلتفت إلى ذلك.

وفجأة رحل الزوجان وغادرا المكان فى صباح أحد الأيام، ولم يعودا ثانية. وتلقى الموكل خطابا من السيد ترنر من لندن يطلب منه أن يبيع المنزل فى أسرع وقت ممكن.

استوعب جاك كلماته فى صمت.

قال فى النهاية: "لا أعتقد أن هذا يضيف إلينا جديدا، أليس كذلك؟".

قال لافينجتون فى هدوء: "لكننى أود أن أعرف المزيد عن ترنر وزوجته. لقد غادرا المنزل فى الصباح الباكر، كما تتذكر. وعلى حد علمى لم يرهما أى شخص وقت رحيلهما. ولقد تمت رؤية السيد ترنر بعدها، ولكن السيدة ترنر لم يرها أحد قط".

أصبح جاك شاحباً وقال.

"هذا مستحيل، تقصد... ".

"هدئ من روعك أيها الشاب. إن تأثير أى شخص فى مسألة الموت وخاصة إذا كان موتًا عنيفًا على المحيطين به يكون

قويًا للغاية، وربما يستطيع المحيطون استيعاب ذلك التأثير ومن ثم ينتقل إلى شخص آخر، كما حدث لك".

تمتم جاك فى غضب قائلاً: "ولكن لماذا أنا؟ لمَ لا يحدث ذلك لشخص آخر يستطيع التعامل مع هذا الأمر؟".

"إنك تنظر إلى تلك القوة الخفية كأنها ذكية ولها إرادة وهدف بدلاً من كونها تؤثر بشكل تلقائى. إننى لا أؤمن بالأرواح الموجودة بالأرض، التى تسكن بقعة معينة لغرض محدد. ولكن الشىء الذى رأيته مراراً وتكراراً لدرجة أننى أدركت أنه يستحيل أن يكون مصادفة هو ذلك الشىء الأعمى الذى يتحسس طريقه فى موقف ما، مثلما تتحرك القوى السفلية العمياء التى دائمًا ما تعمل فى الخفاء للوصول إلى تلك النهاية...".

واهتز كأنه يحرر نفسه من فكرة استحوذت على تفكيره ثم التفت إلى جاك بابتسامة مرتسمة على شفتيه.

واقترح قائلاً: "دعنا نخرج من هذا الموضوع الليلة مهما كان الأمر".

أبدى جاك موافقته ظاهرياً، ولكنه لم يجد أنه من السهل إبعاد الموضوع عن ذهنه.

وأثناء عطلة الأسبوع ثار بداخله العديد من التساؤلات ولكنه لم ينجح فى استنباط أكثر مما توصل إليه الطبيب إلا قليلا، وقرر عدم لعب الجولف قبل الإفطار.

وجاءت الحلقة التالية فى السلسلة فى صورة شخصية غير متوقعة، فقد علم جاك أثناء عودته ذات يوم أن هناك سيدة شابة فى انتظاره لرؤيته، واندهش كثيرًا عندما وجد أن تلك

الشابة هى فتاة الحديقة، مثلما يطلق عليها ذلك بينه وبين نفسه. كانت عصبية جداً ومرتبكة.

قالت: "هل ستسامحنى يا سيدى لأننى بحثت عنك وجئت إلى هنا بهذه الطريقة؟ ولكن هناك شيئا أريد أن أخبرك به... إننى...".

وأخذت تتلفت حولها فى ريبة.

بادر جاك قائلاً: "تفضلى". وقادها إلى حجرة استضافة السيدات؛ وهى حجرة موحشة داخل الفندق بها مساحات كبيرة من السجاد الأحمر، ثم أردف قائلاً: "والآن، اجلسى يا آنسة... آنسة...".

"مارشود، يا سيدى. فيليسى مارشود".

"اجلسى يا آنسة مارشود وأخبرينى عما تريدينه".

أطاعته فيليسى وجلست. كانت اليوم ترتدى ملابس خضراء داكنة مما أظهر جمالها وسحر وجهها المفعم بالحيوية أكثر من ذى قبل. وأخذ قلب جاك يخفق بسرعة عندما جلس إلى جوارها.

أوضحت له فيليسى قائلة: "إن الأمر هكذا؛ لقد أتينا إلى هنا منذ فترة قصيرة. ومنذ أن أتينا كنا نسمع أن المنزل منزلنا الصغير الجميل مسكون، حيث لا يستمر فيه خادم فى العمل، وهذا لا يهم كثيراً، فبالنسبة لى، فأنا أستطيع ترتيب المنزل والطهو بمفردى".

هنا تحدث الشاب إلى نفسه قائلاً: "ملاك، إنها رائعة".

ولكنه استمر فى التظاهر بالانتباه إليها.

"وأعتقد أن هذا الحديث عن الأشباح يعد هراء، لكن ذلك الاعتقاد قد تبدد منذ أربعة أيام. ففى كل ليلة من الليالى الأربع الماضية كنت أحلم نفس الحلم، وهو أن هناك سيدة جميلة، شقراء طويلة القامة، تقف ممسكة فى يدها مرطباناً فخارياً لونه أزرق، وتبدو حزينة للغاية وتظل مادّة إلىّ يديها بالمرطبان وكأنها تلتمس منى أن أفعل شيئاً ما به، ولكنها للأسف لا تتحدث، وأنا لا أعرف ما تطلبه منى. كان هذا هو الحلم فى الليلتين الأوليين، ولكن فى الليلة قبل الماضية كان هناك شىء آخر حيث أخذت تتلاشى هى والمرطبان، وفجأة سمعت صوت صراخها، فكما تعلم يستطيع المرء إدراك ذلك أثناء الحلم، ويا للعجب! لقد كانت الكلمات التى صرخت بها هى ذاتها التى قلتها لى ذاك الصباح "قتيل، النجدة! قتيل"! فاستيقظت مذعورة، وقلت لنفسى، هذا كابوس مفزع، وأن الكلمات التى سمعتها مجرد مصادفة. ولكن الحلم تكرر البارحة. فما هذا يا سيدى؟ لقد سمعت أنت أيضاً تلك الكلمات، فماذا سنفعل؟".

"حسناً، يا آنسة مارشود، لا تقلقى، سأخبرك بما عليك أن تفعليه إن لم يكن لديك مانع. أعيدى سرد القصة كلها لصديق لى يجلس هنا، إنه دكتور لافينجتون".

أبدت فيليسى رغبتها واستعدادها لذلك، فذهب جاك للبحث عن لافينجتون، وعاد معه بعد دقائق معدودة.

وأخذ لافينجنون يحدق فى الفتاة بعد قيام جاك بتقديمهما لبعضهما على عجل. وعلى الفور شعرت الفتاة بالراحة تجاه كلماته المطمئنة، وأنصت لها بينما تحكى قصتها.

وعندما انتهت من قصتها قال: "هذا شىء غريب للغاية. هل أخبرت والدك بهذا؟".

فهزت فيليسى رأسها وقالت:

لم أرغب فى إثارة قلقه. فهو لا يزال مريضاً". وامتلأت عيناها بالدموع وأردفت: "فأنا أخفى عنه أى شىء يثيره أو يزعجه".

قال لافينجتون فى عطف: "أفهم ذلك، وأنا سعيد بمجيئك إلينا يا آنسة مارشود، إن هارينجتون، كما تعلمين، قد مر بأمر مماثل لما تقولين، وأعتقد أننا الآن قد وضعنا أقدامنا على الطريق الصحيح. لا يوجد شىء آخر يدور برأسك، أليس كذلك؟".

تحركت فيليسى بسرعة وقالت:

"بالطبع! يا لغفلتى. إنه لب القصة. انظر سيدى إلى ما وجدته خلف إحدى الخزَانات حيث انزلقت من الرف".

وأخرجت لهما ورقة رسم متسخة، وهى صورة لامرأة مرسومة عشوائيًا بألوان مائية، وقد كانت غير متقنة لكن الملامح واضحة بشكل كاف، حيث تشير إلى سيدة طويلة القامة بشرتها فاتحة اللون لا يوحى وجهها بأنها إنجليزية. وكانت تقف بجوار منضدة موضوع فوقها مرطبان أزرق من الفخار.

قالت فيليسى: "ولقد أدركت هذا الصباح فقط يا سيدى الدكتور أن هذا الوجه هو وجه المرأة التى رأيتها فى منامى. وهو نفسه المرطبان الذى كان بيدها".

علق لافينجتون قائلاً: "هذا شىء خارق. مفتاح السر إذن هو المرطبان الأزرق، وأعتقد أنه مرطبان صينى، وربما يكون قديماً أيضاً. ويبدو أن تصميمه غريب".

قال جاك: "إنه صينى الصنع، ولقد رأيت مرطباناً مماثلاً له بين المقتنيات الخاصة بعمى، فهو مولع بجمع مصنوعات البورسلين الصينى، كما تعلم، وأتذكر أننى لمحت مرطبانا مثله تماماً منذ فترة قصيرة".

قال لافينجتون متأملاً: "المرطبان الصينى". وبقى غارقاً فى التفكير لدقيقة أو اثنتين، ثم رفع صوته فجأة ولمعت عيناه على نحو غريب وهو يقول: "هارينجتون، منذ متى وعمك يقتنى هذا المرطبان؟".

"متى؟ لا أعرف حقاً".

" فكر، هل اشتراه مؤخراً ؟".

"لا أعلم ... نعم، أعتقد أنه اشتراه مؤخرًا، أستطيع تذكر ذلك الآن. إننى لست مهتماً بالبورسلين، ولكننى أتذكر أنه قد عرض علىّ مشترياته الحديثة".

"هل كان ذلك منذ أقل من شهرين؟ فلقد رحل الزوجان ترنر عن منزل هيثر منذ شهرين فقط".

"نعم، أعتقد ذلك".

"هل يحضر عمك معارض القرية أحياناً؟".

"إنه دائماً ما يتردد على المعارض".

إذن ليس هناك أية احتمالية فى افتراضنا أنه اشترى ذلك المرطبان البورسلين من معرض ممتلكات ترنر. ربما يكون

مصادفة غريبة، أو ربما تكون ما أسميته تسلل قوى خفية. لابد أن تعرف المكان الذى اشترى عمك منه ذلك المرطبان سريعًا".

نكس جاك رأسه وقال:

"معذرة، هذا مستحيل، فعمى مسافر إلى مكان بعيد. ولا أعلم حتى هذا المكان لمراسلته؟".

"إلى متى سيبقى هناك؟".

"من ثلاثة أسابيع إلى شهر على الأقل".

ثم ساد الصمت، وأخذت فيليسى تنقل نظراتها المعبرة عن القلق بين الرجلين.

وسألت فيليسى فى خوف: "هل هناك شىء يمكن فعله؟".

فقال لافينجتون فى نبرة تعبر عن إثارة مكبوتة: "نعم هناك شىء وحيد، ربما يكون غير مألوف ولكننى أعتقد أنه سوف يكون مثمرًا. هارينجتون! ينبغى أن تحصل على ذلك المرطبان، وتحضره إلى هنا، وإذا سمحت الآنسة مارشود فسوف نقضى ليلة فى منزل هيثر ونأخذ معنا المرطبان الأزرق".

شعر جاك بقشعريرة عدم اطمئنان.

وسأل فى عدم ارتياح: "ماذا تعتقد أنه سيحدث؟".

"لا يوجد لدىّ أدنى فكرة ولكنى أؤمن بأن اللغز سوف يتم حله وتتكشف الحقيقة. ربما يكون هناك شىء ما مريب بشأن المرطبان، ويكون هناك شىء مخبأً بداخله. وإذا لم يحدث أى شىء غير طبيعى فسيكون علينا الاعتماد على ذكائنا الخاص".

شبكت فيليسى يديها .

ثم قالت فى تعجب: "إنها لفكرة رائعة".

وكان الحماس يلمع بعينيها، بينما لم يشعر جاك بأى حماس تجاه ذلك. فلقد كان بداخله خوف شديد لكن لم يكن هناك شىء يدفعه إلى إقرار تلك الحقيقة أمام فيليسى. تصرف الدكتور كأن اقتراحه هو أكثر الاقتراحات بديهية وتلقائية.

التفتت فيليسى إلى جاك وسألته: "متى يمكنك الحصول على ذلك المرطبان؟".

قال على مضض: "غداً".

كان عليه أن يساير الأمور الآن. ولكن تَذَكُّره لتلك الصرخة الملهوفة التى طالما ترددت على مسامعه كل صباح كان أمراً لابد من أن يُطرَح جانباً دون هوادة وألا يفكر به أكثر من هذا.

وذهب جاك إلى منزل عمه فى المساء التالى وأخذ المرطبان المقصود، وكان على أتم الاقتناع بعدما رآه بأنه هو المرطبان نفسه المرسوم بألوان مائية فى الصورة. ولكنه لم يستطع بعد أن فحصه بعناية أن يجد أية علامة تدل على أنه يحوى أى سر من أى نوع.

وصل مع لافينجتون فى تمام الحادية عشرة إلى منزل هيثر. وكانت فيليسى فى انتظارهما، ففتحت الباب بسرعة قبل أن يطرقاه.

وهمست قائلة: "تفضلا، فأبى نائم فى الطابق العلوى ولا ينبغى أن نوقظه. ولقد أعددت لكما القهوة هنا".

ثم قادت الطريق إلى حجرة جلوس صغيرة ودافئة. وهناك،

كان يوجد موقد كحولى انحنت فوقه فيليسى وحملت إليهما قهوة طيبة الرائحة.

ثم فك جاك المرطبان الصينى من أغلفته العديدة. فتنهدت فيليسى بمجرد أن وقعت عيناها على المرطبان.

وصرخت فى شغف: "نعم، نعم، إنه هو، أستطيع التعرف عليه فى أى مكان".

فى غضون ذلك كان لافينجتون يقوم بالإعدادات، حيث أزال كل الأشياء الموضوعة على منضدة صغيرة، ووضعها فى منتصف الحجرة، وأحاطها بثلاثة مقاعد ثم أخذ المرطبان الأزرق من يد جاك ووضعه فى منتصف المنضدة.

وقال: "نحن الآن مستعدون. أطفئوا الأنوار، ودعونا نجلس حول المنضدة فى الظلام".

أطاعه الاثنان، وتحدث لافينجتون ثانية فى الظلام قائلاً:

"لا تفكرا فى أى شىء، وانبذا كل شىء. ولا تجبرا ذهنيكما على ذلك. فمن الممكن أن يكون بداخل أحدنا قوى روحية. وإذا كان الأمر كذلك فسوف يخر مغشيًا عليه، وتذكرا أنه ما من شىء يخيفنا، فانبذا الخوف من قلبيكما، واشردا بفكركما .. اشردا..".

تلاشى صوته وأطبق الصمت على المكان. ولحظة بعد لحظة أصبح هذا الصمت محملاً بالمزيد من الاحتمالات. كان المحيط مناسباً لأن يقول لافينجتون: "انبذا الخوف". لكن لم يكن ما يشعر به جاك خوفاً، بل كان ذعراً، وكان متأكداً من أن فيليسى ينتابها نفس الإحساس. وفجأة سمع صوتها الخافت

المرتعد تقول:

"سيحدث شىء مروع، أشعر به".

قال لافينجتون: "انبذى الخوف، ولا تحاولى مقاومة التأثير.

وبدت الظلمة أحلك والسكون أعظم، وبمرور الوقت أتى شىء غريب يوحى بالخطر.

أحس جاك بالاختناق الشديد. وبدا الشىء قريبا للغاية.

ثم مرت لحظة التصارع. كان يشرد وينجرف مع التيار، وأغمضت عيناه .. فى سلام .. فى ظلام ..

شعر جاك بالدوار قليلاً. وكان رأسه ثقيلاً .. ثقيلاً للغاية، فأين كان؟

وسط شروق الشمس .. وتغريد طيور .. كان يرقد محدقاً للسماء.

ثم تذكر كل شىء؛ الجلوس فى الحجرة الصغيرة، والفتاة فيليسى، والدكتور. فماذا حدث؟".

جلس وكان رأسه يهتز على نحو غير مريح. وتلفت حوله. كان يرقد فوق أيكة صغيرة ليست ببعيدة عن المنزل. لم يكن أحد إلى جواره، نظر إلى ساعته ودهش حيث كانت الساعة الثانية عشرة والنصف.

حاول جاك جاهداً أن يقف على قدميه. وجرى بأقصى سرعة فى اتجاه المنزل. لابد أنهما انزعجا من عدم قدرته على الاستفاقة من غشيته فحملاه إلى الهواء الطلق.

وعندما وصل إلى المنزل طرق الباب، ولكن لم يجبه أحد، ولم يكن هناك أية علامات على وجود أحياء بداخله. لابد أنهما ذهبا لطلب المساعدة، أو ربما حدث شىء آخر، لذا شعر جاك بخوف غريب يجتاح صدره. ماذا حدث ليلة البارحة؟

وأسرع عائداً إلى الفندق بأقصى سرعته. وكان على وشك التوجه إلى مكتب الاستعلامات ولكن أعاقته وكزة عنيفة فى ضلوعه كادت تسقطه أرضًا، وحينما التفت فى غضب أدرك وجود رجل عجوز ذى شعر أبيض يهلل فرحًا.

وقال ذلك الشخص: "لم تكن تتوقعنى يا صغيرى، لم تكن تتوقعنى، أليس كذلك؟".

"لماذا، يا عمى جورج، أعتقد أنك كنت على بعد أميال بعيدة منا، فى إيطاليا مثلاً أو فى أى مكان آخر".

"ولكننى لم أكن هناك، لقد وصلت إلى دوفر عشية أمس. وفكرت أن أذهب إلى المدينة ثم توقفت هنا لرؤيتك فى طريقى. وماذا وجدت؟ وجدتك بالخارج طوال الليل أليس كذلك؟ لعل المانع يكون خيرًا..".

صافحه جاك بثبات: "عمى جورج، لدى أغرب قصة أود أن أحكيها لك، وأراهن أنك لن تصدقنى".

ثم سرد القصة بأكملها وأنهاها قائلاً:

"والله أعلم ماذا حدث لهما بعد ذلك ".

بدا العم على وشك الغضب الشديد.

واندفع فجأة قائلاً: "المرطبان الأزرق! ماذا حدث له؟".

حدق جاك إليه لأنه لم يفهم شيئاً، ولكنه عندما خاض فى

الحديث معه بدأ يفهم ما ترمى إليه كلمات عمه، الذى قال فى اندفـاع: " إنه تحفة نادرة، فريـدة، إنه أغلى ما أقتنيه، يساوى عشـرة آلاف جنيه علـى الأقل، حصلت عليه مـن هوجنهيمر، المليونـير الأمريكى، إنه الوحيد من نوعه فى العالم كله، اللعنة، ماذا فعلت بمرطبانى الأزرق؟".

اندفـع جـاك إلى مكتـب الاستعلامـات. لابـد أن يجـد لافينجتون. فى فتور قالت موظفة الاستعلامات:

"غـادر الدكتـور لافينجتـون ليلـة أمـس فى وقـت متأخر بالسيارة وترك لك رسالة".

فتحها جاك ليقرأها، وكانت موجزة ومحددة.

صديقى الشاب العزيز:

هل ولت أيام القوى الخفية الخارقة؟ لا، وخاصة عندما يتم خداعـك بلغة العلم الحديث. أطيـب الأمنيات لك مـن فيليسى، والأب الذى لا وجود له، ومنى. لدينا اثنتا عشـرة ساعة قبل البـدء من جديد، والتـى أعتقد أنها فترة كافية.

صديقك المخلص دائماً

أمبروس لافينجتون

دكتور علم الروح

منزل فيلوميل

"إلى اللقاء يا محبوبتى".

"إلى اللقاء يا عزيزى".

وقفـت أليكس مارتن مستندة علـى البوابة الصدئة تشاهد مغادرة زوجها أثناء توجهه إلى القرية.

والآن دخـل منعطفـا واختفـى عـن الأنظـار، ولكـن ظلت أليكـس واقفة فى نفس المكان شاردة الذهن، تتحسس الخصلة الناعمة للشعر البنى الأنيق الذى يداعب وجهها. وكانت عيناها سابحتين فى الأحلام.

لم تكـن أليكـس مارتن جميلـة ولا حتى حسنـة المظهر، إن جـاز القول، ولكن وجهها ـ الـذى لم يعد وجه امرأة فى مقتبل شبابهـا ـ كان مشرقاً وناعماً، حتى إن زميلاتها القديمات كن

لا يستطعن التعرف عليها. فقد كانت الآنسة أليكس كينج شابة أنيقة يبدو عليها مظهر سيدات الأعمال. وكانت كفئا وجادة فى أسلوبها، وكان من الواضح أنها لا تقبل سوى الحقائق، ولم تكن تتكلف فى هيئة شعرها البنى الجميل، بل كانت هيئته أبسط ما يكون. ودائمًا ما كان فمها الواسع مزموما، وكان نمط ملابسها أنيقا وملائما فى غير دلال.

لقد تخرجت أليكس مـن مدرسة شاقة فى أسلوب التعليم. ولمدة خمسة عشر عامًا ــ أى من سن الثامنة عشرة إلى الثالثة والثلاثين ــ حيث ظلت بلا أم طيلة سبع سنوات فى تلك الفترة ــ علمت فى الطباعة على الآلة الكاتبة، وكان ذلك صراعًا من أجل البقاء، وبالتالى تجمدت ملامح وجهها الرقيق الأنثوى .

حقـًا، كانت هنـاك قصـة غرامية، مـن نوع مـا، مع ديك ونديفـورد، وهـو موظـف زميل لهـا. وكغيرها مـن الفتيات لم تبد أليكس معرفتها باهتمام ديك بها. ففـى الظاهر لم يكونا سـوى صديقـين. وكان على ديـك أن يوفر مصاريـف مدرسة أخيـه الأصغر من مرتبه البسيط، لذا فلم يكن باستطاعته فى تلـك الفترة أن يفكر فى أمـر الزواج رغم أن أليكس كانت شبه متأكدة من أنها سوف تكون زوجة لـ ديك يوماً ما، وكانت تنظر إلى المستقبـل هكذا. كانا يعتنيـان ببعضهما البعض، لذا كانت تعلق آمـالاً على حدوث الزواج. كانا فى غاية الحساسية، وكان لديهـا وفرة من الوقت لذا لم يكن هنـاك داع للعجلة، وبالتالى مرت السنوات.

وفجـأة قُدِّر للفتاة التحرر من ذلك الكدح اليومى على حين غـرة وعلى نحو غـير متوقع. فقد تُوُفِّيت ابنة عـم لها من صلة قرابـة بعيدة، تاركـة كل أموالها لـ أليكس. وكان مبلغ أقل من الألـف جنيـه يوفر مائتى جنيـه أرباحًا سنوية، وهـذا بالنسبة لـ أليكس كان يمنحها الحرية والحياة والاستقلالية، وبالتالى، لم يكن هناك داع الآن لأن تنتظر هى وديك أكثر من ذلك.

ولكـن رد فعل ديك لم يكن متوقعًا، فلم يحدث قبل ذلك أن تحـدث بشكل مباشر عـن حبه لـ أليكس، والآن صار ديك أقل رغبة فى الزواج أكثر من ذى قبل، فتجنبها ـ وأصبح نكد المزاج وكئيبًا. ولعلـه أدرك الحقيقة بسرعة، فقد أصبحت الآن امرأة ميسـورة وبالتالى وقف الخجل والكبرياء عقبة أمام أليكس لأن يطلب منها الزواج.

لم تقل مشاعرها نحوه، بل فكرت ملياً أن تبادر هى بالخطوة الأولى، وعندها حدث ما هو غير متوقع للمرة الثانية.

قابلـت جيرالد مارتن فى منزل صديقة لها. ووقع فى حبها حبًا جارفا، خلال أسبوع تمت خطبتهما. أما أليكس التى كانت تعتـبر أنها مـن المستحيل أن "تسقط فريسـة لعواطف الحب" فقد سقطت فى شراك حبه.

ودون قصـد وجدت أليكس سبيلها لإثـارة حفيظة حبيبها الأول، فأتى إليهـا ديك ونديفورد يستشيط غضباً وغيظاً.

"هـذا الرجل غريـب تمامًا عنك. وأنـت لا تعرفين عنه أى شىء".

"ولكننى أعرف أننى أحبه".

"كيف عرفت ذلك، فى خلال أسبوع؟".

صرخت أليكس فى وجهه قائلة: " لا يستغرق الفرد أحد عشر عامًا لكى يكتشف أنه يحب فتاة".

شحب وجهه وقال:

"لقد كنت مهتمًا بك منذ أن قابلتك، وكنت أعتقد أنك أنت أيضًا مهتمة بى".

كانت أليكس صادقة حين اعترفت قائلة:

"وأنا كنت أظن ذلك أيضًا، ولكن لأننى لم أكن أعلم ما هو الحب".

انفجر ديك ثانية يتوسل إليها ويرجوها إلى أن وصل إلى حد التهديد، فلقد توعد الرجل الذى حل محله. وقد دهشت أليكس جراء رؤيتها ذلك البركان الذى كان فى باطن رجل كانت تظن أنها تعرفه جيداً. لكن هذا البركان أخافها قليلاً... ولم يكن من المحتمل أن ينفذ ديك ما قاله بشأن تهديده بالثأر من جيرالد مارتن. فكل ما هنالك أنه كان غاضباً.

كانت ذكريات تلك المقابلة قد عادت إليها الآن فى هذا الصباح المشمس بينما تستند على بوابة المنزل. لقد مر على زواجها شهر عاشت خلاله فى سعادة ورومانسية، إلا أن مسحة من القلق بدأت تتسلل بداخلها جراء غياب زوجها المؤقت، فقد صار بالنسبة لها كل شىء، ولعل ديك ونديفورد هو سبب ذلك القلق.

وثمة حلم كان قد تكرر لها ثلاث مرات منذ أن تزوجت، تختلف أماكنه لكن مضمونه لم يكن يتغير على الدوام، حيث

كانت ترى زوجها جثة هامدة على الأرض بينما يقف فوقه ديك ونديفورد، ومن الواضح بالنسبة لها أنه قد سدد إليه ضربة قاضية أودت بحياته.

ورغم أن هذا الحلم كان مرعباً إلا أنه كان به شىء أكثر منه رعباً، حيث كان يحدث ذلك الشىء ولا تمتلك أليكس الإرادة فى منعه بينما تحلم، لكنها كانت تصاب بالفزع عندما تستيقظ، لقد كانت أليكس مارتن تسعد بموت زوجها، وكانت تمد يدها بسعادة إلى القاتل وأحياناً كانت تشكره، وينتهى الحلم بنفس النهاية دائماً، حيث تعانق ديك ونديفورد.

ولم تقل أليكس لزوجها شيئًا عن ذلك الحلم، ولكنه فى الباطن أثار قلقها بما لا تحتمل، هل كان ذاك الحلم إنذارًا، إنذارًا ضد ديك وندیفورد؟ هل لديه قوى خفية يحاول تسليطها عليها عن بعد؟ إنها لا تعرف الكثير عن التنويم المغناطيسى، ولكنها حقًا كانت دائمًا ما تسمع أنه لا يمكن أن يتم تنويم الأشخاص مغناطيسيا ضد إرادتهم.

وأيقظ أليكس من خضم أفكارها جرس الهاتف الصادر من داخل المنزل، فدخلت إلى المنزل والتقطت السماعة وفجأة تمايلت بشدة واستندت بيدها حتى تسقط.

"أتقول من المتحدث؟".

"لمَ لا يا أليكس؟ ما الخطب بصوتك؟ إننى لم أعرفه، أنا ديك".

"أوه"! وأردفت: "أوه! أين أنت؟".

"فى ترافيلز أرمز، هذا هو الاسم الصحيح، أليس كذلك؟ أم أنـك لم تسمعى عن وجود ذاك المقهى بقريتك؟ إننى أقضى إجازتى فى الصيد هنا. ألديك مانع من أن آتى لرؤية شخصين محببين إلى قلبى هذا المساء بعد العشاء؟".

قالت أليكس بحدة: "لا، لا ينبغى أن تأتى".

صمت للحظة ثم تحدث ديك بتغير مفاجئ فى نبرة صوته، قائلاً بشكل رسمى: "معذرة، بالطبع لا أريد بعد العشاء".

قاطعتـه أليكـس على الفـور، وبالطبـع كان لابـد أن يكون أسلوبهـا معه على غير المعتاد، وقـد كان حقاً غير معتاد، ذلك لأن أعصابها قد توترت إثر سماعها لصوته، لكن لم يكن خطؤه أنها ترى تلك الأحلام المفزعة.

لـذا أوضحت له قائلة: "كنـت أقصد فقط ـ أننا مرتبطان الليلة بموعد خارج المنزل"، حيث حاولت أن تجعل نبرة صوتها طبيعيـة قدر الإمـكان، فأردفت قائلـة: "هلا أتيـت مساء غد لتناول العشاء معنا؟".

ولكن ديك لاحظ بوضوح افتقار نبرة حديثها إلى الجدية. فقال بنفس النـبرة الرسمية: "شكرًا جزيـلاً، ولكننى من الممكـن أن أرحل فى أى وقت طبقا لحضور صديقى. إلى اللقاء يـا أليكس". وتوقف ثـم أضاف على عجل وفـى نبرة مختلفة: "أطيب تمنياتى لك يا عزيزتى".

وضعت أليكس السماعة بشعور من الارتياح.

ورددت بينهـا وبـين نفسها قائلة: "يجـب ألا يأتى إلى هنا، يجب ألا يأتى إلى هنا. أوه! يا لحماقتى! هل ـ أتخيل نفسى فى

موقف كهذا. على أية حال، إننى سعيدة لأنه لن يأتى".

ثـم تناولت قبعـة ريفية بسيطـة من فوق المنضـدة وعادت إلى الحديقـة ثانية. ثم توقفت لتقـرأ الاسم المحفور على رواق المنزل: فيلوميل كوتاج.

وقد قالـت ذات مرة لجيرالد قبل أن يتزوجـا: "أليس هـذا اسمًا خياليًا؟".

فضحـك وقال فى رقة: "أنت أيتها الصغيرة، لا أعتقد أنك قـد سمعت من قبل عندليبًـا، وأنا سعيد بذلـك؛ فالعندليب لا يغنـى إلا للعشـاق، وسـوف نستمـع إلى غنائـه معاً فـى ليالى الصيف فى حديقة منزلنا".

وعندمـا تذكـرت أليكـس كيـف كانـا يستمعـان إلى غناء العندليـب بينمـا تقف فـى مدخل منزلهـا، انتابتهـا حالة من السعادة.

وكان جيرالـد هو مـن عثر على منزل فيلوميـل كوتاج وأتى إلى أليكس وهو فى قمة الفرح، فلقد وجد المكان المناسب لهما، الـذى كان بالنسبة لهما شيئاً فريـداً، وجوهرة ثمينة، وفرصة نادرة فى العمر. وعندمـا رأته أليكس فتنت به أيضاً. حقًا كان موقعـه موحشا، حيـث كان يبعد ميلين عن أقـرب قرية، ولكن تصميمـه الأنيـق ـ الذى ينتمـى إلى الزمن الجميـل ـ أضفى عليـه روعة وجمالاً، وكذلك فـإن حماماته المريحة ونظام المياه الساخنة والضوء الكهربائى والهاتف، جعلتها هذه الأشياء تقع أسـيرة فى حب هذا المنزل. كان صاحبـه رجلا ثريا رفض فى إحدى نزواته أن يؤجره وقرر بيعه.

ولم يكـن لجيرالد مارتن ـ رغم امتلاكـه لدخل جيد ـ أن يمس برأس ماله. فلم يكن باستطاعته أن يدبر سوى ألف جنيه بينما كان صاحب المنزل يطلب ثلاثة آلاف جنيه، ولكن كان رأس مال أليكس يسهل الحصول عليه نظرًا لكونه على هيئة سندات ماليـة، لذا فيمكنها أن تساهم بنصف المبلغ الذى تملكه لشراء المنـزل، وبالتالى أصبح فيلوميـل كوتاج ملكيتهما الخاصة. ولم تندم أليكس لحظة على شرائها ذلك المنزل واختيارها له. ومن المعـروف أن حيـاة الريف المنعزلة لا تروق للخـدم، وبالفعل لم يكن لديهما خدم فى الوقت الحالى، ولكن أليكس ـ التى عانت مـن الحرمان من الحيـاة الأسرية الدافئة ـــ استمتعت بشكل كبير بطهى الوجبات البسيطة الشهية وبالعناية بالمنزل.

أمـا الحديقـة الممتلئـة بالأزهـار البديعة فـكان يعتنى بها رجـل عجـوز من القريـة يأتى لرعايتهـا يومـين أسبوعيًا. كما كان جيرالـد مارتن يقضى معظم وقته فيها نظرًا لحبه لأعمال البستنة.

واندهشت أليكس عندمـا استدارت لترى البستانى العجوز مشغولاً ومنهمكًا بأحواض الزهور، حيث كان سبب اندهاشها هو أن يومى عمله هما الاثنين والجمعة، أما اليوم فهو الأربعاء.

توجهت نحوه وقالت له: "لماذا يا جورج، ماذا تفعل هنا؟".

فانتصـب العجوز فى ضحكة خافتة بينمـا كان يرفع حافة قبعته القديمة، وقال:

"أقدر مدى اندهاشك يا سيدتى. ولكن هناك سببًا جعلنى أفعـل ذلك، سيكون هناك حفل لتكـريم الفرسان يوم الجمعة.

فقلـت لنفسى إن كلا من السيد مارتـن وزوجته لن يعارضا إن جئت الأربعاء بدلاً من يوم الجمعة".

قالت أليكس: "حسنًا، أتمنى أن تستمتع بالحفل".

قـال جورج ببساطة:" أعتقد أنه شعور جميل لأن يأكل المرء حتـى تمتلـئ معدته، وهو يعلم طـوال الوقت أنه لـن يدفع ثمن الطعام. كما أن الحفل به أماكن معدة لتناول الشاى. ثم فكرت فـى أن آراك قبل أن تذهبى إلى خـارج المنزل لأعرف ما الذى تريدينـه بخصوص حدود تلك الأحواض؛ لأننى أعتقد أنه لن يكون برأسك أفكار عندما تعودين، أليس كذلك؟".

"ولكننى لن أغادر لأى مكان!".

حدق جورج إليها وسأل:

"ألن تذهبى إلى لندن غدًا؟".

"لا، ما الذى جعلك تعتقد ذلك؟".

فهـز جـورج رأسـه، وقال:"لقد قابلت سيدى فـى القرية بالأمس، وأخبرنى أنكما ستذهبان إلى لندن غدًا".

قالـت أليكس ضاحكة:" هذا هـراء، لابد أنك أخطأت فهم ما قاله".

لكـن على أية حال، تساءلت أليكس عما إذا كان جيرالد قد قال ذلـك ليوقع الرجل العجوز فى سوء الفهم الغريب هذا، أم أنهما سيذهبان إلى لندن؟ إنها لا تريد أبداً أن تذهب إلى لندن ثانية.

فقالت فجأة وبعنف:"إننى أكره لندن".

قال جورج فى هدوء:" آه! لابد أننى أخطأت الفهم بشكل ما، إلا أنه قال لى ذلك بوضوح كما بدا لى الأمر. أنا سعيد لبقائك هنا فأنا لا أحبذ كثرة السفر، كما أننى لا أعجب بلندن. ولم أكن أود أن أذهب إلى هناك؛ ففيها سيارات كثيرة مزعجة تتوقف فى أى مكان. كان السيد أميس يمتلك ذلك المنزل، وقد كان مرهف الحس كعادته لأن يشترى منزلا كهذا، لكن لم يمر سوى شهر واحد حتى عرض هذا المنزل للبيع، وكان قد أنفق عليه الكثير؛ حيث توجد به مياه فى كل غرفة من غرف النوم وكذلك كهرباء وإضاءة، وما إلى ذلك. وأذكر أننى قلت له:"لن تسترد كل هذا الذى أنفقته، فليس كل البشر مثلك يهتمون بالاستحمام فى كل حجرة"، فقال لى: "ولكننى، يا جورج، سأسترد كل قرش من الألفى جنيه اللذين أنفقتهما فى هذا المنزل". وكان متأكدًا مما يقول".

قالت أليكس مبتسمة:" لقد أخذ ثلاثة آلاف".

كرر جورج قائلاً :" ألفا جنيه، كان ذلك هو المبلغ الذى طلبه آنذاك. وكان ذلك مبلغاً كبيرًا وقتئذ".

قالت أليكس: "كان المبلغ حقًا ثلاثة آلاف جنيه".

قال جورج عن اقتناع: "لا تفهم النساء فى شئون البيع والشراء. لا تحاولى إقناعى بأن السيد ميس تجرأ ووقف ليطلب ثلاثة آلاف جنيه بصوت عال".

قالت أليكس:" لم يقل لى، بل قال لزوجى".

انحنى جورج ثانية إلى حوض الأزهار.

وقال فى عناد: "كان المبلغ ألفى جنيه".

لم تشغل أليكس بالها بالجدال معه فانتقلت إلى حوض زهور آخر واقتطفت باقة من الزهور. وكان شروق الشمس، وعبير الأزهار، وطنين النحل الخافت، كل ذلك يتناغم من أجل يوم جميل.

وبينما كانت تتوجه نحو المنزل بباقة الزهور العطرة لاحظت شيئًا لونه أخضر يبرز من بين أوراق أحد أحواض الحديقة، فانحنت لتلتقطه، فوجدته دفتر اليوميات الخاص بزوجها، ولابد أنه قد سقط من جيبه وهو يجمع الحشائش الضارة.

ففتحته وألقت نظرة على محتواه بدافع من اللهو، وقد كان يدون فيه مذكراته منذ بداية زواجهما، وأدركت أن زوجها جيرالد، العاطفى المتهور المندفع فى تصرفاته، كان شديد الاهتمام بشأن انضباط مواعيد الوجبات، وكان يخطط لليوم التالى بدقة ووفقاً لجداول المواعيد. فعلى سبيل المثال ذكر هذا الصباح أنه سوف يتوجه للقرية بعد الإفطار، فى العاشرة والربع. وفى العاشرة والربع بالضبط غادر المنزل.

وبمتابعتها لليوميات اندهشت عندما وجدت البيانات المكتوبة فى تاريخ ١٤ مايو، وهى "شارع مارى أليكس، بيتر الثانية والنصف".

تمتمت أليكس وهى تُقلب الصفحات :" يا له من وغد".

وفجأة توقفت.

"الخميس ١٨ يونيه، لماذا هذا اليوم؟".

وفى خانة هذا اليوم كتب جيرالد بخطه المنسق الدقيق "٩ مساءً" وليس هناك شىء آخر، وتساءلت أليكس عما يخطط

جيرالـد لفعله فـى ذاك الوقت. ثـم ابتسمت أليكس لنفسها؛ حيث أدركت أن تلك اليوميات تشبـه القصص التـى قرأتها وأنهـا سوف تمدها بـلا شك بشىء من الاعترافـات العاطفية لزوجهـا، فربما تحتـوى على اسم امـرأة غيرهـا. وتصفحت بدقة الصفحات السابقة ثانيـة. كانت هناك تواريخ ومواعيد، وإشـارات تدل على صفقـات عمل، ولكن ليس بهـا اسم امرأة سوى اسم امرأة واحدة، هو اسمها.

إلا أنهـا عندما أسقطت الكتيب فى جيبها وذهبت بالأزهار إلى المنـزل أحست بعدم ارتياح غير مفهوم، وذلك لوقع كلمات ديك وندیفورد عليها كما لو كان بجوارها يردد: "الرجل غريب تمامًا عنك. أنت لا تعرفين عنه شيئًا".

مـا قاله كان حقًا، فماذا تعرف هى عنه؟ على أية حال فإن عمـر جيرالد أربعـون عاماً، وفى سـن الأربعين لابـد أن يكون بجواره امرأة...

هـزت أليكس رأسها فى غير صبر، حيث ينبغى ألا تدع تلك الأفـكار تسيطر عليهـا، فلديها ما هو أهـم لأن تشغل تفكيرها بـه: أينبغى عليهـا، أم لا ينبغـى أن تخبر زوجهـا بمكالمة ديك وندیفورد؟

وهنـاك احتمـال لابد أن يوضـع فى الاعتبار وهـو أن يكون جيرالـد قد قابله فـى القرية. ولكـن فى هذه الحالـة لابد أنه سيخبرهـا عن ذلك فور رجوعه، ومن ثـم تصبح الأمور خارج نطـاق سيطرتهـا. وإلا ــ مـاذا؟ أحست أليكس بعـدم رغبتها فـى أن تقـول شيئًا عن ذلك لزوجها. فدائمًـا ما يبدى جيرالد

مشاعـر طيبة تجاه الآخرين، حيث قـال لها ذات مرة: "يا لهذا المسكـين الأحمق، إننى أعتقد أنـه شغوف بك مثلى تماماً، لكن سوء الحظ صادفه وتنحى جانباً". لكن لم يكن لديه أدنى شك فى مشاعر أليكس نحوه.

ولـو أنهـا أخبرته، فمـن المؤكد أنه سوف يتبـادر إلى ذهنه أنهـا هـى التى طلبت منه المجـىء إلى هنا، ثـم تضطر إلى أن تشرح له أن ديك هو الذى اقترح بنفسه المجىء، وأنها اعتذرت لـه لتمنعه. وعندمـا يسألها عن سبب فعلها هـذا، فماذا كانت ستقـول له؟ أتخبره بما رأته من حلـم؟ فإما أنه سوف يضحك فقـط، أو أن يكون رد فعله أسـوأ، ويعتقد أنها تضع لهذا الحلم أهميـة أكثر مما يستحق، وبالتالى ربما يتبادر إلى ذهنه.. أوه! ربما يفكر فى شىء آخر!

وفى النهاية، وفى، خجل قررت أليكس ألا تقول شيئًا، وكان هـذا هو أول سر تخفيه عن زوجها، مع أن إدراكها لذلك جعلها تشعر بعدم ارتياح.

وعندمـا رأت زوجهـا عائدًا مـن القرية قبل الغـداء بقليل أسرعـت إلى المطبـخ لتتظاهـر بأنهـا مشغولة فـى الطهى كى تخفى ارتباكها.

اتضح فى الحـال أن جيرالد لم ير ديك وندیفورد، ومن ثم شعرت أليكس بالارتياح والخجـل، وأضحى الإخفاء سياستها، وظلت طوال اليـوم عصبية وشاردة الذهن. يفزعها أى صوت، ولكن زوجها لم يلحظ شيئًا. أما هو نفسه فقد بدا كأن لديه ما يشغـل بالـه ويجعله شاردًا هو الآخر، وفى مـرة أو مرتين كانت

تكرر ما تقوله قبل أن يرد على ملاحظاتها التافهة التى توجهها إليه.

ولم ينته ذلك حتى تناولا وجبة المساء البسيطة عندما جلسا معًا فى حجرة المعيشة المصنوع أثاثها من خشب البلوط والمفتوحة نوافذها، حيث يتسلل إليها النسيم العليل بأريج الأزهار البنفسجية والبيضاء المزروعة بالخارج، وهنا تذكرت أليكس كتيب اليوميات فأمسكت به لتبعد به أفكارها عن الشك والحيرة.

قالت: "هناك شىء كنت تروى به الأزهار"، وألقته إليه.
"لقد سقط منى على حافة الحوض، أليس كذلك؟".
"نعم، لقد عرفت كل أسرارك الآن".

قال جيرالد وهو يهز رأسه: " لست مذنبًا".
"وماذا عن موعد التاسعة مساءً الليلة".

"أوه! هـذا..."، بدا كأنه تراجع للحظة عن قول شىء، ثم ابتسم كأن شيئًا ما قد حمل إليه بعض التسلية، وأكمل قائلاً :"إنه موعد مع فتاة لطيفة يا أليكس، ذات شعر بنى، وعينين زرقاوين وتشبهك إلى حد كبير".

قالت أليكس فى غلظة ساخرة: " لا أفهم أنك تراوغنى".
"لا، إننى لا أراوغ. فى الحقيقة هذا الموعد يذكرنى بأن أقوم بتحميض بعض الصور الليلة، وأريد منك المساعدة".

كان جيرالد مارتن مغرما بالتصوير، ويمتلك كاميرا قديمة الطراز ولكن عدساتها ممتازة. وقام بإعداد شرائح الصور فى قبو صغير معد ليكون غرفة مظلمة، حيث كان قد أخذ صورًا

لأليكس فى أوضاع عدة.

قالت أليكس فى غيظ: "لابد أن يتم ذلك فى التاسعة بالضبط".

بدا جيرالد حائرًا.

فقال فى نبرة يتخللها الاختبار: "عزيزتى، لابد للمرء أن يخطط للأشياء فى مواعيد محددة، وحينئذٍ ينجح فى عمله على نحو لائق".

جلست أليكس لدقيقة أو اثنتين صامتة تراقب زوجها وهو يترنح على كرسيه بينما يدخن، ورأسه الداكن يتمايل للخلف، وتبرز المعالم الواضحة لوجهه الحليق من الخلفية الداكنة. وفجأة دفع بها شىء مجهول زرع فى قلبها الذعر، فصرخت قبل أن تحاول تمالك نفسها: " أوه! جيرالد، ليتنى عرفت عنك أكثر".

فاستدار إليها زوجها تملؤه الدهشة وقال:
"ولكنك عزيزتى أليكس تعرفين حقًا عنى كل شىء. لقد أخبرتك عن حياتى فى نورثمبرلاند، وعن حياتى فى جنوب أفريقيا وعن تلك السنوات العشر الأخيرة فى كندا والتى جلبت لى النجاح".
" أوه، عمل!".

ضحك جيرالد فجأة وقال:
"أعرف ماذا تقصدين، تقصدين العلاقات العاطفية. أنتن جميعاً تتشابهن أيتها النساء، لا تهتممن سوى بالتفاصيل الشخصية".

شعرت أليكس بجفاف حلقها، حيث تمتمت فى غير وضوح: " حسنًا، لكن لابد أنه كانت هناك علاقات عاطفية، أقصد... أريد أن أعرفها...".

ثم ساد الصمت ثانية لدقيقة أو اثنتين، بدا خلالهما جيرالد مارتن متجهماً، وعلت وجهه نظرة حائرة. وعندما تحدث فى اقتضاب لم تكن هناك أية لمحة للأسلوب المازح الذى تحدث به مسبقًا، حيث قال: "هل تعتقدين يا أليكس أننى ذاك الرجل الذى يقتل زوجاته؟ نعم، لقد كان هناك نساء فى حياتى، ولا أنكر ذلك، ولن تصدقينى إن أنكرت ذلك، ولكنى أقسم لك أن لا أحد منهن تعنى لى أى شىء".

وكان بصوته شىء من الصدق أراح زوجته المنصتة إليه.

سألها مبتسمًا: "هل اطمأننت يا أليكس؟"، ثم نظر إليها فى قلق وسأل: " لماذا تطرأ على ذهنك تلك الأمور المزعجة تلك الليلة دون كل الليالى؟ ولماذا لم تذكرى أية شىء بشأنها من قبل؟".

نهضت أليكس واقفة فى الحجرة دون ارتياح.

وقالت: "أوه، لا أعرف، لقد كنت عصبية طوال اليوم".

قال جيرالد فى صوت خفيض كأنه يتحدث إلى نفسه: "هذا غريب. هذا غريب جدًا".

"لماذا هو غريب؟".

"أوه يا عزيزتى، لا تنظرى إلىّ هكذا. لقد قلت إن ذلك غريب فقط لأنك اعتدت على أن تكونى لطيفة وهادئة".

ابتسمت أليكس على مضض.

واعترفت قائلة :" كل شىء اليوم يتآمر لمضايقتى، وحتى جورج العجوز دارت برأسه فكرة سخيفة بأننا سنغادر إلى لندن. وقال إنك أخبرته بهذا".

فسأل جيرالد فى حدة: "وأين رأيته؟".

"جاء للعمل اليوم بدلاً من يوم الجمعة".

فقال جيرالد فى غضب :" ذاك العجوز الأحمق".

حدقت أليكس فى دهشة، واهتز وجه زوجها بمشاعر الحنق. لم تره أليكس من قبل بمثل تلك الحالة من الغضب. وعندما لاحظ مدى دهشتها حاول جيرالد جاهدًا أن يتمالك نفسه ثانية.

واحتج قائلاً :" حسنًا، إنه أحمق عجوز".

" ما الذى قلته له ليعتقد ذلك؟".

"أنا؟ لم أقل شيئًا قط. على الأقل... أوه، نعم، تذكرت، لقد قلت له، مازحًا، إننى سأرحل إلى لندن فى الصباح، وأعتقد أنه قد أخذ ذلك على محمل الجد. وربما لم يسمع ما قلته جيداً. ولكنك بالطبع لم تخدعيه بتلك المزحة، أليس كذلك؟".

وانتظر ردها فى قلق.

قالت: "بالطبع، ولكن هذا النوع من الأشخاص ذوى الأعمار المتقدمة عندما يستوعبون فكرة، حسنًا، يكون من الصعب أن يطردوها من رءوسهم ثانية".

ثم أخبرته بشأن إصرار البستانى على مقدار المبلغ الذى طلبه صاحب المنزل لبيعه. بقى جيرالد صامتًا لدقيقة أو اثنتين ثم قال فى هدوء:

"كان أميس على استعداد أن يقبل ألفى جنيه نقداً ويتم دفع الألف المتبقى على سبيل الرهن، وهذا هو مصدر سوء الفهم على ما أعتقد".

وافقته أليكس قائلة :"لابد أن الأمر هكذا". ثم نظرت إلى الساعة وأشارت إليها بإصبع مرتعش وقالت: "ينبغى أن تنزل إلى حجرة الصور الآن يا جيرالد، فنحن متأخرون عن الموعد المحدد بخمس دقائق".

علت وجه جيرالد ابتسامة غريبة.

وقال فى صوت خافت :" لقد غيرت رأيى، لن أحمض أية صور الليلة".

إن عقل المرأة شىء غريب. نامت أليكس مساء ذلك الخميس وعقلها قانع وهادئ. حيث تأكدت سعادتها المؤقتة وظفرت بها كما كان الحال فى الأيام الخوالى.

ولكنها أدركت مع مساء اليوم التالى أن هناك قوى خفية تحاول إفساد تلك السعادة. لم يتصل ديك ونديفورد ثانية، ولكنها أحست بتأثيره على حد ظنها. حيث أخذت كلماته تتردد على مسامعها مراراً وتكرارًا؛ "هذا الرجل غريب تمامًا عنك. أنت لا تعرفين عنه شيئًا"، لكنها تذكرت معالم وجه زوجها بوضوح فى عقلها عندما قال: "هل تعتقدين يا أليكس، أننى ذاك الرجل الذى يقتل زوجاته؟" لماذا قال ذلك؟ وماذا كان يعنى بتلك الكلمات؟

كانت كلماته تنم عن التحذير، وبها لمحة خطر. وبدا الأمر كأنه يقول فى حدة: "من الأفضل ألا تتطفلى على حياتى يا أليكس، فسوف تصدمين إن فعلت هذا". لقد أقسم لها حقًا بعد دقائق معدودة أنه لم تكن هناك امرأة بحياته تعنى له شيئًا، وحاولت أليكس أن تستشف شعورًا بالصدق فى كلامه ولكن بلا جدوى. لم يكن لزامًا عليه أن يقسم بهذا، أليس كذلك؟

ومع صباح الجمعة، أقنعت أليكس نفسها بأن هناك امرأة فى حياة جيرالد ـ وأن هناك جريمة قتل حاول جاهدًا ومثابرًا أن يخفيها عنها. كانت غيرتها ـ التى تثار بسرعة ـ قد وصلت الآن إلى ذروتها.

هل كانت هناك امرأة سيقابلها الليلة فى التاسعة مساء؟ هل ما قصه بشأن الصور الفوتوغرافية التى سيحمِّضها كانت كذبة أطلقها فى تلك اللحظة؟ وأدركت أليكس ـ فى إحساس غريب بالصدمة ـ أنها معذبة منذ أن وجدت دفتر اليوميات. لكن لم يكن به شىء، أليس كذلك؟ كانت تلك هى المفارقة فى الأمر كله.

كان بإمكانها أن تقسم قبل أن تجده بثلاثة أيام أنها تعرف زوجها معرفة تامة، أما الآن، فإنه يبدو لها شخصا غريبا لا تعلم عنه شيئًا. لقد تذكرت غضبه غير المنطقى تجاه جورج العجوز، على النقيض من أسلوبه الهادئ المعتاد. إنه أمر بسيط ولكنه أوضح لها أنها لم تكن تعرف الرجل الذى هو زوجها.

كانت هناك العديد من الأشياء البسيطة المطلوبة يوم الجمعة لإحضارها من القرية للاحتفاظ بها لإجازة الأسبوع،

فاقترحت أليكس بعد الظهيرة الذهاب لإحضارها بينما يبقى جيرالد فى الحديقة، ولكن لدهشتها عارض جيرالد اقتراحها بشدة، وأصر على الذهاب بنفسه لإحضارها على أن تبقى هى بالمنزل. فاضطرت أليكس إلى أن تدعه يفعل ذلك، ولكن إصراره أدهشها وأزعجها أيضًا؛ فلماذا هو قلق بشأن ذهابها للقرية؟

وفجأة خطر ببالها تفسير أوضح لهذا الأمر كله، أليس من المحتمل أن يكون جيرالد قد قابل ديك ونديفورد ولم يقل لها شيئًا؟ إن غيرتها المستكينة فى بداية زواجهما بدأت بعد ذلك. لكن ليس من المحتمل أن يكون هذا هو الحال مع جيرالد أيضًا. انسجم هذا التفسير مع الحقائق الواقعة وبالتالى أراح ذهن أليكس المشوش المتحير، فتمسكت به بشدة.

عندما أتى موعد تناول الشاى، ومر، أصبحت قلقة وينتابها عدم ارتياح، حيث كانت تصارع مشاعر تهاجمها منذ رحيل جيرالد. وفى النهاية أراحت بالها بأن أكدت أن الحجرات تحتاج إلى ترتيب دقيق، فصعدت إلى حجرة ملابس زوجها. وأخذت معها ممسحة غبار لتتظاهر بمظهر ربة المنزل.

ورددت لنفسها قائلة: "لو كنت فقط متأكدة، لو أستطيع أن أتأكد فقط".

وحدثت نفسها فى يأس أن أية محاولة للتوصل لحل وسط كأن لابد سوف تبوء بالفشل، وعارضت ذلك قائلة إن الرجال أحيانًا ما يخفون أدلة إدانتهم فى صورة عواطف مُفرطة.

وفى النهاية خضعت أليكس. وبينما تتوهج وجنتاها احمرارًا من الخجل مما تفعله، أخذت تفتش فى محفوظات الخطابات والوثائق. وأخرجت كل الأدراج، وفتشت فى جيوب ملابس زوجها. ولم تترك سوى درجين؛ الدرج السفلى للخزانة والدرج الصغير على يمين مكتب زوجها، حيث كانا مغلقين. ولكن أليكس انغمست الآن فى الشعور بخيبة الأمل والخجل، وكانت مقتنعة بأنها ستجد دليلا على وجود تلك المرأة والتى توهمت أنها كانت فى ماضى زوجها، وانشغلت بها.

تذكرت أن جيرالد ترك مفاتيحه على منضدة جانبية دون أن يشعر فى الطابق السفلى، فالتقطتها وأخذت تجربها واحدًا تلو الآخر. توافق المفتاح الثالث مع درج المكتب، فدفعته أليكس وفتحت الدرج، فوجدت كتاب استبيان ومحفظة ممتلئة بالمذكرات. وفى مؤخرة الدرج وجدت مجموعة من الخطابات مربوطة بشريط.

وبدأت أنفاسها تتلاحق بسرعة، ففكت أليكس الشريط. ثم علت حمرة الخجل وجهها، فأعادت الخطابات ثانية إلى الدرج وأغلقته، ثم أعادت غلقه بالمفتاح، لأن هذه الخطابات كانت خطاباتها التى كانت ترسلها لجيرالد مارتن قبل زواجهما.

وانتقلت إلى درج الخزانة وهى تتمنى أنها لم تترك شيئًا يمكن فعله أكثر مما فعلت. كانت تشعر بالخجل وكانت مقتنعة تقريباً بمدى جنون أوهامها.

وانزعجت عندما لم يطابق أى من مفاتيح جيرالد هذا الدرج. فتوجهت أليكس إلى الحجرات الأخرى حتى لا تحبط

محاولاتها وأحضرت مجموعة من المفاتيح وشعرت بالرضا عندما تطابق مفتاح خزانة الملابس الموجود بالحجرة الخالية مع هذا الدرج، ففتحت قفله وسحبته. ولكن لم يكن به أى شىء سوى مجموعة من قصاصات من الصحف حيث كانت متسخة وبهتت ألوانها بسبب مرور فترة طويلة عليها.

تنهدت أليكس فى ارتياح، إلا أنها أخذت تحدق النظر فى تلك المقاطع فى فضول لمعرفة الموضوع الذى أثار اهتمام جيرالد ليحتفظ بتلك القصاصات الملبدة بالأتربة. كانت كلها غالبًا صحفا أمريكية يرجع تاريخه إلى سبع سنوات ماضية، وكانت تتناول محاكمة نصاب معروف؛ هو تشارلز لوميتر. كان لوميتر متهمًا بقتل ضحاياه النساء. حيث وُجد هيكل عظمى أسفل طابق أحد البيوت التى استأجرها، وكانت معظم السيدات التى "تزوج" بهن لم يسمع عنهن بعد ذلك.

ودافع عن نفسه ضد تلك التهمة فى مهارة شديدة معتمدًا على أفضل الثغرات القانونية فى الولايات المتحدة. حيث حُسمت القضية بالحكم الاسكتلندى وهو "عدم الثبوت"، وفى عدم وجود الإثبات أضحى "ليس مذنباً" فى تلك التهمة رغم أنه حكم عليه بالسجن لفترة طويلة بسبب تهم أخرى نُسبت إليه.

تذكرت أليكس الإثارة التى سببتها هذه القضية فى ذلك الوقت وكذلك الشعور الذى أثاره هروب لوميتر بعد ثلاث سنوات من الحكم عليه، ولم يتم العثور عليه ثانية. ولقد تناولت الصحف الإنجليزية فى ذلك الوقت شخصية الرجل وتأثيره

الخارق على النساء على نطاق واسع وكذلك تناولت اهتياجه وانفعاله فى ساحة القضاء واحتياجاته المثيرة للعواطف وكذلك انهياراته المرضية المفاجئة بين الحين والآخر والتى تعود إلى حقيقة إصابته بضعف فى عضلة قلبه رغم أن من يتجاهل تلك الحقيقة يخيل إليه أن لديه قدرات تمثيلية.

كانت له صورة فى إحدى القصاصات التى كانت تمسكها أليكس، وأخذت تفحصها ببعض الاهتمام، حين كان رجلا مهذبا طويل اللحية، تبدو عليه سمات العلماء. ولقد ذَكَّرَهَا بشخص ما إلا أنها لم تستطع أن تتذكر فى تلك اللحظة من هو ذلك الشخص. ولم تكن تعلم من قبل أن جيرالد مهتم بالجرائم والمحاكمات المشهورة، رغم أنها كانت تعلم أن الكثير من الرجال لديهم هذه الهواية.

بمن يذكرها هذا الوجه؟ وفجأة - وفى صدمة - لاحظت أنه جيرالد نفسه. فالعينان والحاجبان يحملان الكثير من الشبه بجيرالد. ربما احتفظ بالقصاصة لهذا السبب. بعدها، انتقلت عيناها إلى الفقرة المجاورة للصورة. فقد كانت هناك تواريخ محددة، هكذا بدت، موضوعة فى حافظة نقود المتهم، وهى التواريخ التى قيل إنه تخلص فيها من ضحاياه. بعدها قدمت إحدى السيدات دليلا، فقد حددت هوية المتهم من خلال تأكيدها وجود شامة على رسغه الأيسر، وهى الشامة التى كانت تقع تحت راحة يده تماما.

سقطت الأوراق من يد أليكس الواهنة، وتمايلت وهى تقوم من مكانها، "فى رسغ جيرالد الأيسر، وأسفل راحة يده تماما،

توجد ندبة صغيرة".

دارت الحجـرة بها... وبعد ذلـك، وعلى نحو غريب وجدت أنـه ينبغى عليهـا أن يصبح لديها مثل هـذا اليقين المطلق على الفـور. إن جيرالد مارتن هو تشارلـز لوميترا لقد عرفت ذلك وقَبِلَتْـه فـى لمح البصـر، فقد تجمعت فى ذهنهـا مجموعة من المتفرقـات كما لو كانت قطعًا من لعبـة تجميع المكعبات ذهبت كل منها إلى مكانها.

المال الذى دُفِعَ من أجل المنزل... مالها... فقط. وكانت قد وفرته من سنداتهـا الخاصة والتى نقلتها لملكيته. وحتى حلمها بدا أنه ذا دلالة. ففى قرارة نفسها، وفى لا وعيها، كانت تخشى جيرالـد مارتن، وكانت تتمنى لو فَرَّتْ منـه، ولذلك فقد طَلَبَتْ المساعـدة من ديك وندبفورد. ولأجل هـذا السبب أيضا، كانت علـى استعـداد لأن تقبل الحقيقـة بسهولـة، ودون أدنى تردد. وكان مـن المحتمـل أن تتحـول إلى ضحية جديدة مـن ضحايا تشارلز لوميتر. وربما كان ذلك قريبا جدا.

وأفلتت منهـا نصف صيحـة عندما تذكرت شيئـا ما. يوم الخميسـ فـى التاسعة مسـاء. إنه ذلك القبو بتلـك البلاطات التى يمكن تحريكهـا بسهولة. لقد قام فى السابق بدفن إحدى ضحاياه فى قبو. لقد كان التخطيط كله يهدف إلى إتمام الأمر يوم الخميس فى التاسعة مساء. لكن أن يتم كتابة الأمر مسبقا بهـذه الطريقـة المنهجية... فذلك جنـون! لا. إنه أمر منطقى. كان جيرالـد دائما ما يكتـب مذكراته عـن كل علاقاته، وكان القتل بالنسبة له مسألة عمل كغيره من الأعمال.

لكن ما الذى أنقذهـا؟ ما الذى يمكن أن يكون قد أنقذها؟ هـل تراجع فـى اللحظة الأخـيرة؟ لا. جاءتهـا الإجابة فى لمح البصـر. إنه جورج العجـوز. يمكنهـا الآن أن تفهم سر غضب زوجهـا الجامح. فهو بلا شك قد مهد الطريق بإخباره الجميع أنهمـا سوف يتوجهان إلى لندن فى اليوم التالي، وبينما أنكرت هـى صحة الأمر. يا له من خطـر كانت ستتعرض له تلك الليلة لـولا تكـرار جورج العجـوز مسألة السفر. لكن يـا له من فرارا لـو لم يحدث أن ذكـرت لزوجها هذا الأمـر التافه... وارتعدت عندما وصلت بتفكيرها إلى هذه النقطة.

إلا أنـه لم يكن هناك وقـت لتضييعه، يجـب أن ترحل الآن قبل أن يعود، فلن تقضى ليلة أخرى تحت نفس السقف مع ذلك الشخص مهما كان الثمن. وبسرعة، أعادت لفافة القصاصات إلى الدُرج، وأَغْلَقَتْهُ، ووَضَعَتْ عليه القفل.

ثـم تجمدت لفترة بـلا حراك كما لو كانت قـد تحولت إلى حجر، فقد سمعت صرير البوابة فى الخارج. لقد عاد زوجها.

وللحظة، تجمدت أليكس فـى مكانها من الذعر، ثم سارت علـى أطـراف أصابعهـا حتـى النافـذة، ونظـرت إلى الخارج مستترةً بالستار.

نعم. لقد كان زوجهـا، وكان يبتسم لنفسه وهو يدندن أحد الألحـان بصوت خفيض. وفى يده، حمل أداةً جعلت قلب الفتاة يتوقـف عن النبـض تقريبا. كان جاروفا جديـدا من تلك التى تستخدم فى الحدائق.

وبالغريزة، أدركت أليكس شيئا. سيتم الأمر الليلة...

إلا أنه لا تزال هناك فرصة. فقد ذهب جيرالد، وهو لا يزال يدندن باللحن، إلى خلف المنزل.

فقالت أليكس فى نفسها وهى ترتجف: "سيضعه فى القبو. لكى يكون مستعدا".

ودون أن تتردد لحظة، اندفعت للهبوط على السلالم واتجهت خارج المنزل. ولكن بينما كانت تخرج من الباب، برز زوجها من الجانب الآخر من المنزل.

قال لها: "مرحبا. إلى أين تركضين بهذه السرعة؟".

حاولت أليكس جاهدةً أن تبدو هادئة كالمعتاد. لقد ضاعت فرصتها الآن، إلا أنها إذا تعاملت مع الأمر وحرصت على ألا تثير شكوكه، يمكن أن تستعيد تلك الفرصة، وربما الآن...

قالت فى صوت بدا فى أذنيها ضعيفا وغير واثق: "لقد كنت سأسير إلى آخر الطريق ثم أعود".

قال جيرالد: "حسنا. سآتى معك".

"لا... من فضلك يا جيرالد... أنا... متوترة قليلا، أشعر بالصداع... أفَضِّلُ أن أذهب وحدى".

نظر إليها نظرة فاحصة، ولمحت الشك فى عينيه للحظة، قبل أن يقول:

"ماذا بك يا أليكس؟ تبدين شاحبة... وترتجفين".

أجبرت نفسها على أن تتكلم فى صوت قوى وأن تبتسم، وهى تقول: "لا شيء. أشعر ببعض الصداع. هذا كل ما فى الأمر. المشى سيجعلنى أشعر بأننى أحسن حالا".

قال جيرالد وهو يضحك ضحكته الهادئة: "حسنا. لكن لم

يكن من اللائق أن تقولى إنك لا تريديننى".

لم تجرؤ على الاعتراض أكثر من ذلك. فإذا ما شعر بالشك فى أنها قد عَرَفَتْ...

وبعد مجهود، استطاعت أن تسترد جزءا من سلوكها الطبيعى. إلا أنها كانت تشعر بإحساس غير مريح بأنه ينظر إليها بين فترة وأخرى نظرةً جانبيةً. وكانت تشعر إن شكوكه لم تختفِ تماما.

وعندما عادا إلى المنزل، أصر على أن ترقد على الفراش، وأحضر بعضا من العطر، وأخذ يمسح وجنتيها. وبدا أنه زوج مخلص، إلا أن أليكس كانت تشعر بالعجز كما لو كانت موثوقة اليدين والقدمين فى شراك.

لن يتركها وحدها ولو لدقيقة، فقد اصطحبها إلى المطبخ وساعدها فى إحضار الأطباق الباردة التى كانت قد أعدتها. وكان العشاء بالنسبة لها وجبة خانقة إلا أنها أجبرت نفسها على أن تأكل، بل وحتى على أن تبدو مرحة وعلى طبيعتها، كانت تعلم الآن أنها تقاتل من أجل حياتها. كانت تجلس وحيدةً مع هذا الشخص على بعد أميال ولن تنال أية مساعدة، لقد كانت تحت رحمته بصورة مطلقة. وكانت فرصتها الوحيدة هى أن تهدئ من شكوكه بحيث يتركها وحدها لدقائق قليلة، وهى الدقائق التى ستكون كافية لكى تذهب إلى الهاتف الموجود فى الصالة وتطلب المساعدة، كان هذا هو أملها الوحيد، فإذا ما حاولت الفرار قبل أن تصل إليها المساعدة، سيتمكن من التغلب عليها.

وراودها للحظات أمل عندما تذكرت أنه فى السابق تخلى عن خطته لقتلها. ولنفترض أنها أَخْبَرَتْهُ أن ديك ونديفورد سيأتى لزيارتهما هذا المساء؟

ارتعشت الكلمات على شفتيها، ثم تخلت عن هذه الفكرة على الفور، فقد شعرت بأنه لن يتخلى عن خطته مرتين. كان هناك إصرار وابتهاج أسفل هدوئه الظاهرى الذى جعلها تشعر بالإعياء. إنها بذلك فقط ستسرع بوقوع الجريمة إذا ما قامت بأى تحرك خاطئ، سوف يقتلها فى الزمان والمكان المُحَدَّدَيْن، وبعدها يتصل بهدوء بديك ونديفورد ليخبره بشىء يجعله يأتى على الفور. أوه! لو كان ديك ونديفورد يأتى إلى المنزل هذا المساء. لو كان ديك...

ثم خطرت ببالها فكرة مفاجئة. فقد ألقت نظرة جانبية على زوجها وهى تشعر بالخشية من أنه ربما يكون قد قرأ أفكارها. لكن شجاعتها قد ازدادت بعدما وضعت خطة الفرار، فقد أصبحت طبيعية تماما فى سلوكها حتى إنها اندهشت من نفسها، وشعرت بأن جيرالد الآن مطمئن تماما.

أعدت القهوة، وذهبت بها إلى الرواق حيث غالبا ما يجلسان فى الأمسيات السعيدة.

وفجأة قال جيرالد: "بالمناسبة، سوف نقوم بتحميض تلك الصور الفوتوغرافية فى وقت لاحق".

شعرت أليكس برعدة تسرى فى عروقها إلا أنها ردت فى عدم اكتراث:

"ألا يمكنك أن تقوم بذلك بمفردك؟ فأنا متعبة قليلا

الليلة".

ابتسم لنفسه وقال: "لن يستغرق الأمر وقتا طويلا. وأعدك أنك لن تشعرى بالتعب بعد ذلك".

بدا كأنه يستمتع بتلك الكلمات، فارتجفت أليكس، إذ كان يبدو فى كلامه أنه يشعر بأن الوقت المناسب قد حان لارتكاب الجريمة والذى لا يمكن بعده تنفيذها.

ثم وقفت على قدميها، وقالت فى لا مبالاة:

"سوف أكلم الجزار هاتفيا. لا ترهق نفسك بمرافقتى".

"الجزار؟ فى هذا الوقت من الليل؟".

"يا للسخافة. بالطبع سيكون متجره مغلقا. لكنه سيكون فى منزله بالتأكيد. وغدا السبت، وأريده أن يحضر لى شرائح جديدة من لحم العجل مبكرا قبل أن يشتريها أى شخص آخر منه. هذا العجوز العزيز سيفعل أى شىء من أجلى".

وأسرعت داخل المنزل وأغلقت الباب خلفها، وسمعت جيرالد يقول: "لا تغلقى الباب"، إلا أنها سارعت بالرد قائلة فى لطف: "كيلا يسمح بدخول الذباب، فأنا أكرهه. هل تخشى أن أغازل الجزار فى الهاتف، أيها الأحمق؟".

وبمجرد أن أصبحت فى الداخل، التقطت سماعة الهاتف، وطلبت رقم ونديفورد على الفور.

قالت: "هل أتحدث مع السيد ونديفورد؟ هل مازال موجوداً؟ هل أتحدث معه؟".

إلا أن دقات قلبها تصاعدت فجأة، عندما دفع زوجها الباب، ودخل الردهة.

قالت فى دلال: "من فضلك اخرج يا جيرالد. أكره أن يسمعنى أحد وأنا أتحدث هاتفيا".

أطلق ضحكة خاوية من التعبيرات وألقى بنفسه على أحد المقاعد وقال:

"هل أنت متأكدة من أنك تتكلمين إلى الجزار؟".

شعرت أليكس باليأس فقد فشلت خطتها. هل تغامر وتصيح طالبة النجدة. هل سيفهم ونديفورد استغاثتها قبل أن يزيحها جيرالد من جوار الهاتف، أم سيتعامل مع الأمر على أنه مجرد مزحة.

وفى ظل هذا التوتر قامت بإلغاء عمل ذلك الزر فى سماعة الهاتف والذى يسمح أو يمنع انتقال الصوت إلى الطرف الآخر. وكانت هذه فكرة أخرى واتتها.

ثم فكرت فى نفسها: "أعتقد أن الأمر سيكون صعبا. هذا يعنى أن أحتفظ بتركيزى والتفكير فى الكلمات الصحيحة، وعدم الارتباك ولو لثانية. لكننى أعتقد أننى أستطيع أن أفعل ذلك. يجب أن أفعل ذلك".

وبعد لحظة، سمعت صوت ديك ونديفورد على الطرف الآخر من الهاتف.

أخذت أليكس نفسا عميقا، ثم ضغطت على ذلك الزر فى سماعة الهاتف بقوة وبدأت تتكلم.

قالت: "سيدة مارتن تتكلم... من منزل فيلوميل. من فضلك احضر"، (حيث تركت الزر) وتابعت قائلة: "غدا صباحا ومعك ستة شرائح من لحم العجل"، (حيث ضغطت

الزر ثانية) وتابعت: "إنه أمر مهم"، (حيث تركت الزر ثانية) وتابعت: "شكرا كثيرا يا سيد هيكسورثي. لا تشعر بالضيق لأننى حادثتك فى مثل هذا الوقت المتأخر، إلا أن هذه الشرائح" (حيث ضغطت الزر ثانية) وتابعت: "مسألة حياة أو موت"، (حيث تركت الزر ثانية) وتابعت: "جيد جدا، غدا صباحا"، (حيث ضغطت الزر ثانية) وتابعت: "بأسرع ما يمكن...".

ثم وضعت السماعة فى مكانها واستدارت لتواجه زوجها، وهى تلتقط أنفاسها بصعوبة.

قال لها جيرالد: "إذن، هكذا تكلمين الجزار؟".

قالت أليكس فى لطف: "إنها اللمسة الأنثوية".

كانت تغلى بالانفعال. لم يشك فى شىء، وبالتأكيد سيأتى ديك وندیفورد حتى ولو لم يفهم شيئا.

ثم دخلت حجرة المعيشة وأشعلت المصباح الكهربائى، وتبعها جيرالد.

قال جيرالد وهو ينظر إليها بغرابة: "تبدين مليئة بالحيوية الآن".

قالت أليكس: "لقد ذهب الصداع الآن".

وجلست فى مقعدها المعتاد، وأخذت تبتسم لزوجها حيث غاص فى مقعده المواجه لها. لقد نجت، فقد كانت الساعة الآن الثامنة وخمس وعشرين دقيقة، وسيأتى وندیفورد قبل أن تحل التاسعة بكثير.

قال جيرالد شاكيا: "لقد أضفت الكثير من القهوة التى أعْدَدتِهَا. إنها لاذعة جدا".

"إنه نوع جديد أقـوم بتجربته. لن نشرب منها ثانيةً إذا لم تعجبك، يا عزيزى".

ثـم التقطت أليكس قطعة نسيج وبدأت فى الحياكة. وكانت فـى هذه اللحظات تشعر بثقة فى قدرتها على لعب دور الزوجة المخلصة. قرأ جيرالد القليل من الصفحات فى كتابه، ثم نظر إلى الساعة، وألقى الكتاب جانبا.

"الثامنة والنصف. موعد الذهاب إلى القبو وبدء العمل".

سقطت القطعة التى تحيكها أليكس من يدها.

"أوه! ليس الآن. دعنا ننتظر حتى التاسعة".

"لا يـا فتاتى. إنها الثامنة والنصـف. الموعد الذى حَدَّدتُه. هذا سيسمح لك بالذهاب إلى الفراش مبكرا".

"لكننى أفضل الانتظار حتى التاسعة".

قال جيرالد فى عناد: "الثامنة والنصف. أنت تعرفين أننى عندمـا أحدد موعدا، ألتزم به. هيا يا أليكس. لن أنتظر دقيقة أخرى".

نظرت إليه أليكس، وشعرت بموجة من الذعر تجتاحها. لقد سقط القناع؛ بدا جيرالد تهتزان فى ــ قوة، وعيناه تلتمعان فى انفعـال، وكان يمرر لسانه على شفتيـه الجافتين باستمرار. لم يعد راغبا فى إخفاء ــ انفعاله.

فكـرت أليكس: "إن الأمر حقيقى... لا يستطيع الانتظار... إنه يبدو كرجل مجنون".

سار نحوهـا بخطى واسعـة، ودفعها للوقـوف على قدميها ووضع يده على كتفها.

"هيا يا فتاتى. أم أننى سأحملك إلى هناك؟".

كانـت فى صوته نـبرة مرحة، إلا أنها كانـت تخفى وحشية أثارت هلع أليكس. وبجهد كبير، استطاعت أن تحرر نفسها من بـين يديه، وتنكمشـ على نفسها ملتصقـة بالحائط. كانت بلا حيلة... لا تستطيع أن تفعل شيئا... وكان يتقدم نحوها.

"الآن. يا أليكس...".

"لا... لا".

صرخت، ثم مدت يديها إلى الأمام فى عجز لتبعده عنها.

"جيرالد... توقف... أريد أن أخبرك بشىء.... أن أعترف لك بشىء...".

وتوقف بالفعل.

قال فى فضول: "تعترفين بماذا؟".

استمـرت فـى يأس ساعيـةً إلى شد انتباهه الـذى كان قد انجذب نحوها: "نعم لأعترف. شىء لم أخبرك به من قبل".

لاحظـت تعبـيرات الازدراء علـى وجهـه، وتوقفـت نوبـة هياجه.

قال ساخرا: "حبيب سابق كما أعتقد".

قالـت أليكس: "لا، شـىء آخـر. سـوف تطلق عليـه، كما أتوقع...، نعم، سوف تطلق عليه جريمة".

وفـورا، لاحظـت أنها لمست الوتـر الصحيـح. ومن جديد، انجذب انتباهه، بل استحوذت على انتباهه كله. ولما رأت ذلك، شعرت بأنها تمالكت أعصابها من جديد، وبأنها عادت تسيطر على الموقف من جديد.

وقالت بهدوء: "من الأفضل أن تعاود الجلوس".

ثم عادت إلى مقعدها السابق وجلست عليه، بل إنها انحنت والتقطت قطعة النسيج. لكن خلف هدوئها، كانت تفكر وتختلق القصص بسرعة محمومة، وذلك لأن القصة التي سوف تخترعها يجب أن تجذب انتباهه حتى تأتي النجدة.

قالت: "لقد أخبرتُك أنني عملت في الطباعة لمدة خمسة عشر عاما. إلا أن ذلك لم يكن صحيحا تماما. فقد كانت هناك فترتا انقطاع. الفترة الأولى كانت عندما كنتُ في الثانية والعشرين من العمر، فقد التقيتُ مصادفة برجل، كان كهلا وله بعض الأملاك المحدودة. أحبني وطلب مني الزواج، فوافقتُ وتزوجنا"، وتوقفت ثم تابعت: "وأقنعتُه بأن يؤمن على حياته لصالحي".

لمحت اهتماما مفاجئا ظهر على وجه زوجها، فواصلت حكايتها وقد تجدد اطمئنانها.

"وخلال الحرب، عملتُ في أحد المستوصفات لفترة من الوقت. وهناك تعاملتُ مع كل أنواع المخدرات والسموم النادرة. نعم، السموم".

ثم توقفت وهي تفكر، وكان اهتمامه قد تزايد بالفعل، لا شك في ذلك، فالقاتل يهتم بأمر بأي جريمة قتل، ولقد راهنت على ذلك، ونَجَحَتْ. واختلست نظرة إلى الساعة التي كانت تشير إلى الثامنة وخمس وثلاثين دقيقة.

"كان من بينهم نوع من السم... كان مسحوقا أبيض، وكان المقدار الضئيل منه يعني الموت. ربما تعرف شيئا عن

السموم؟"

ألقت السؤال في شيء من الخوف والإثارة. فإذا كان يعرف عن السموم، فستلتزم الحذر.

قال جيرالد: "لا. لا أعرف إلا القليل جدًا عنها".

أطلقت زفرة راحة، فقد كان عدم معرفته يجعل مهمتها أسهل.

"بالتأكيد أنك سمعتَ عن الهايوسين، أليس كذلك؟ إنه دواء يقوم بنفس دور السموم، غير أنه لا يترك أثرا. ويمكن لأي طبيب أن يصدر شهادة وفاة بالسكتة القلبية. لذا سرقتُ كمية صغيرة من هذا الدواء واحتفظتُ بها".

وتوقفت وهي تستجمع قواها.

فقال جيرالد: "استمري".

"لا. أنا خائفة. لا يمكنني أن أخبرك. سأخبرك في وقت آخر".

قال في نفاد صبر: "الآن. أريد أن أسمع".

"لقد تزوجنا لمدة شهر. وكنتُ زوجة مخلصة لزوجي الكهل. وكان يتكلم عني بصورة جيدة أمام الجيران، وكان الجميع يعرفون مدى إخلاصي له. وكنتُ أعد له القهوة كل مساء بنفسي. وذات مساء، وبينما كنا وحدنا، وضعتُ القليل من تلك المادة القلوية في فنجانه".

توقفت أليكس، وأخذت تضع المزيد من الخيط في إبرتها بعناية. وكانت – وهي التي لم تمثل من قبل – قد فاقت في أدائها أبرع الممثلات في العالم. لقد كانت تلعب بالفعل دور

القاتلة بدم بارد بالسم.

"لقد تم الأمر بهدوء. وجلستُ أراقبه؛ حيث شهق شهقة صغيرة، وراح يطلب الهواء، ففتحتُ النافذة. بعدها قال إنه لا يستطيع أن يتحرك من مكانه. ومات على الفور".

ثم توقفت مبتسمة. وكانت الساعة الآن التاسعة إلا الربع. بالتأكيد سوف تأتى النجدة قريبا.

سألها جيرالد: "كم كان مبلغ التأمين؟".

"حوالى ألفى جنيه. ضاربتُ به فى البورصة وخسرته. عدتُ إلى عملى فى المكتب، إلا أنه لم يكن أبدا فى نيتى أن أبقى فى العمل وقتا طويلا. وهناك قابلتُ شخصا آخر، وكنتُ أحمل اسم عائلتى لا اسم عائلة زوجتى، ولم أخبره أننى تزوجتُ من قبل. كان أصغر فى السن من السابق، وحسن المظهر، وثريًا. تزوجنا فى هدوء. لم يُرد أن يؤمن على حياته، لكنه بالطبع قام بإعداد وصية جاءت فى صالحى. وكان يحب أن أعدَّ له قهوته مثل زوجى ـ الأول".

ثم ابتسمت مفكرةً وأضافت فى بساطة:

"أنا أعدُّ قهوة جيدة جدا".

ثم تابعت قصتها.

"كان لى أصدقاء كثيرون فى القرية التى عشنا فيها، ولقد شعروا بالأسف لما جرى لى بموت زوجى فجأة بأزمة قلبية ذات ليلة بعد العشاء. لم أحب الطبيب، ولم أشعر بأنه شكَّ فِيَّ، إلا أنه كان مندهشا قليلا من الوفاة المفاجئة لزوجى. لا أدرى لماذا عدتُ من جديد إلى المكتب. أعتقد أنها العادة. ترك زوجى

الثانى حوالى أربعة آلاف جنيه. لم أضارب بها فى البورصة هذه المرة، ولكننى استثمرتها، والآن، ترى...".

إلا أن صوت جيرالد مارتن قاطعها. كان وجهه أحمر بلون الدم، ويشرف على الاختناق، وكان يشير إليها بسبابته ويرتجف وهو يقول: "القهوة... يا إلهى! القهوة!".

حدَّقَتْ فيه.

"لقد أدركتُ الآن لماذا كانت لاذعة. أيتها الشيطانة. لقد سَمَّمْتنى".

وأمسك ذراعى مقعده وبدا مستعدا للانقضاض عليها.

"لقد سَمَّمْتِنى".

تراجعت أليكس بعيدا عنه إلى المدفأة. كانت تشعر بالذعر، ففتحت فمها لكى تنفى ما قالته، إلا أنها توقفت. ففى أية لحظة، سينقض عليها، فاستجمعت قواها، والتقت عيناها بعينيه فى ثبات وسيطرة.

قالت: "نعم. لقد سَمَّمْتُكَ. السم يعمل الآن. والآن، أنت لا تستطيع أن تتحرك من مقعدك... لا تستطيع أن تتحرك..."

لو أنها تستطيع أن تجعله يبقى فى مكانه... ولو لدقائق قليلة...

آه! ماذا كان ذلك؟ خطوات على الطريق. صوت البوابة. ثم خطوات على السلم الخارجى. باب الردهة ينفتح...

قالت من جديد: "لا تستطيع أن تتحرك".

ثم انزلقت من أمامه، وانطلقت هاربةً دون تردد، قبل أن تسقط بين ذراعى ديك ونديفورد.

صاح ديك: "يا إلهي! أليكس!".

ثـم استـدار إلى الرجل المرافق له، والـذى كان طويلا قوى البنية يرتدى زى الشرطة، وقال له:

"اذهب وانظر ما الذى يجرى فى تلك الغرفة".

ثـم وضع أليكسـ على إحـدى الأرائك وانحنـى فوقها وهو يغمغم:

"يا فتاتى الصغيرة. يا فتاتى الصغيرة المسكينة. ما الذى فعلوه بك؟".

اهتز جفناها وهمست شفتاها باسمه.

أخرجـت ديك من بحر أفكاره لمسـةُ رجل الشرطة لذراعه؛ حيث قال له:

"لا يوجـد شيء فى الحجـرة يا سيدى، إلا رجل يجلس على مقعد. يبدو كما لو أنه تعرض لذعر شديد، و...".

"نعم؟".

"حسنًا يا سيدى... إنه ميت".

وفاجأهما صـوت أليكس. كانت تتكلم كما لو كانت فى حلم ما.

قالت وكأنها تقتبس مقولةً ما: "ومات على الفور...".



الدقة الثانية

خرجـت جوان آشبى من حجرتها، وفى لحظة كانت تقف أعلى الدرج المواجه للحجرة. ثـم استدارت كما لو كانت فى طريقها لحجرتهـا مرة أخرى، عندمـا دق الجرس فهـز الأرض أسفل قدميها.

وبمجـرد سماعها الجرس، انطلقـت جوان تجري. وبلغ من سرعـة عدوها أنهـا اصطدمت عند مقدمة السلـم بشاب كان يأتى من الاتجاه العكسى فقال لها:

"مرحبا يا جوان! لماذا هذه العجلة الشديدة؟".

"عذرًا يا هاري. لم أرك".

قال هارى ديلهاوس فـى لهجة جافة: "لاحظتُ ذلك. ولكن كما سألتُك، لماذا هذه العجلة الشديدة؟".

"إنه الجرس".

"أعرف، ولكنها الدقة الأولى".

"لا، إنها الثانية".

"الأولى".

"الثانية".

جرت هذه المحادثة بينما كانا ينزلان السلم، ثم وصلا إلى الردهة حيث تقدم كبير الخدم ـ الذى كان قد دق الجرس ـ منهما فى خطوات وقورة ومليئة بالاحترام.

كانت جوان لا تزال تقول فى إصرار: "كانت الثانية. أعرف ذلك. حسنا، لكى تتأكد انظر إلى الساعة".

نظر هارى ديلهاوس إلى الساعة العتيقة، وقال لها:

"إنها الثامنة واثنتا عشرة دقيقة فقط. جوان، أنا متأكد من أنك على حق إلا أننى لم أسمع الدقة الأولى"، ثم التفت إلى كبير الخدم وقال له: "ديجباي، هل هذه هى الدقة الأولى أم الثانية؟".

"الأولى يا سيدي".

قالت جوان:"فى الثامنة واثنتى عشرة دقيقة؟ ديجباي، يبدو أن شخصاً سوف يفصل من الخدمة".

لاحت ابتسامة على شفتى ديجباى قبل أن يقول:

"سيتم تقديم العشاء الليلة بعد عشر دقائق من الموعد المعتاد يا سيدي. إنها أوامر السيد".

صاح هارى ديلهاوس: "غير معقول! أعتقد أن الكثير من الأمور ستتغير! لن تتوقف العجائب أبدا. ماذا أَلَمَّ بعمى

المحترم؟".

"إن قطار الساعة السابعة تأخر نصف ساعة يا سيدى، وبالتالى ـ".

قاطعه صوت فرقعة تشبه ضربة سوط.

قال هاري: "ما هذا الذي...؟ يبدو الأمر أشبه بطلقة نارية".

وخرج رجل وسيم داكن البشرة فى الخامسة والثلاثين من عمره من قاعة الاستقبال الواقعة على يسارهم، وسألهم:

"ما هذا؟ هذا الصوت يشبه صوت الطلقة النارية تمامًا".

قال الخادم: "من المؤكد أنه صوت محرك سيارة يا سيدي. فهذا الجزء من المنزل يقع بجوار الطريق العمومى والنوافذ العلوية مفتوحة".

قالت جوان فى شك: "ربما. ولكن هذا يعنى أن الصوت كان يجب أن يأتى من هذه الناحية"، وأشارت إلى الناحية اليمنى وأردفت: "لكننى أعتقد أن الصوت جاء من هنا"، وأشارت إلى اليسار.

هز الرجل ذو البشرة الداكنة رأسه قائلاً: "لا أعتقد ذلك. لقد كنتُ فى قاعة الاستقبال، وخرجتُ منها لأننى اعتقدتُ أن الصوت جاء من هذه الناحية". وأشار برأسه إلى الأمام فى اتجاه الجرس والباب الرئيسي.

قال هارى فى أسلوبه الانفعالي: "الشرق، والغرب، والجنوب؟ حسنًا، يا كين. لكى نكمل الاتجاهات الأربعة سأقول أنا إنه جاء من الشمال. أعتقد أنه جاء من خلفنا. هل من

استنتاجات؟".

فقال جيفرى كين مبتسمًا: "حسنًا، دائمًا تكون هناك جريمة قتل، وتقبلى عذرى يا آنسة آشبى".

فقالت جوان: "لقد ارتجفتُ فقط. إن ما تقوله يتفق مع مخاوفى".

وقال هارى: "جريمة قتل ... فكرة جيدة. لكن للأسف! لم نسمع أنينًا ولم نشاهد الدماء. أعتقد أنه استنتاج غير صحيح".

قال جيفرى كين موافقًا: "نعم، يبدو استنتاجًا غير صحيح. لكننى أفترض ذلك، فقد كان الصوت قريبًا. ومع ذلك، لندخل إلى حجرة الاستقبال".

قالت جوان فى حماس: "الحمد لله، لم نتأخر. لقد هُرعتُ لأسفل لأننى ظننت أنها الدقة الثانية".

ضحك الجميع وهم يدخلون إلى قاعة الاستقبال.

كان ليتشام كلوز أحد أشهر المنازل القديمة فى إنجلترا. وكان مالكه ويدعى هوبرت ليتشام روشيه آخر فرد فى عائلة طويلة، لذلك دأب أقرباؤه بعيدو الصلة على أن يقولوا: "هوبرت العجوز شخصية غريبة نال منه الكبر والعته ويعيش وحيدًا تمامًا".

ورغم ما فى حديث الأصدقاء والأقرباء من مبالغة، فقد كان فيه شيء من الصحة. فقد كان هوبرت ليتشام روشيه شخصًا غريب الأطوار بالفعل. فرغم أنه موسيقى رائع، إلا أنه لم يكن يسيطر على أعصابه، كما كان لديه إحساس عالٍ بأهمية ذاته.

وكان على من يقيمون فى المنزل أن يتعاملوا باحترام مع كل نوبات تعصبه، وإلا فلن يدعوهم للمجيء مرة أخرى.

ومن بين الأمور التى كان يتعصب من أجلها الموسيقى التى كان يعزفها. فإذا ما قرر أن يعزف أمام ضيوفه، وهو الأمر الذى كان يحدث فى الغالب كل مساء، فعلى الجميع التزام الصمت. فإذا ما تعالى صوت همسة أو حفيف فستان أو حدثت أية حركة، كان يستدير حوله فى غضب وضيق شديدين، ويحرم الضيوف من الاستمتاع بموسيقاه للأبد.

وبالإضافة إلى ذلك، كان شديد الحرص على موعد الوجبة الرئيسية فى اليوم وهى العشاء. فلم يكن الإفطار بالنسبة له محوريًا، فيمكنك أن تستيقظ عند الظهر إن أردت. أما الغداء فقد كان وجبة بسيطة مكونة من اللحم البارد والخضراوات المسلوقة. لكن العشاء كان طقسًا رئيسيًا، واحتفالية، وكان يعده أحد الطهاة البارزين والذى كان يعمل فى أحد الفنادق وأغراه الراتب الكبير بالعمل فى المنزل.

وكانت تتصاعد دقة من الجرس فى الثامنة وخمس دقائق، تعقبها دقة ثانية فى الثامنة والربع. وبمجرد أن ينفتح الباب، يبدأ العشاء، وينطلق موكب الضيوف إلى حجرة الطعام. ومن كان يتجرأ ويرتكب حماقة التأخر عن الموعد المحدد، كان يحرم من الطعام وتغلق أبواب منزل ليتشام كلوز أمامه للأبد.

لذلك شعرت جوان آشبى بالقلق واندهش هارى ديلهاوس عندما سمعا النبأ الرهيب بتأخير العشاء لمدة عشر دقائق فى تلك الليلة الخاصة. ورغم أن هارى لم يكن قريبًا من عمه، إلا

أن تـردده على المنزل جعله يدرك مـدى أهمية العشاء بالنسبة لعمه.

كذلك فقد كان جيفرى كين سكرتير ليتشام روشيه مندهشاً وقال:

"غريـب. لم أسمـع بحدوث أمـر كهذا من قبل. هـل أنتما متأكدان؟".

"هكذا قال ديجباي".

قالـت جوان آشبـي: "لقد قـال شيئًا ما عـن تأخير قطار، حسبما أعتقد".

قـال كين مفكرًا: "غريب. لكننا سـوف نعرف حقيقة الأمر بعد قليل. على ما أظن. لكن الأمر يبدو غريبًا".

سـاد الصمت فى الحجـرة، وأخذ الرجـلان يتطلعان إلى الفتاة. كانت جـوان آشبى جميلة بعينيهـا الزرقاوين ونظرتها الماكرة وشعرها الذهبي. كانت هذه أولى زياراتها لمنزل ليتشام كلوز، وكان هارى هو صاحب الدعوة.

ثـم انفتح البـاب ودخلت ديانـا كليفز ابنة ليتشـام روشيه بالكفالة.

كان فـى سلوك ديانـا كليفز جرأة وتهـور بذلك السحر فى عينيهـا السوداوين ولسانهـا الـلاذع. وكان كل الرجال تقريبًا غارقين فى حـب ديانا التى كانت تستمتع بذلك. وكانت إنسانة غريبـة بسبـب التناقض بين الـدفء الذى يوحى بـه مظهرها والبرودة التامة التى تتعامل بها مع الآخرين.

ولـمـا دخلـت قالت: "أول هزيمـة للرجل العجـوز. إنها المرة

الأولى التـى لا يكـون فيها أول مـن يأتي، فلقد اعتـاد أن يكون أول الحاضريـن وينظر فى ساعته ويتجول كالنمر الذى يستعد لوليمة".

انتصـب الشابان واقفين بمجرد دخولها فابتسمت لهما فى إغراء، ثم التفتت إلى هاري، فاحتقن وجه جيفرى ذى البشرة الداكنة وهو يتراجع إلى الخلف.

إلا أنـه استعاد نفسه بعد لحظات من دخول السيدة ليتشام روشيـه الحجرة. كانـت امرأة طويلـة داكنة البشـرة غامضة السلوك، وكانت ترتدى ثوبًا فضفاضًا أخضر اللون. وكان معها رجـل فى أواسط العمر له أنف مثـل المنقار وذقن مدببة، وكان يدعى جريجـورى بارلنج. كان أحد الرجال البارزين فى قطاع المـال، ونـال تربية جيدة فى كنـف أمـه، وكان صديقا لهوبرت ليتشام روشيه منذ سنوات.

بوووم!

دوى صـوت دقة فـى مهابة، ثـم تلاشى الصـوت. وبعدها انفتح الباب وقال ديجباي: "العشاء جاهز".

ورغـم أنه كان جيد التدريب على القيام بمهام وظيفته، إلا أن لمحـة من الدهشة عبرت وجهـه الخالى من التعبيرات. فقد كانـت هذه هى المـرة الأولى وفق مـا يتذكر التـى لا يكون فيها سيده فى الحجرة.

واشـترك معـه الكل فى دهشتـه، وأطلقت السيـدة ليتشام ضحكة زائفة.

"مدهش. فى الواقع، لستُ أدرى ما الذى يجب فعله...".

كان الكل مأخوذًا، فقد تهدمت منظومة التقاليد التى قام عليها منزل ليتشام كلوز. ما الذى يمكن أن يكون قد حدث؟ ساد الصمت، وأخذ الجميع ينتظر.

وأخيرا انفتح الباب، فتصاعدت فى الحجرة تنهدات ارتياح شابها بعض القلق بخصوص الكيفية التى ينبغى التعامل بها مع الموقف. لا يوجد شيء يقال من أجل تأكيد حقيقة أن المضيف هو نفسه الذى خالف القواعد الصارمة التى تحكم المنزل.

إلا أن القادم لم يكن ليتشام روشيه. فبدلا من ليتشام قوى الجسد ذى اللحية والذى يشبه الفايكنج فى تكوينه، دخل رجل ضئيل الحجم وضح عليه أنه أجنبي، وكان رأسه شبيهًا بالبيضة، وله شارب كث أنيق، وكان يرتدى ثياب سهرة أنيقة.

وتقدم الرجل إلى السيدة ليتشام روشيه وعيناه تلتمعان، وقال:

"تقبلى اعتذارى يا سيدتي. أخشى أننى تأخرت للحظات".

غمغمت السيدة ليتشام: "أوه، على الإطلاق، على الإطلاق يا سيد..."، وتوقفت.

"بوارو يا سيدتي. هيركيول بوارو".

ومن خلفه سمع كلمة "أوه" التى انطلقت على شكل شهقة أكثر منها على شكل كلمة واضحة المعالم، وقد كانت صادرة من امرأة. ربما تكون محاولة لمجاملته.

فعاد يقول للسيدة ليتشام: "كنت تعرفين أننى قادم يا سيدتي؟ أليس كذلك؟ لقد أخبرك زوجك".

قالت السيدة ليتشام بأسلوب لم يبد مقنعًا على الإطلاق: "أوه، أوه، نعم. أعنى أننى أفترض ذلك. أنا لست فى حالة طبيعية يا سيد بوارو ولا أتذكر شيئًا على الإطلاق. إلا أنه لحسن الحظ أن ديجباى استعد لكل شيء".

قال بوارو: "لقد تأخر بى القطار. كانت هناك حادثة على الطريق أمامنا".

صاحت جوان: "أوه، لهذا تأخر العشاء".

أدار عينيه بسرعة إليها، إلى أكثر العيون براءة وفطنة وسألها:

"هذا شيء خارج عن المألوف، أليس كذلك؟".

قالت السيدة ليتشام: "لا أستطيع أن أحدد..." ثم توقفت عبارتها قبل أن تتابع فى ارتباك: "إنه أمر غريب. هوبرت لم...".

أدار بوارو عينيه فى الحضور بسرعة، قبل أن يسأل:

"لم ينزل السيد ليتشام للآن؟".

فقالت السيدة ليتشام وهى تنظر فى رجاء إلى جيفرى كين: "لا. وهذا أمر غريب...".

قاطعها كين موضحًا: "السيد ليتشام روشيه يمثل قمة الانضباط، فهو لم يتأخر عن العشاء منذ... لا أتذكر منذ متى بالفعل، لذلك أقول إنه لم يتأخر أبدا عن العشاء".

كان الموقف يبدو هزليًا بالنسبة لأحد الغرباء بسبب كل هذا القلق، والتركيز على تلك النقطة تحديدا.

قالت السيدة ليتشام بلهجة من حل لغزا: "أنا أعرف.

سوف أستدعى ديجباي".

وفعلت ما قالته.

وجاء الخادم فى سرعة.

فقالت له: "ديجباي، هل سيدك...؟".

وكما هى العادة لم تكمل عبارتها، وكان من الواضح أن كبير الخدم لم يتوقع منها أن تكملها، لذلك قال على الفور وقد فهم ما تريد:

"لقد نزل السيد ليتشام روشيه فى الثامنة إلا خمس دقائق، وذهب إلى حجرة مكتبه يا سيدتي".

صاحت: "أوه!" ثم توقفت قبل أن تقول: "إنك لا تعتقد إنه سمع الجرس أليس كذلك؟".

"يجب أن يكون قد سمعه. فالجرس يقع على باب حجرة المكتب".

قالت السيدة ليتشام روشيه: "نعم. بالطبع، بالطبع". قالتها بمزيد من الغموض.

"هل أقول له إن العشاء جاهز يا سيدتي؟".

"أوه. شكرا لك يا ديجباي. نعم. أعتقد... نعم، نعم. يجب أن تفعل ذلك".

وبعد أن انصرف كبير الخدم قالت السيدة ليتشام روشيه للضيوف: "لا أعرف ماذا أفعل بدون ديجباي!".

وبعد قليل، دخل ديجباى الحجرة من جديد، وقد تسارعت أنفاسه قليلاً بصورة لا تتفق مع الصورة النموذجية لكبير خدم.

"عذرا يا سيدتي، ولكن باب حجرة المكتب مغلق".

هنا بدأ السيد هيركيول بوارو يتولى زمام الأمور، فقال:

"أعتقد أنه من الأفضل أن نذهب إلى حجرة المكتب".

وخرج والكل فى أثره، وبدا أن توليه السيطرة على الموقف أمر طبيعى. ومنذ هذه اللحظة، لم يعد ذلك الضيف كوميدى المظهر، وإنما صارت له شخصية قوية وأصبح سيد الموقف.

وفى طريقهم عبروا الردهة، ومروا بالسلالم، وبالساعة الكبيرة، وبتجويف الحائط الذى يستقر فيه الجرس. وفى مواجهة التجويف تماما، كان هناك باب مغلق.

نقر بوارو على الباب، فى هدوء أولاً قبل أن ينقر بشدة عنفًا. لكن لم يأت رد. وبحركة خفيفة، انحنى على ركبتيه وأخذ ينظر من ثقب الباب، بعدها نهض ونظر حوله وقال:

"أيها السادة، يجب أن نكسر الباب فى الحال!".

وكما حدث فى السابق، لم يناقشه أحد فى ذلك. وكان جيفرى كين وجريجورى بارلنج هما الأقوى بنية وسط الحضور، فأخذا يضربان الباب وفق توجيهات بوارو. لكن الأمر لم يكن سهلاً بالنظر إلى متانة الأبواب فى منزل ليتشام كلوز، فقد صمد الباب بشدة أمام محاولات الرجلين إلا أنه فى النهاية لم يستطع التصدى لهجمة مشتركة منهما فتحطم وانفتح.

انتابت الواقفين الحيرة أمام باب الحجرة، فقد رأوا ما خشوا فى أعماقهم من أن يروه. ففى مواجهتهم كانت النافذة. وبين الباب والنافذة كانت هناك منضدة كتابة كبيرة. وبجانب تلك المنضدة وليس أمامها، كان يجلس رجل كبير الحجم وقد

انحنـى إلى الأمام. كان ظهره إلى البـاب حيث يقفون، ووجهه إلى النافـذة، وقـد شـرح وضعه الأمـر كله. كانت يـده اليمنى متدلية بجواره، بينما استقر على السجادة مسدس.

قال بوارو فى لهجة قاطعة لجريجورى بارلنج:

"خذ السيدة ليتشام والآنستين الأخريين بعيدًا".

فهـز بارلنج رأسـه فى فهم، ثم وضع يده علـى ذراع سيدة المنزل التى ارتجفت.

غمغمت: "لقد قتل نفسه. رهيب!" وارتعدت ثانية وقد تركته يقودها بعيدًا وتبعتها الفتاتان الأخريان.

فيما اندفع بوارو ومن خلفه الشابان كين وديلهاوس. –

ثم انحنى أمام الجثة وهو يشير لهما أن يبقيا بعيدًا.

وخـلال الفحص، وجد فتحة الرصاصة فى الجانب الأيمن مـن الرأس، وكان مـن الواضح أنها نفذت مـن الجانب الآخر واصطدمـت بمـرآة موضوعة على الحائـط الأيسر حيث كانت تهتـز. وعلـى منضدة الكتابـة، كانت هناك ورقـة خالية تماما إلا مـن كلمة "آسـف"، التى كانت مكتوبة بخـط كبير وأحرف مهتزة.

بعدها، عادت عينا بوارو إلى الباب وهو يقول:

"المفتاح ليس فى الباب. إننى أتساءل عن...".

ثـم تسللت يـده فى جيب سترة الرجل الميـت ثم عاد ليقول لجيفري:

"هـا هـو. أو على الأقـل آمل أن يكـون هو. هـل يمكنك أن تجربه يا سيدي؟".

أخـذه جيفرى كين منه ووضعه فى ثقـب المفتاح فى الباب، ثم قال:

"إنه هو".

"والنافذة؟".

اتجه هارى ديلهاوس إليها ثم قال:

"مغلقة".

نهضـ بـوارو بحركة حـادة من مكانـه واتجـه إلى النافذة حيـث يقف الرجـلان وقال: "هـل تسمحان؟". كانـت النافذة طويلـة وفرنسية الطراز. فتحها بوارو وأخـذ يتفحص الزجاج ثم أغلقها من جديد.

قـال بوارو: "يا أصدقائي، يجـب أن نتصل بالشرطة. وإلى أن يأتوا ويجروا تحرياتهم، سيعتبر الحادث انتحارًا، ولن يلمس أحد شيئًا. ربما يكون الحادث قد وقع منذ حوالى ساعة".

قـال هارى فـى صوت أجش: "أعرف. فقـد سمعنا صوت الطلقة".

"كيف؟ ما هذا الذى تقوله؟".

شـرح له هارى الأمـر بمعاونة جيفرى كين. ولـما انتهى من قصته، عاد بارلنج.

كرر بوارو ما سبق أن قاله، وبينما كان كين يتصل بالشرطة، طلب بوارو من بارلنج أن يتحدثا قليلا معا.

اتجهـا إلى غرفـة جلوسـ صغـيرة تاركيَن ديجبـاى ليقوم بحراسـة حجـرة المكتـب، فيما اتجه هـارى ليلقـى نظرة على النساء.

بـدأ بوارو الحديـث قائلاً: "أنـت، كما أعـرف، من أقرب أصدقاء السيد ليتشام روشيـه. ولهذا، سوف أقدم لك نفسي، وذلـك رغم أن هذا السلـوك مخالف لقواعد الذوق حيث يجب أن أقـدم نفسـى للسيـدة أولاً، إلا أننى لا أعتقـد أن هذا الأمر يمكن فعله الآن".

ثم توقف.

وعـاد يقـول: "أنـا كما ترى فـى موقـف حساس. سأضع الحقائق أمامك، فأنا أعمل محققًا خاصًا".

ابتسم جريجورى بارلنج قليلاً، ثم قال:

"ليس من الضـرورى أن تخبرنى بذلك. لقد صرتَ يا سيد بوارو من أهل المنزل".

قال بوارو وهو ينحنى محييا: "أنت لطيف جدًا، دعنا نكمل. لقـد تلقيت وأنا فى لندن خطابًا من السيد ليتشام روشيه. قال فيه إنه تعرضـ للابتزاز فى مبلغ مالى كبير، ولأسباب عائلية، استجـاب للابتزاز، لكنه لم يشأ أن يبلغ الشرطة، لكنه قال إنه يـود لو قمـتُ بالتحقيق فى الأمـر. حسنًا، لقـد وافقتُ وجئتُ. صحيـح أن ذلـك لم يكـن بالسرعة التـى كان يرغبهـا السيد ليتشام روشيـه، إلا أننى كان لدىَّ بعضـ الشئون الأخرى، كما أنه لم يكن ملك إنجلترا رغم أنه كان يظن نفسه كذلك".

ابتسم بارلنج ساخرًا وقال:

"بالفعل كان يرى نفسه كذلك".

"بالضبـط. أوه، أنت تفهمنى. لقد ظهر فى خطابه بوضوح أنه من النوع الذى يمكنك أن تطلق عليه غريب الأطوار. لم يكن

مجنونًا ولكنه لم يكن متزنًا، أليس هذا صحيحًا؟".

"ما فعله يؤكد هذه الحقيقة".

"أوه. لكـن يـا سيـدى الانتحـار ليـس دائمًا مـن فعْل غير المتزنين. حقًا يقول الطـب الشرعى ذلك، إلا أنهم يقولون هذا للحفاظ على شعور أقارب المتوفى".

قال بارلنج بأسلوب قاطع: "لم يكن هوبرت شخصًا طبيعيا. كان لا يستطيـع السيطرة على غضبـه، وكان مهووسا بموضوع كرامة العائلـة، كما كان لديه الكثير من مصادر الهوس. ولكن رغم كل ذلك، كان رجلاً حصيفًا".

"نعم. كان حصيفا لدرجة أنه لم يلاحظ أنه سُرِقَ".

سأله بارلنج: "وهل ينتحر إنسان لأنه تعرض للسرقة؟".

"كمـا قلتَ يا سيـدي. إنه أمر مثير للسخريـة، وهذا الأمر هـو الذى جعلنـى أشعـر أن الأمر عاجل. كان تعبيـر "لأسباب عائليـة" هو التعبير الـذى ورد فى الخطـاب. حسنًا يا سيدي، أنـت رجل واسـع الخبرة وتعلـم أن الرجال لا ينتحـرون لأنهم تعرضوا للسرقة".

"ماذا تعني؟".

"يبدو الأمر فى ظاهره وكأن هذا المسكين قد اكتشف شيئًا، ولم يكـن قادرًا على مواجهة ما اكتشفـه. إلا أنك تلاحظ أننى لـدىَّ مهمة هنا. فقد تم تكليفى بالفعل لأداء مهمة معينة، ولقد قبلتُ بذلـك. ولم يرد الراحل أن يصل هـذا "السبب العائلي" إلى الشرطـة. لذلك يجب أن أتحرك فى سرعة، وأن أصل إلى الحقيقة".

"وعندما تصل إليها؟".

"وقتها يجب أن أستخدم قدرتى على الحكم على الأمور. يجب أن أفعل ما أستطيع".

قال بارلنج: "أفهم ذلك". ولدقيقة أو اثنتين أخذ يدخن سيجارته فى صمت قبل أن يقول: "فى كل الأحوال، أخشى أننى لن أتمكن من مساعدتك. فلم يقل لى هوبرت أى شيء. أنا لا أعرف شيئًا".

"لكن قل لي يا سيدى، من هو الشخص الذى لديه الفرصة ـ فى رأيك ـ لكى يسرق ذلك السيد المسكين؟".

"من الصعب أن تحدد. بالطبع، هناك العميل الذى يشرف على ملكيته، وهو جديد".

"العميل؟".

"نعم، مارشال. الكابتن مارشال. رجل لطيف جدًا، وقد فقد إحدى ذراعيه فى الحرب، وجاء إلى هنا قبل عام، وقد أعجب به هوبرت. أنا أيضًا أعرف الرجل وأثق به".

"لكن إذا كان الفاعل هو الكابتن مارشال، لن تكون هناك أية أسباب عائلية للسكوت".

"لا.. لا".

لم يغب هذا التردد عن عينى بوارو فقال:

"تكلم يا سيدي، تكلم بوضوح. أرجوك".

"ربما لا يعدو الأمر أن يكون ثرثرة".

"أتوسل إليك أن تتكلم".

"حسنًا، سوف أتكلم. هل لاحظتَ تلك الشابة الجذابة جدًا

التى كانت فى حجرة الاستقبال؟".

"لقد لاحظتُ وجود فتاتين جميلتين".

"أوه، نعم، الآنسة آشبي. إنها فتاة جميلة وتلك هى زيارتها الأولى للمكان، وقد طلب هارى ديلهاوس من السيدة ليتشام روشيه أن تسمح لها بالحضور. لا، إننى أعنى الفتاة الأخرى، ذات البشرة الداكنة ـ ديانا كليفز".

قال بوارو: "نعم، لقد لاحظتها. إنها تلك الفتاة التى يجب على كل الرجال أن يلاحظوا وجودها".

انفجر بارلنج قائلاً: "إنها شيطانة صغيرة. إنها تتلاعب بكل الرجال فى المنطقة. سوف يقتلها أحدهم يوما ما".

ثم أخذ يمسح حاجبه بمنديله غير منتبه للاهتمام الكبير الذى كان يعطيه بوارو له.

"وهذه الفتاة هي..."

"ابنة السيد ليتشام روشيه بالكفالة. لقد شعر هو وزوجته بالإحباط الشديد عندما اكتشفا أنهما غير قادرين على الإنجاب، فكفلا ديانا كليفز التى تَمُتُ لهما بصلة قرابة بعيدة. ولقد هام بها هوبرت وكرس لها نفسه".

قال بوارو مخمنًا الموقف: "وبلا شك لن يرحب بفكرة زواجها؟".

"إلا إذا تزوجت الشخص المناسب".

"وهل الشخص المناسب هو... أنت يا سيدي؟".

انتفض بارلنج واحمر وجهه، وقال:

"لم أقل ذلك أبدًا...".

"لا. لا. لم تقل شيئًا. لكن أليس هذا صحيحًا؟".

"لقد أحببتُها، نعم، وكان ليتشام روشيه مسرورًا بذلك. فقد كان ذلك يناسب فكرته عنها".

"وماذا عن الآنسة نفسها؟".

"لقد قلتُ لك، إنها الشيطان مجسدًا في صورة فتاة".

"أفهم ذلك، لديها أفكار خاصة عن اللهو، لكن الكابتن مارشال، ما علاقته بالموضوع؟".

"حسنًا، كانت تُشاهَد كثيرًا معه. فبدأ الناس يتكلمون، إلا أنني لا أصدق ما يقولون. إنه مجرد هراء آخر، وهذا كل شيء".

هز بوارو رأسه دلالةً على الفهم.

وقال: "لكن على فرض أن كلامهم كان به شيء من الصحة، فإن هذا سيفسر السبب وراء رغبة السيد ليتشام روشيه في التعامل مع الموضوع بحذر".

"بلا شك، أنت تفهم أنه لا يوجد مبرر لاتهام مارشال بالاختلاس".

"أوه، بالتأكيد، بالتأكيد. ربما كان الأمر عبارة عن شيك مزور وتورط فيه أحد أفراد العائلة. لكن السيد ديلهاوس، من هو؟".

"إنه ابن شقيقة السيد ليتشام روشيه".

"هل سيرثه؟".

"انه ابن شقيقة الراحل. وبالطبع هناك احتمال أن يرثه. فليس هناك ولد يحمل اسم ليتشام روشيه".

"أفهم ذلك".

"لم يتم تخصيص المنزل لورثة بعينهم، رغم أنه يذهب تلقائيًا من الأب إلى الابن. لقد تخيلتُ أنه سوف يترك المنزل للسيدة ليتشام روشيه طوال حياتها، وربما لديانا إذا ما وافق على زواجها. أنت تعرف أن زوجها ربما يأخذ اسم العائلة".

قال بوارو: "أفهم ذلك، لقد كنتَ غاية في الكرم والتعاون معي يا سيدي. ولكن، هل لي أن أطلب منك طلبا إضافيًا، وهو أن تخبر السيدة ليتشام روشيه بكل ما أخبرتك به وأن تطلب منها أن تحضر إلى قليلا؟".

وبأسرع مما تخيل، انفتح باب الحجرة ودخلت سيدة ليتشام روشيه، وجلست على أحد المقاعد.

وقالت لبوارو: "لقد شرح لي سيد بارلنج كل شيء. وبالطبع لا نريد أية فضائح، وإن كنتُ أعتقد أن الأمر قضاء وقدر، أليس كذلك؟ أقصد ما أشارت إليه المرآة وكل شيء".

"كيف؟ المرآة؟".

"بمجرد أن رأيتُها، شعرتُ أنها رمز. رمز لهوبرت! لعنة. أعتقد أن لكل عائلة كبيرة في الغالب لعنة. ولقد كان هوبرت دائمًا غريبًا جدًا. ومؤخرا كان غريبا أكثر من أي وقت مضى".

"اعذريني للسؤال يا سيدتي، ولكن ألا تمرين بأية ضائقة مالية؟".

"المال؟ لم أفكر أبدًا في المال".

"هل تعرفين ما يقولون يا سيدتي؟ أولئك الذين لا يفكرون

فى المال يحتاجون إليه بشدة".

قالهـا وأطلـق ضحكـة إلا أنها لم تـرد عليه، فقـد سرحت عيناها بعيدًا.

ثم قال لها: "شكرًا يا سيدتي". وانتهت المقابلة بينهما.

دق بوارو الجرس فأسرع إليه ديجباي.

فقـال بوارو: "أريد منـك أن تجيب عن بعض الأسئلة. أنا محقق خاص أرسل إلىّ سيدك قبل وفاته لاستدعائى".

شهق كبير الخدم قائلا: "محقق! لماذا؟".

"مـن فضلـك أجب عـن أسئلتي. بخصوص الطلـق النارى...".

ثم استمع إلى شهادة الخادم.

وقـال لـه: "إذن، كان هنـاك أربعة منكم فـى الردهة وقت انطلاق الرصاصة".

"نعم يا سيـدي. السيد ديلهاوس، والآنسـة آشبي، والسيد كين الذى جاء من حجرة الاستقبال".

"أين كان الآخرون؟".

"من الآخرون يا سيدى؟".

"نعـم. السيـدة ليتشـام روشيـه، والآنسة كليفـز، والسيد بارلنج".

"لقد نزل كل من السيدة ليتشام روشيه والسيد بارلنج بعد ذلك".

"والآنسة كليفز؟".

"أعتقد أنها كانت فى حجرة الاستقبال يا سيدي".

سألـه بوارو عـددًا آخر مـن الأسئلة قبل أن ينهـى المقابلة ويطلب منه أن يخبر الآنسة كليفز أنه يريدها.

حضرت بسرعة، وأخذ بـوارو يتفحصها على ضوء ما قاله له بارلنج. كانت بالتأكيد جميلة فى ثوبها المصنوع من الساتان الأبيض المنقوش بالزهور عند الكتفين.

شـرح لها الظروف التى جاءت به إلى منـزل ليتشام كلوز، وهـو يراقب انفعالاتهـا بدقة، إلا أنهـا لم تُظْهر إلا مـا بدا أنه دهشـة حقيقية دون أية علامـات على القلـق أو الارتباك. ولما تكلمـت عـن مارشـال، تكلمـت عنه بصـورة عاديـة ومحايدة وبترحاب فاتر. ولم يظهر عليها الاهتمام أو الانفعال إلا عندما بدأ فى الكلام عن بارلنج.

قالت فى حدة: "هذا الرجل محتال. لقد أخبرت الراحل إلا أنه لم يستمع، واستمر فى إيداع المال فى مؤسساته العفنة".

"هل أنت حزينة حقًا على وفاة... والدك؟".

حَدَّقَتْ فيه.

ثـم قالـت: "بالطبـع. لكنك تعلم يـا سيد بـوارو أننى فتاة عصرية، ولا أغرق فى الدموع، إلا أننى كنتُ أحب ذلك الرجل. رغم أن ما حدث هو أفضل ما يمكن أن يحدث له".

"الأفضل له؟".

"نعـم. كان قد بـدأ ينعزل عن الناس وينطـوى على نفسه. فلقـد كانت الفكرة تزداد ضغطًا علـى أعصابه؛ الفكرة الممثلة فـى أنه آخر من يحمل اسـم ليتشام روشيه. لقد سيطرت عليه تلك الفكرة تمامًا".

هز بوارو رأسه فى تفكير وقال:

"أفهم، أفهم. نعم، إنها أعراض مشاكل عقلية. بالمناسبة، هل تمانعين فى فحص حقيبتك الصغيرة؟ إنها فاتنة. بما فيها من كل تلك الزهور الحريرية... ماذا كنت أقول؟ أوه. نعم. هل سمعت صوت الطلق الناري؟".

"أوه، نعم! لكننى ظننتُه صوت محرك سيارة، أو صياد يطارد فريسة، أو شيء من هذا القبيل".

"ألم تكونى فى حجرة الاستقبال؟".

"لا، لقد كنتُ فى الحديقة".

"شكرًا يا آنستي. من فضلك أريدك أن تستدعى لى السيد كين".

"جيفري؟ سوف أرسله لك فى الحال".

جاء كين وكله انتباه واهتمام، وقال:

"لقد أخبرنى السيد بارلنج بالسبب الذى جئتَ من أجله هنا. لا أعرف أى شيء يمكننى أن أقوله لك، لكن إذا استطعتُ...".

قاطعه بوارو قائلاً:

"أريد فقط أن أعرف شيئًا واحدًا يا سيد كين. ما هو الشيء الذى توقفتَ وانحنيتَ لتأخذه قبل أن ندخل غرفة المكتب مباشرة هذه الليلة؟".

نهض كين تقريبًا من مقعده ثم عاد يجلس فيه من جديد قائلاً فى هدوء: "أنا... لا أعرف ماذا تعني".

"أوه، أعتقد أنك تعرف. لى صديق يقول إن لى عينين خلف

رأسي. لقد التقطتَ شيئًا ووضعتَه فى جيب سترة العشاء التى ترتديها".

ساد الصمت، وبدت علامات الحيرة على وجه كين الوسيم، وفى النهاية اتخذ قراره وقال: "افعل ما تشاء يا سيد بوارو". ومال إلى الأمام كاشفًا جيوبه الداخلية فى سترته، والتى كان بها مبسم سجائر، ومنديل، ووردة حريرية، وعلبة ثقاب ذهبية.

وللحظة ساد الصمت قبل أن يقول كين: "فى الواقع، لقد كان ما التقطتُه هو تلك"، والتقط علبة الثقاب مضيفًا: "لا بد أنها سقطت منى فى وقت سابق فى هذا المساء".

قال بوارو: "لا أعتقد ذلك".

"ماذا تعني؟".

"ما قلتُه. إننى، يا سيدي، رجل منظم، رجل يتبع منهجا ونظامًا. فلو كانت هناك علبة ثقاب ملقاة على الأرض، سأراها وألتقطها. علبة ثقاب بهذا الحجم، بالتأكيد سأراها! لا يا سيدي. أعتقد أنه كان شيئًا أصغر بكثير من ذلك، ربما مثل هذا".

ثم التقط الزهرة الحريرية، قائلاً:

"أعتقد أنها من حقيبة الآنسة كليفز؟".

كانت هناك فترة من الصمت، قبل أن يضحك كين ويعترف:

"نعم، لقد كانت الوردة الحريرية. لقد أعطتنى إياها الليلة الماضية".

قال بوارو: "نعم". وفى هذه اللحظة انفتح الباب ودخل رجل طويل القامة أشقر الشعر فى رداء منزلي.

ثم قال الرجل: "كين. ما كل هذا؟ يا رجل، هل أطلق ليتشام روشيه النار على نفسه؟ لا أصدق ذلك. هذا مذهل".

قال كين: "دعنى أقدمك للسيد بوارو. وسوف يشرح لك كل شيء"، جفل الرجل الوافد فيما غادر كين الحجرة صافقًا الباب خلفه.

قال جون مارشال فى حماس شديد: "يا سيد بوارو، أنا فى منتهى السعادة لمقابلتك. إن وجودك هنا ضربة من الحظ السعيد. لم يخبرنى ليتشام روشيه أنك قادم، لكننى واحد من أكثر المعجبين بك يا سيدي".

شاب بعيد عن الشبهات، هكذا فكر بوارو. لم يكن شابًا بدرجة كبيرة ولكن كان هناك شعر رمادى فى جانبى رأسه وتلك التجاعيد على الجبهة. إلا أن الصوت والسلوك هما ما أعطيا الانطباع بصغر السن.

"الشرطة...".

قاطعه مارشال قائلاً: "إنهم هنا الآن يا سيدي. لقد جئتُ معهم بعدما سمعتُ بالأنباء. لا يبدو عليهم الاندهاش مما جرى. لكن رغم أنه كان مجنونًا جدًا، إلا أن..."

"إلا أنك مذهول لأنه انتحر؟".

"بصراحة، نعم. لم يكن ينبغى أن أفكر هكذا، لكن... الانتحار يعنى أن ليتشام روشيه فكر فى أن العالم يمكن أن يستمر بدونه".

"هل كانت لديه مشاكل مالية فى الفترة الأخيرة، كما فهمتُ؟".

هز مارشال رأسه موافقًا.

"ضارب فى البورصة، وشارك فى مشروعات غير قانونية مع بارلنج".

قال بوارو فى هدوء: "سأتكلم معك بصراحة. هل لديك من الأسباب ما يدفعك إلى افتراض أن سيد ليتشام روشيه شك فى أنك تتلاعب ماليًا؟".

حدق مارشال فى بوارو فى نوع من الذهول المضحك. كان انفعاله مضحكًا إلى درجة أن بوارو لم يتمالك نفسه من الابتسام، وقال:

"أرى أنك فى قمة الاندهاش يا سيد مارشال؟".

"نعم، بالطبع. الفكرة مثيرة للسخرية".

"آه! سؤال آخر. ألم يتهمك بمحاولة سرقة ابنته بالكفالة منه؟".

"أوه، إذن أنت تعلم بأمر ما بينى وبين "دي"؟" قالها مارشال ثم ضحك فى خجل.

"نعم. ثم ماذا؟".

أومأ مارشال برأسه ثم تابع:

"إلا أن الرجل العجوز لم يكن يعرف شيئًا عن ذلك. لم تخبره "دي"، وأعتقد أنها كانت محقة فى قرارها. فقد كان من الممكن أن يتحول إلى شحنة صواريخ. كان من الممكن أن أخسر وظيفتي".

"وما هى خطتك البديلة؟".

"حسنًا. صدقني، لم أكـن أعرف. لقد تركتُ الأمور كلها لـ "دى"، وقالـت إنها سوف ترتبها. وفـى الواقع، كنتُ أبحث عن وظيفـة فى الخارج، فإذا كنتُ قد وجـدتُ أخرى، كنتُ سأترك هذا المكان".

"وكانـت الآنسـة ستتزوجـك، أليس كذلك؟ ولكـن السيد ليتشام روشيه كان سيحرمها مـن الميراث. والآنسة ديانا، كما يمكننى أن أقول، مغرمة بالمال".

بدت على وجه مارشال علامات عدم الارتياح، وقال:

"لقد حاولتُ أن أناقش معها هذا الأمر يا سيدي".

فـى تلك اللحظة، دخل جيفرى كـين الحجرة وقال: "رجال الشرطـة علـى وشك الرحيـل، ويريـدون أن يقابلـوك يا سيد بوارو".

"شكرا. سآتي".

فـى حجرة المكتب، كان هنـاك مفتش قوى البنية مع طبيب شرطي.

قال المفتش: "السيد بوارو؟ لقد سمعنا عنك يا سيدي. أنا المفتش ريفز".

قال بـوارو وهو يصافحه: "أنت لطيف جـدًا. لا تحتاج إلى مساعدتي، أليس كذلك؟" ثم أطلق ضحكة قصيرة.

"نعم، ليس تلك المرة، فالأمور كلها واضحة".

سأله بوارو: "القضية واضحة تماما إذن؟".

"تمامًا. الباب والنافذة مغلقان، والمفتاح فى جيب المتوفى،

سلوك غريب فى الأيام الأخيرة. لا لغز فى ذلك".

"كل شيء... طبيعى جدًا؟".

هنا قال الطبيب:

"لا ريـب أنـه كان يجلس بزاويـة غريبـة حتـى تصطـدم الرصاصة بالمرآة. إلا أن الانتحار تصرف غريب من الأصل".

"هل وجدتَ الرصاصة؟".

قال الطبيب وهـو يظهرها: "نعم، كانت قريبة من الحائط أسفـل المرآة. كان المسدس مملوكًا للسيد ليتشام روشيه. وكان دومًا فـى درج المكتب. أجرؤ على القول إن هناك شيئًا ما خلف كل ذلك، ولكننا لن نعرف أبدًا ما هو".

كانت الجثة على الفراش الآن، وكان رجال الشرطة يغادرون المنـزل، ووقف بوارو عند البـاب الأمامى يحييهم. وسمع صوتًا يأتى من خلفه فاستدار ليجد هارى ديلهاوس.

سأله بوارو: "هل لديك مصباح كشاف قوي؟".

"نعم، سوف أحضره لك".

وعندما عاد بالمصباح الكشاف كانت جوان آشبى معه.

قـال لهمـا بوارو فـى لطـف: "يمكنكمـا أن تأتيا معـى إذا أردتما".

ثم وقف عند الباب الأمامى واستدار يمينًا، وسار حتى وصل إلى نافـذة حجرة المكتب وتوقف عندهـا. وكانت هناك حوالى ستـة أقدام من العشب تفصل النافذة عن الممر، وانحنى بوارو على العشب يفحصه بالمصباح الكشاف. وبعد فترة، نهض وهو يهز رأسه.

"لا، لا يوجد شيء".

ثم توقف، وأخذت قامته تنتصب ببطء. كان على كل جانب من جوانب العشب هناك صفان من الزهور، وانصب تفكير بوارو على الصف الواقع ناحية اليد اليمنى الذى كان مليئا بأزهار الأقحوان والداليا. ثم وجه المصباح الكشاف ناحية مقدمة صف الزهور حيث كانت هناك آثار خفيفة لأقدام.

غمغم بوارو قائلا: "أربعة منهم. اثنان ذاهبان إلى النافذة، واثنان عائدان منها".

قالت جوان مقترحةً: "البستاني".

"لا يا آنستي، لا. استخدمي عينيك. هذه الآثار صغيرة وأنيقة وذات كعب مرتفع. هذا حذاء امرأة. قالت الآنسة ديانا إنها كانت فى الحديقة. هل تعرفين ما إذا كانت نزلت الحديقة قبلك أم لا يا آنستي؟".

هزت جوان رأسها نافية، وقالت:

"لا أتذكر. لقد كنتُ فى غاية العجلة بسبب رنين الجرس، واعتقدتُ أننى سمعتُ الدقة الأولى. لكن ما أذكره هو أن باب غرفتها كان مفتوحًا وأنا أجري، إلا أننى لستُ متأكدة. لكننى متأكدة من أن باب غرفة السيدة ليتشام روشيه كان مغلقًا".

قال بوارو: "حسنًا".

شيء ما فى صوته جعل هارى ينظر بحدة، إلا أن بوارو كان عاقدا حاجبيه قليلاً وهو يفكر.

وفى الممر، قابلوا ديانا كليفز، والتى قالت لهم:

"لقد رحل رجال الشرطة. لقد انتهى الأمر".

وتنهدت فى ارتياح.

"هل يمكننى أن أتحدث معك قليلاً؟".

تقدمته إلى الغرفة الصغيرة، فتبعها ثم أغلق بوارو الباب خلفهما.

"سؤال صغير يا آنستي، هل حدث أن ذهبت اليوم إلى حوض الزهور القريب من نافذة حجرة المكتب؟".

أومأت برأسها إيجابًا وقالت: "نعم، فى السابعة، وقبل العشاء بقليل".

"لا أفهم".

قالت فى برود: "لا أرى أن هناك شيئًا يستحق "الفهم". لقد كنتُ أجمع زهور الأقحوان للمائدة. أنا دومًا التى أجمع الزهور للمائدة، وكان ذلك فى السابعة".

"وبعد ذلك...؟".

"أوه، نعم! لقد سكبت بعضًا من زيت الشعر على ثوبي، تمامًا على الكتف. وكان ذلك بينما كنتُ أستعد للنزول. لم أكن أريد أن أغير ثوبي، وتذكرتُ أننى رأيتُ برعمًا فى صف الزهور، فالتقطته ووضعته هنا. انظر...". واقتربت منه ونزعت البرعم من مكانه، فاستطاع بوارو أن يرى بقعة الزيت الصغيرة.

"وفى أى وقت كان هذا؟".

"أوه، أعتقد أنه كان فى حوالى الثامنة وعشر دقائق".

"ألم تفكرى فى العودة من النافذة؟".

"فكرتُ لأن الطريق أسفل النافذة أقصر. إلا أنها كانت مغلقة".

أخذ بوارو نفسًا عميقًا قبل أن يسألها: "وأين كنتِ عندما سمعتِ الطلقة النارية؟ هل كنتِ ما زلتِ عند حاجز الأزهار؟".

"أوه. لا. كان بعد ذلك بدقيقتين أو ثلاث دقائق، وأنا أهم بدخول المنزل من الباب الجانبي".

"هل تعرفين ما هذا يا آنستى؟".

كانت هناك وردة حريرية صغيرة فى راحة يده، فنظرت إليها فى هدوء.

وقالت له: "تبدو مثل الزهور التى على حقيبتي. من أين حصلتَ عليها؟".

قال بوارو فى فتور: "لقد كانت فى جيب السيد كين".

"وهل قال لك إننى أعطيتُه إياها؟".

ابتسم بوارو، وقال:

"متى أعطيتِها له يا آنستى؟".

"الليلة الماضية".

"هل حذرك لتقولى ذلك يا آنستى؟".

قالت فى غضب: "ماذا تعنى؟".

لكن بوارو لم يجب على السؤال، وأسرع خارجًا من الحجرة متجها إلى حجرة الاستقبال. كان بارلنج وكين ومارشال هناك، فاتجه مباشرة نحوهم.

وقال لهم فى لهجة جافة: "من فضلكم أيها السادة اتبعونى إلى حجرة المكتب".

وبينما كان يعبر الردهة وجد هارى وجوان فقال لهما:

"من فضلكما أنتما أيضًا اتبعاني. وهل يتفضل أحدكما ويدعو السيدة للحضور؟ شكرًا لكما. آه! وها هو ديجباى الممتاز. ديجباي، سؤال صغير، سؤال مهم صغير جدًا، هل قامت الآنسة ديانا بترتيب زهور الأقحوان على المائدة قبل العشاء؟".

بدت الحيرة على وجه كبير الخدم قبل أن يقول:

"نعم يا سيدي، لقد فعلت ذلك".

"هل أنت متأكد؟".

"تمامًا يا سيدي".

"جيد جدًا. والآن تعالوا جميعًا".

وفى داخل حجرة المكتب، وقف فى مواجهتهم جميعًا، وقال:

"لقد طلبتُ حضوركم لسبب. لقد انتهت القضية، وجاءت الشرطة ورحلت، وقالوا إن السيد ليتشام روشيه انتحر. انتهت القضية". ثم توقف قليلاً قبل أن يتابع: "لكن هيركيول بوارو يقول إنها لم تنته بعد".

وبينما تركزت عليه كل العيون، دخلت سيدة ليتشام روشيه الغرفة.

"لقد كنتُ أقول يا سيدتى إن القضية لم تنته بعد. إنه أمر يتعلق بعلم النفس. فسيد ليتشام روشيه كان لديه جنون العظمة. كان يشعر أنه ملك. مثل هذا الرجل لا يقتل نفسه. لا، لا، ربما يفقد عقله إلا أنه لا يقتل نفسه. ليتشام روشيه لم يقتل نفسه"، وصمت قليلاً ثم أردف: "لقد قُتِل".

أطلق مارشال ضحكة قصيرة وهو يقول: "قُتِلَ؟ وهو وحده

فى حجرة مغلقة النافذة والباب؟". ـ

قال بوارو فى عناد: "رغم كل شىء، قُتِلَ".

قالـت ديانـا فـى حـدة: "وبعد ذلـك، قـام وأغلـق الباب والنافذة".

قـال بوارو: "سأريكم شيئًا". ثم سار إلى النافذة الفرنسية وفتحها ودفعها برفق.

"الآن هـى مفتوحة. سـوف أغلقها الآن لكـن دون أن أغلق المزلاج. الآن، النافذة مقفولة ولكنها ليست مغلقة بالمزلاج".

ثم دفع النافذة بقوة أكبر، فانزلقت اليد وسقط المزلاج فى الفتحة المخصصة له مغلقا النافذة.

قـال بوارو فى هدوء: "هل ترون؟ طريقة غلق النافذة سهلة للغاية، ويمكن القيام بذلك من الخارج بسهولة".

واستدار ليواجههم مبتسمًا وهو يتابع:

"عندما انطلقت الرصاصة فى الثامنة واثنتى عشرة دقيقة، كان هنـاك أربعة أشخاص فى الردهـة. أربعة أشخاص لديهم حجـة غيـاب. لكن أيـن كان الثلاثة الباقون؟ أنـت يا سيدتي؟ فـى غرفتـك. وأنت يا سيـد بارلنـج، أين كنت؟ فـى حجرتك أيضًا؟".

"نعم".

"وأنت يا آنسة كنت فى الحديقة. إذن أنت تعترفين".

قالت ديانا وهى تهم بالحديث:"لا أفهم...".

قاطعهـا بوارو قائـلاً: "انتظـري"، ثم التفـت إلى السيدة ليتشـام روشيه وقال: "قـولى لى يا سيدتي، هل لديك أية فكرة

عن الوسيلة التى وزع بها زوجك أمواله؟".

"لقـد قرأها علىَّ هوبرت وقال إننى يجـب أن أعرفها. لقد تـرك لى ثلاثـة آلاف دولار سنويًا مـن ملكيتـه، بالإضافة إلى اختيـار أى من منزل الزوجية أو المنـزل الريفي. وترك الباقى لديانا شريطة أن يأخذ الزوج الذى تتزوجه اسم العائلة".

"آه!".

"إلا أنه بعد ذلك أضاف ملحقًا منذ أسابيع قليلة".

"نعم يا سيدتي؟".

"لم يتغـير شـيء من حيث حصـول ديانا على المـال إلا أنه وضع شرطًا أن تتزوج السيد بارلنج. فإذا تزوجت شخصًا آخر يذهب المال إلى ابن شقيقته هارى ديلهاوس".

قال بوارو فى صوت خفيضـ: "لكنَّ الملحق لم يُكْتَب إلا قبل أسابيـع. أى أن الآنسـة ربما لا تكون على علم به". ثم خطا إلى الأمـام فى أسلوب اتهامى وقال: "آنسـة ديانا، أنت تريدين أن تتزوجى الكابتن مارشال؟ أم لعله سيد كين؟".

سـارت ديانـا حتى وصلـت لمارشـال ووضعـت ذراعها فى ذراعه، وقالت:

"استمر".

"سـوف أضعـك فى موقـف اتهام يـا آنستـي. أنت تحبين الكابـتن مارشال، وأيضًا تحبين المـال. إلا أن أباك بالكفالة لم يرض أبدًا عن فكرة زواجك من مارشال، لكنه إذا مات فسوف تحصلين على المال كله. لذلك، خرجت من المنزل، ودستِ على الزهـور فـى طريقـك إلى النافذة التـى كانت مفتوحـة، وكان

معك المسدس الذى أخذته من درج طاولة الكتابة. وتكلمت مع الضحية فى ود، ثم أطلقت النار. بعدها نظفت المسدس ووضعته فى يده وضغطت أصابعه عليه. ثم عدت من نفس الطريق وهززت النافذة فسقط المزلاج. ثم عدت إلى المنزل، أليس هذا ما حدث؟ أنا أسألك يا آنستي؟".

صاحت ديانا: "لا، لا، لا!".

نظر إليها ثم ابتسم قائلاً:

"لا، لم يكن الأمر هكذا. احتمال أن يكون هكذا ـ فهذا مقبول ظاهريًا ـ كما أنه ممكن الحدوث. إلا أنه لم يكن من الممكن أن يحدث لسببين. الأول هو أنك التقطت الأزهار فى السابعة مساء، والثانى هو شيء أخبرتنى به الآنسة الأخرى". ثم استدار إلى جوان التى نظرت إليه فى حيرة فابتسم لها مشجعًا.

"نعم يا آنستي. لقد قلت لى إنك أسرعت إلى الأسفل، إذ حسبت أنك سمعت الدقة الثانية، لأنك بالفعل سمعت الدقة الأولى".

ثم جال ببصره بسرعة فى الحاضرين.

وصاح: "ألا تعرفون ماذا يعنى ذلك؟ أنتم لا ترون. انظروا! انظروا!"، واندفع نحو المقعد الذى كان الضحية يجلس عليه، وقال: "هل تلاحظون وضع الجسد؟ لم يكن يجلس أمام المنضدة، بل كان يجلس بجوارها مواجهًا للنافذة. هل هذا وضع انتحار؟ أبدًا! أبدًا! تكتب كلمة "آسف" على قطعة ورق، وتفتح الدرج، وتخرج المسدس، وتصوبه على رأسك وبعدها

تطلق النار. هذا أسلوب الانتحار. لكن فكروا فى ارتكاب جريمة! يجلس الضحية إلى المنضدة، ويقف الجانى إلى جواره يتكلمان، وفى أثناء الكلام يحدث إطلاق النار. أين تذهب الرصاصة إذن؟". توقف ثم تابع قائلا: "مباشرة عبر الرأس، وعبر الباب إذا كان مفتوحا فتصطدم بالجرس.

"آه! هل بدأتم ترون الحقيقة؟ هذه كانت دقة الجرس الأولى التى سمعتها الآنسة لأن حجرتها تعلو الجرس مباشرة.

"ماذا فعل قاتلنا بعد ذلك؟ أغلق الباب بالمفتاح، ووضعه فى جيب القتيل، ووضع الجثة فى وضع جانبي، ووضع بصمات أصابع يد القتيل على المسدس، ثم جعله يسقط بجوار الجثة، وكسر المرآة كلمسة دراماتيكية أخيرة. باختصار، قام بترتيب "عملية الانتحار". وبعد ذلك، خرج من النافذة، وهزها ليسقط المزلاج، ولم يدس على العشب حيث من السهل تعقب الآثار، وإنما داس على الأزهار حيث لا تترك الأقدام آثارًا. وبعد ذلك عاد إلى المنزل، وفى الثامنة واثنتى عشرة دقيقة، عندما كان فى حجرة الاستقبال، أطلق رصاصة من مسدس صوتي، واندفع إلى الردهة. أليس هذا ما فعلته يا سيد جيفرى كين؟"

أخذ السكرتير يحدق فى بوارو وهو مذهول، ثم اقترب منه. وعندها، أطلق صرخة وسقط أرضًا.

قال بوارو: "أعتقد أننى حصلتُ على الإجابة. هل يمكن يا كابتن مارشال أن تتصل بالشرطة؟" وانحنى على كين قائلا: "أعتقد أنه سيبقى فاقد الوعى لحين وصول الشرطة".

غمغمت ديانا: "جيفرى كين؟ ولكن بأى دافع؟".

"أعتقد أنه كسكرتير كان لديه الكثير من الأوراق. حسابات، وشيكات. كان لديه شيء أثار شكوك السيد ليتشام روشيه مما دفعه إلى استدعائي".

"لماذا أنت؟ ولماذا ليس الشرطة؟".

"أعتقد يا آنستى أنك أنت من يمكنه الإجابة عن هذا السؤال. لقد اشتبه السيد فى أن هناك شيئًا ما بينك وبين هذا الشاب. فلكى تبعدين ذهنه عن الكابتن مارشال، قمتِ بالعبث مع السيد كين بلا خجل. نعم، لم تكونى فى حاجة إلى النفي! وعرف السيد كين بأننى قادم وبدأ فى العمل فورا. كان محور خطته هو أن الجريمة يجب أن تقع فى الثامنة واثنتى عشرة دقيقة، وهو الوقت الذى سيكون لديه فيه حجة غياب. كان لديه أمر واحد يتهدده وهو الرصاصة التى ستسقط بالقرب من الجرس ولن يكون لديه الوقت لاستعادتها. وعندما كنا فى طريقنا إلى حجرة المكتب، قام بالتقاطها دون أن يلاحظه أحد فى تلك اللحظات المتوترة. لكن بالنسبة لي، فأنا ألاحظ أى شيء! وعندما سألته، فكر قليلا، ثم بدأ فى سرد تلك الحكاية المضحكة! لقد لعب دور العاشق الذى يحاول حماية حبيبته. أوه، لقد كان بارعًا، وإذا لم تكونى قد التقطت الأزهار...".

"لا أفهم ما علاقة الأزهار بالأمر".

"ألا تفهمين؟ اسمعي. كان هناك فقط أربعة آثار أقدام فى حوض الزهور. لكن إذا كنت تلتقطين الزهور، فهذا يعنى أنك سوف تخلفين ما هو أكثر وأكثر. إذن، بين التقاطك للزهور

وعودتك لالتقاط البرعم الصغير، دخل أحدهم ومسح الآثار. ليس البستاني، لأنه لا يوجد بستانى يعمل بعد السابعة. إذن، يجب أن يكون شخصًا يشعر بالذنب، يجب أن يكون القاتل. لقد ارْتُكِبَت الجريمة قبل أن تنطلق الرصاصة".

سأله هاري: "ولكن لماذا لم يسمع أحد صوت الرصاصة الحقيقية؟".

"لقد استخدم كاتمًا للصوت. وسوف يعثرون عليه وعلى المسدس مُلْقَيَيْن فى الأكمة".

"يا لها من مجازفة!"

"ولماذا مجازفة؟ الكل كان فى الطابق العلوى يرتدون الثياب استعدادًا للعشاء. لقد كانت لحظة مناسبة. كانت الرصاصة هى مصدر الإزعاج الوحيد. وحتى بالنسبة لهذه النقطة، فقد تجاوزها بنجاح كما ظن".

ورفعها بوارو قائلاً: "لقد ألقاها أسفل المرآة بينما كنا أنا والسيد ديلهاوس نفحص النافذة".

قالت ديانا وهى تتعلق بعنق مارشال: "أوه، تزوجنى يا جون وخذنى بعيدًا".

تنحنح بارلنج قائلاً: "عزيزتى ديانا، وفقا لوصية صديقي...".

صاحت الفتاة: "لا أهتم. يمكننا أن نكسب قوتنا من رسم الصور على الأرصفة".

قال هاري: "لا حاجة لذلك، سوف نقتسم الميراث. لن أحتكر لنفسى المال لأن عمى كانت لديه هواجس".



فجأة تعالت صرخة، وقفزت السيــدة ليتشام روشيه واقفة على قدميها وقالت:

"سيد بوارو... المرآة... لا بد أنه كسرها عمدًا".

"نعم يا سيدتي".

قالــت وهــي تحــدق فيــه: "أوه، لكنه فــأل سيــئ أن تكسر مرآة".

قال بوارو باسمًا: "لقد كان ذلك فألاً سيئًا على سيد جيفرى كين".



قصيدة مقابل نصف شلن

يعيش السيــد إدوارد باليزر فى المنزل رقــم تسعة بشارع كوين آنــز كلوس وهــو عبارة عن زقــاق يسوده هــدوء الزمن الماضى الجميــل، حيث ينفصل عن الأجواء المضطربة التى خيمت على القــرن العشرين وأصبحت سمة مــن سماته. وكان هذا الزقاق يروق للسيد إدوارد ويناسبه.

كان السيد إدوارد واحداً من أبرز محامى القضايا الجنائية سابقاً، أما الآن فنظرًا لأنه لم يعد يزاول تلك المهنة فهو يقضى وقته فى جمــع مكتبة تضم كتبًا علمية حــول ارتكاب الجرائم، وهو أيضاً مؤلف كتاب "مذكرات مجرمين بارزين".

وذات مســاء كان السيد إدوارد جالســاً أمام مدفأة حجرة المكتــب، يرتشف قهوة جميلة المذاق داكنة اللون، لكنه كان غير

راض عن كتاب يقرؤه للومبروسو، حيث كانت أفكاره بدائية ولم تعد تواكب العصر!

انفتح الباب فى هدوء وتقدم خادمه المتمرس على البساط السميك المفترش على الأرض وتمتم فى تحفظ ـ قائلاً: "هناك سيدة شابة تود مقابلتك يا سيدى".

"سيدة شابة؟".

اندهش السيد إدوارد، فهذا شىء يخرج عن العادة والمألوف. ثم خمن أن تلك السيدة ربما تكون ابنة أخيه، إيثل، ولكن لا، فلو كانت هى لكان آرمور أخبره بذلك.

سأله إدوارد فى شغف: "ألم تخبرك السيدة عن اسمها؟".

"لا يا سيدى، ولكنها كانت متأكدة من أنك ستود مقابلتها".

شعر إدوارد باليزر بالتشويق وقال له: "دعها تتفضل بالدخول".

دخلت إلى السيد إدوارد فتاة طويلة القامة، داكنة البشرة، يقترب عمرها من الثلاثين، ترتدى معطفًا أسود وتنورة، وكان شعرها مهندمًا وترتدى قبعة سوداء، حيث مدت إليه يدها لتصافحه متمنية أن يتعرف عليها، ومن ثم انسحب الخادم آرمور غالقاً الباب خلفه.

. "سيد إدوارد، أنت تعرفنى بالطبع، أليس كذلك؟ أنا ماجدلين فوجان".

صافحها إدوارد بحماس وقال: "يا للمفاجأة، بالطبع أعرفك".

وتذكرها الآن جيداً فكم كانت الرحلة من أمريكا على سفينة سيلوريك ممتعة! إنها تلك الطفلة الفاتنة، كانت بالكاد قد تخطت مرحلة الطفولة. لقد تذكر إلى أى مدى أحب تلك الطفلة وقد أثر ذلك فى نفسه، فهو رجل كان يكبرها سنًا، ومن الزمن الماضى، وقد كانت فتاة صغيرة للغاية، متلهفة تبحث عن فارس لأحلامها، لكنها تواجدت فقط لتأسر قلب رجل يقترب من الستين. كل تلك الذكريات جعلته يقبض على يدها فى دفء وحماس.

ومد إليها كرسيًا بذراعين وقال لها: "هذا طيب جداً منك، اجلسى تفضلى". وكان يتحدث بسلاسة وهدوء ولكنه كان يسأل بينه وبين نفسه عن سبب مجيئها إليه. وبعد حديث تلقائى قصير ساد الصمت.

كانت يداها تمسكان بذراعى الكرسى ثم تتركهما، وتبلل شفتيها، وفجأة بدأت الحديث.

"يا سيد إدوارد، إننى أريد مساعدتك".

اندهش إدوارد وتمتم على الفور قائلاً: "نعم؟ ماذا تريدين؟".

واصلت الحديث على نحو أكثر انفعالاً قائلة: "لقد قلت لى من قبل إننى إذا احتجت إلى مساعدتك، فلو كان هناك أى شىء فى الدنيا يمكنك فعله من أجلى ستفعله".

نعم، لقد قال ذلك، وهذا ما يقوله أى إنسان عادة لحظة الوداع، حيث تذكر اضطراب صوته بينما يقبل يديها ويقول لها ذلك.

قال: "تذكرى أننى قلت إذا كنت أستطيع فعل أى شيء سأفعله، كنت أقصد...".

نعم، يقول المرء ذلك عادة... ولكن نادراً جداً ما ينفذ كل ما يقوله! وخاصة بعد تلك المدة الطويلة، التى تعدت تسع أو عشر سنوات. وألقى إليها نظرة خاطفة فهى لا تزال فتاة حسنة جميلة، ولكنها فقدت سحرها، وهى نضارة الشباب التى لم يكن قد مسها أحد. لكن وجهها صار أكثر إمتاعاً الآن، كما يتراءى ذلك لشاب، ولكن السيد إدوارد كان أبعد ما يكون عن فيض مشاعر الدفء والعواطف التى كانت تنتابه خلال الرحلة عبر المحيط الأطلنطى.

أصبحت تعبيرات وجهه أكثر تحفظاً وحذراً كتلك التى تعتلى وجوه رجال القانون، وقال على الفور: "بالتأكيد، يا عزيزتى الشابة، يسعدنى فعل أى شيء بوسعى من أجلك، رغم أننى أشك فى أن يكون باستطاعتى تقديم العون لأى شخص فى تلك الأيام".

حتى إذا كان يحاول بقوله ذلك أن يتراجع عن مساعدتها فإنها لم تلاحظ ذلك. فكانت من نمط هؤلاء الذين لا يستطيعون أن يدركوا سوى شيء واحد خلال اللحظة التى يعيشونها. وفى تلك اللحظة لم تكن ترى سوى حاجتها لما تطلبه، وصدقت باستعداد السيد إدوارد لمساعدتها.

وقالت: "نحن نعانى من مشكلة يا سيد إدوارد".

"نحن؟ هل أنت متزوجة؟".

"لا، أعنى أنا وأخى. أوه، وكذلك ويليام وإميلى أيضاً متورطان فى هذا الأمر. وعلىّ أن أشرح لك. لدىَّ، أو بالأحرى كان لدىَّ عمة، هى الآنسة كرابترى. ربما تكون قد قرأت عنها فى الصحف، أليس كذلك؟ لقد كان ذلك مفزعاً. لقد قتلت، قتلت".

"آه!"، حيث اعتلى وجه السيد إدوارد لمحة من الاهتمام وأردف قائلاً: "منذ حوالى شهر، أليس كذلك؟".

أومأت الفتاة وقالت: "بل أقل من ذلك ـ ثلاثة أسابيع".

قال: "نعم، تذكرت، لقد ضربت على رأسها فى منزلها الخاص. ولم يتوصلوا إلى القاتل".

أومأت ماجدلين فوجان ثانية وقالت: "لم يجدوا القاتل ـ وأعتقد أنهم سيجدونه. أتعلم، ربما لا يكون القاتل من الخارج".

"ماذا؟".

"نعم، هذا مفزع، ولم تتطرق الصحف إلى تلك النقطة، ولكن هذا ما تفكر فيه الشرطة. فلم يتوصلوا إلى أحد من الخارج أتى إلى المنزل فى تلك الليلة".

"هل تعنين أن...؟".

"إنه واحد منا نحن الأربعة، لابد أن الأمر كذلك. لكنهم لم يعرفوا من هو، ولا نحن أيضاً.. إننا لا نعرف. ونظل كل يوم ننظر لبعضنا البعض فى شك وتساؤل. أوه! أتمنى لو كان الفاعل شخصًا من الخارج، ولكنى لا أدرى كيف حدث ذلك...".

حدق السيد إدوارد إليها وبدأ اهتمامه يزيد.

فقال: "أتقصدين أن أفراد العائلة داخل دائرة الشك؟".

"نعـم. هذا ما أعنيه. ولم تقـل الشرطة ذلك بالطبع، فلقد كانوا مهذبـين وعاملونا بلطف. ولكنهم فتشـوا المنزل وسألونا جميعـاً وكذلـك مارثا مراراً وتكـراراً.. ولأنهـم لم يتمكنوا من معرفـة الفاعل، جمـدوا التحقيـق. وأنا خائفة للغايـة. خائفة بشكل مفزع...".

"صغيرتـى العزيزة، تعالى، إنـك تبالغين بالتأكيد فى ذلك الأمر".

"لا، لا أبالـغ. لابـد أنـه فـرد منـا نحـن الأربعة، لابـد أنه كذلك".

"من هم الأربعة الذين تتحدثين عنهم؟".

جلسـت ماجدلـين منتصبة وتحدثـت بشكل أكـثر تماسكاً وقالت: "إنهـم أنا وماثيو. وهناك عمتى ليلـى العظيمة، والتى كانت أخت جدتى، ولقد عشنا معها منذ أن كنا فى سن الرابعة عشـرة (نحن تـوأم، كما تعلم)، وهناك ويليـام كرابترى، وهو ابن أخيها، حيث يعيش فى المنزل مع زوجته إميلى".

"هل كانت السيدة كرابترى تعولهما مادياً؟".

" إلى حـد ما، لأن ويليام يعانى من نقص المال وهو ضعيف البنيـة، لـذا فهو يمكـث بالمنزل. لكنـه شخص هـادئ الطباع وحـالم، وإننى متأكدة أنه يستحيـل أن يكون هو من ... أوه! إنه لشئ بشع مجرد التفكير فى ذلك!". ـ

"مازلـت بعيداً تماماً عن فهم الموقف بالضبط. أعتقد أنك لا تمانعين فى الانتقال إلى الحقائق، إذا كان ذلك لا يؤلمك".

" أوه، لا ! أود أن أحكـى لـك. وكل الأمـور لا تـزال واضحة بذهنـى، إنها واضحة ومفزعة. لقـد تناولنا الشاى، كما تفهم، ومضينـا جميعاً لقضاء مهامنـا، حيث كنت أقوم ببعض أعمال الحياكـة، وماثيو كان يقوم بطباعة مقال، فهو صحفى مبتدئ، وويليـام كان منشغلاً بطوابعه البريدية. ولم تنزل إميلى لتناول الشاى، حيث كانت قد تناولت دواء للصداع ونامت. وهكذا كنا جميعاً مشغولين. وعندمـا دخلت مارثا لتضع طعام العشاء فى السابعـة والنصف وجدت عمتى ليلى ميتـة ورأسها... أوه هذا بشع! لقد كانت محطمة تماماً".

"وأعتقـد أنـه تم العثـور علـى سـلاح الجريمـة، أليس كذلك؟".

"نعـم، لقد كان قطعـة حديدة ثقيلة دائماً مـا كانت توضع علـى المنضـدة التى توجد بجـوار البـاب لمنع تطايـر الأوراق. وقـد فحصتها الشرطة لرفع البصمـات، ولكنهم لم يجدوا أية بصمات، حيث تمت إزالتها جيداً ".

"وماذا كان تخمينك فى البداية؟".

"اعتقدنـا بالطبـع أنه لصـ. وكان هناك درجـان أو ثلاثة مـن أدراج المكتب مدفوعان حيث تصورناه لصاً كان يبحث عن شىء. بالطبع اعتقدنا أنه لصا! وبعد ذلك أتى رجال الشرطة، وقالـوا إنها فارقـت الحياة منذ ما لا يقل عـن الساعة. وسألوا مارثـا عمن أتى إلى المنزل، فنفت مارثا مجىء أى شخص إلى المنزل، حيث كانت كل النوافذ محكمة الغلق بالداخل، ولم يكن هناك أى دليل على العبث بها لمحاولة فتحها. ثم بدأوا يوجهون

إلينا الأسئلة.."

توقفت، وأصبح تنفسها أكثر صعوبة، وعيناها أكثر خوفاً وتوسلاً ساعية إلى مساعدة السيد إدوارد التى تبحث عنها.

سألها: "من على سبيل المثال يستفيد من موت عمتك؟".

"هذا أمر بسيط. سوف نستفيد جميعاً من موتها بصورة متساوية. لقد تركت أموالها لتوزع بيننا، نحن الأربعة بالتساوى".

"وما هى قيمة تركتها".

" قال المحامى إنها تقدر بحوالى ثمانين ألف جنيه بعد وفاتها، وبعد دفع ضريبة التركات".

حدق السيد إدوارد فى اندهاش.

"هذا مبلغ ضخم. وأظن أنك كنت تعلمين إجمالى ثروة عمتك، أليس كذلك؟".

هزت ماجدلين رأسها. وقالت: " لا، لقد كان ذلك مفاجأة لنا، فلقد كانت عمتنا حريصة فى شئون المال، فقد كانت تستأجر خادمة واحدة، وكثيراً ما كانت تتحدث عن الترشيد وعدم الإسراف".

أومأ السيد إدوارد برأسه وهو يفكر. فانحنت ماجدلين للأمام قليلاً وقالت:

"ستساعدنى، أليس كذلك؟".

جاءت كلماتها بمثابة صدمة للسيد إدوارد فى اللحظة التى أصبح فيها أكثر اهتماماً وتشوقاً للقصة فى حد ذاتها فقط.

"عزيزتى الشابة، ماذا باستطاعتى فعله؟ لو كنت تريدين

أن أرشح لك محامياً جيداً، فبإمكانى أن أعطى لك اسم...".

قاطعته ماجدلين قائلة: "أوه! لا أريد ذلك! ولكنى أريدك أن تساعدنى أنت شخصياً كصديق".

"هذا لطيف جداً منك، ولكن.."

"أريدك أن تأتى إلى منزلنا، وأن تطرح تساؤلاتك، أريدك أن ترى وتحكم بنفسك".

" ولكن يا عزيزتى الشابة...".

"تذكر، أنك قد وعدتنى من قبل بأن تساعدنى فى أى مكان أو زمان إذا ما كنت بحاجة إلى مساعدتك...".

ونظرت إليه فى توسل وثقة وفى الوقت ذاته، وشعر بالخجل والتأثر الشديد لأنها تتمسك بالوعد الذى قطعه على نفسه منذ عشر سنوات وتعتبره شيئاً مقدساً فلابد أن يلتزم به، رغم أن الكثيرين يقطعون على أنفسهم عهوداً ولا يفى بها سوى القليل منهم.

وقال بصوت خفيض: "إننى متأكد من أن هناك العديد ممن بإمكانهم نصحك أكثر منى".

"بالطبع لدىَّ العديد من الأصدقاء"، وهنا فرح إدوارد من محاولة الفتاة لطمأنة نفسها بذلك، وأردفت: "ولكن، كما تعلم لا أحد منهم يتمتع بالدهاء والذكاء، فهم ليسوا مثلك لأنك اعتدت استجواب الآخرين. ولابد أنك سوف تتوصل للحقيقة بسبب خبرتك".

"حقيقة ماذا؟".

"حقيقة ما إذا كانوا أبرياء أم مذنبين".

ابتسم لنفسه فى اقتضاب، فقد أشبع ذلك غروره بأنه عادة كان يتوصل إلى معرفة الحقيقة! رغم أنه فى حالات عدة كان رأيه الخاص يختلف عن رأى هيئة المحلفين.

أزاحت ماجدلين قبعتها لمؤخرة جبهتها فى عصبية وتلفتت حولها فى الحجرة وقالت: "كم يبدو هذا المكان هادئاً، ألا تتوق أحياناً للضجيج؟".

يا لهذا الزقاق! لقد مست هذه الكلمات مشاعره، السبب هو الزقاق. نعم، لكن دائماً يكون هناك مخرج إلى العالم الخارجى، فالطريق الذى تأتى منه يمكنك من خلاله أن تعود أدراجك إلى الخارج... لكن ثمة شيئاً طائشاً منذ مرحلة الشباب تحرك بداخله، فثقتها الطفولية فى هذا الرجل قد حركت أفضل الجوانب فى شخصيته، لكن ظروف مشكلتها كانت تمس جانباً آخر من شخصيته وهى شخصية المحامى الذى طالما كان يعمل فى حقل الجرائم. وهنا أراد أن يلتقى بهؤلاء الأشخاص الذين تحدثت عنهم، أراد أن يُكون حكمه الخاص على قضيتها".

قال: "لو كنت مقتنعة بأننى أستطيع مساعدتك فى هذا الصدد... فضعى فى اعتبارك أننى لا أستطيع منحك أى ضمانات للنجاح فى مهمتى".

وتوقع أن تغمرها السعادة ولكنها تلقت كلماته بهدوء شديد.

وقالت: "أعلم أنك ستتوصل إلى الجانى، ولطالما فكرت فيك كصديق. هل ستأتى معى الآن؟".

"لا، أعتقد أننى إذا رتبت لك زيارة غداً سيكون الأمر لائقاً أكثر. هل يمكنك أن تعطى لى اسم وعنوان محامى الآنسة كرابترى؟ ربما أريد أن أوجه له بعض الأسئلة".

كتبت له ما يريد وأعطته إياه، ثم نهضت وقالت فى خجل: "إننى حقاً ممتنة، إلى اللقاء".

"وما هو عنوانك أنت؟".

"يا لغفلتى، ١٨ شارع بالاتين ووك، تشيلسى".

وفى الثالثة بعد ظهيرة اليوم التالى وصل السيد إدوارد إلى ١٨ شارع بالاتين ووك بعد البحث عن العنوان، وخلال تلك الفترة كان قد اكتشف أشياء عديدة، حيث كان قد قام بزيارة إلى سكوتلاند يارد فى الصباح والتقى بنائب المفتش العام الذى كان صديقاً قديماً له، والتقى كذلك بمحامى الآنسة كرابترى. وكان نتيجة ذلك أنه قد حصل على رؤية واضحة لكل ملابسات الموقف وظروفه. فقد كان ترتيبات الآنسة كرابترى فيما يخص الشئون المالية غريبة. فلم تكن تستخدم دفتر شيكات بل اعتادت أن تكتب لمحاميها تسأله أن يجهز مبلغًا معينًا من المال، بحيث يكون مكونًا من عملات ورقية فئة الخمسة جنيهات، وتقريباً يكون دائماً هو نفس المبلغ وهو ثلاثمائة جنيه يتم صرفه أربع مرات خلال العام، وكانت تأتى لتأخذه بنفسها فى عربة ذات أربع عجلات والتى كانت تعتبرها أكثر وسائل الانتقال أماناً. وأحياناً أخرى لا تغادر المنزل بل يأتى هو لإحضار المال لها.

وفى سكوتلانديارد علم إدوارد أن مسألة التصرف فى

الأمـوال كانت تجـرى بحرص شديـد. كانت الآنسـة كرابترى بحاجـة إلى دفعة جديدة من المال، على افتراض أن الثلاثمائة جنيه السابقة قد تم إنفاقها ـ أو على وشك أن يتم الانتهاء من إنفاقهـا. ولكن هذه هى النقطة التى لم يكن من السهل التحقق منهـا. فبعد التحقق من نفقات المنـزل اتضح أن نفقات الآنسة كرابـترى خـلال ربع السنـة كانت تقـل بكثير عـن الثلاثمائة جنيـه، وعلـى الجانب الآخـر، كانت عادتهـا أن ترسـل مبالغ مـن فئة الخمسة جنيهات إلى أصدقائهـا وأقاربها المحتاجين. وكانـت مسألـة العثور على مال فـى المنزل ـ قل أو كـثر ـ تعد نقطة مثيرة للجدل، فلم يتم العثور على أى مال بالمنزل.

وكانـت هـذه هى النقطـة التى تـدور برأس السيـد إدوارد بمجرد أن وطئت قدماه شارع بالاتين ووك.

وفتحـت له امرأة عجوز صغـيرة الحجم باب المنزل (الذى لم يكـن به حجرة استقبال) حيث نظـرت إليه فى حذر وقادته عبر ممر صغير إلى حجرة كبيرة تقع على اليسار، ومن ثم أتت إليه ماجدلين، وهنا لاحظ إدوارد ملامح العصبية والتوتر على وجهها بصورة أكثر وضوحاً عن ذى قبل.

قـال السيد إدوارد مبتسماً وهو يصافحها: " طلبت منى أن أوجه أسئلة لمحيط الأسرة، ومن ثم جئت لفعل ذلك". وأردف: "أولاً، أريد أن أعرف آخر شخص التقى بعمتك ومتى كان ذلك تحديداً؟".

"كان ذلـك بعد تناول الشـاى فى الخامسـة. وكانت مارثا هى آخر شخص رآها، حيث كانت تدفع ثمن الكتب بعد ظهيرة

ذاك اليوم ثم أحضرت الباقى للعمة ليلى وكذلك الفواتير".

"هل تثقين فى مارثا؟".

"أوه، أثـق بهـا تماماً، لقد ظلت مع العمـة ليلى لمدة ثلاثين عاماً، وأعتقد أنها كانت أمينة حتى اليوم".

أومأ السيد إدوارد وقال:

"سـؤال آخر، لماذا كانت السيدة كرابترى ابنة عمك تتناول عقارًا للصداع؟".

"حسناً، لأنها كانت تعانى من الصداع".

"بالطبـع، لكـن هـل كان هنـاك سبـب معـين لإصابتهـا بالصداع؟"

"نعـم، على أية حال حدثـت مشاحنة أثناء تنـاول الغداء. وكانت إميلى قلقة ومتوترة للغاية، فأحياناً ما كان يحدث بينها وبين العمة ليلى شجار".

"لقد تشاجرا معاً أثناء تناول الغداء، أليس كذلك؟".

"نعـم كانـت العمـة ليلى تركـز على صغائـر الأمـور وبدأ الشجـار من لا شىء، ثم احتـد بينهما، فأخـذت إميلى تتلفظ بجمل كـثيرة لم تكن تقصدها؛ بأنها ستـترك البيت ولن تعود إليـه ثانية، وأنها تكره كل لقمة تتناولها فى المنزل، أوه، وأشياء قبيحـة كثيرة، فقالت العمة إنها بمجـرد أن ترحل هى وزوجها مـن البيت سيكون الوضع أفضل، ولكنها لم تكن تقصد حقاً أيًا مما قالته".

"هل قالت لها ذلك لأنها تعرف أن السيدة والسيد كرابترى لن يستطيعا ترك المنزل والرحيل؟".

"أوه، ليس لذلك فقط. فلقد كان ويليام يحب العمة ليلى حباً شديداً، لقد كان حقاً يحبها".

"ألم تحدث مشاجرات أخرى فى ذلك اليوم؟ أى نوع من المشاجرات؟". ـ

احمر وجه ماجدلين، وقالت:

"هل تقصد مشاجرة معى؟ تعنى ذلك الشجار حول رغبتى فى أن أعمل كعارضة أزياء، أليس كذلك؟".

"لم تكن عمتك توافق، أليس كذلك؟".

"لا، لم تكن توافق".

"لماذا ترغبين فى أن تكونى عارضة أزياء يا آنسة ماجدلين ؟ هل تفتنك الحياة لكونك فتاة جذابة؟".

"لا، ولكن أى شىء سيكون أفضل من العيش هنا".

"نعم، كان الأمر كذلك وقتئذ، ولكنك الآن لديك دخل ملائم، أليس كذلك؟".

أقرت بصحة ما يقول فى بساطة شديدة وقالت: "أوه، نعم، فالوضع يختلف الآن".

ابتسم السيد إدوارد ولم يسهب فى الحديث فى هذا الشأن وقال: "وماذا عن أخيك؟ هل تشاجر معها، هو الآخر؟".

"ماثيو؟ أوه، لا".

"إذن لا أحد يستطيع أن يقول إنه لديه دافعًا لأن ترحل عمته، أليس كذلك؟".

ولمح إدوارد ملامح استياء بدت على وجهها، فأسرع قائلاً بشكل عفوى: "نسيت، لقد كان مديناً بمبلغ كبير من المال،

أليس كذلك؟".

"نعم، مسكين أخى ماثيو".

"إلا أن الأمر صار على ما يرام الآن".

تنهدت قائلة: "نعم، إن الوضع مريح الآن".

إنها لا تزال لا تدرك أى شىء! ومن ثم حول إدوارد الحديث بسرعة وسأل: "هل أبناء عمومك وأخوك بالمنزل؟".

"نعم، لقد قلت لهم إنك ستأتى. وكلهم على أهبة الاستعداد للمساعدة فى التوصل للحقيقة. أوه، سيدى إدوارد، أشعر، إلى حد ما، بأنك ستجد أن كل شىء على ما يرام، وأنه لا علاقة لأحد منا بذلك الموضوع، وبعد كل ذلك، سوف يكون الفاعل شخصًا من الخارج".

"أنا لا أصنع المعجزات. ربما أستطيع اكتشاف الحقيقة ولكن لا يمكننى أن أطوع الحقائق لما يروق لك".

"ألا تستطيع؟ ظننت أن بإمكانك أن تفعل أى شىء... أى شىء".

غادرت الحجرة. وفكر فى حيرة وارتباك قائلاً لنفسه: "ماذا تعنى بذلك؟ هل تريد منى أن أستعد للدفاع؟ والدفاع عن من؟".

ولكن قطع تفكيره دخول رجل يقترب سنه من الخمسين، بنيانه قوى، ولكنه منحن قليلاً، وكانت ملابسه غير مهندمة وشعره غير مصفف، إنه يبدو طيب الطباع ولكنه غامض.

"السيد إدوارد باليزرز؟ أوه، كيف حالك؟ لقد أرسلتنى ماجدلين إليك، هذا طيب جداً منك، وأنا متأكد من أنك تود

مساعدتنـا، رغم أننى أعتقد أن الفاعل لن يتم اكتشافه، أعنى أنهم لن يعثروا على مرتكب تلك الجريمة".

"هـل تعتقـد أنـه لص، ومن ثـم فهـو شخص مـن خارج المنزل؟".

"حسنـاً، لابد أنه كذلك ومن المستحيل أن يكون الفاعل من العائلة، فهؤلاء اللصوص صاروا ماهرين جداً تلك الأيام، حتى أنهم يتسلقون كالقطط ويدخلـون ويخرجون من المنازل كيفما يشاءون".

"أين كنت يا سيد كرابترى وقت وقوع تلك المأساة؟".

"كنـت مشغـولاً بطوابعى ـ فـى غرفة الجلوس الصغيرة الخاصة بى فى الطابق العلوى".

"ألم تسمع أى شىء؟".

"لا، ولكننـى لا أسمع شيئاً قـط عندما أكون مشغولاً، وهذه حماقة منى، ولكن هذه هى الحقيقة".

"هـل حجـرة الجلوس التى تشيـر إليهـا توجد فـوق تلك الحجرة؟".

"لا، إنها فى المؤخرة".

وانفتـح الباب ثانية، ودخلت امـرأة جميلة صغيرة الحجم، بينما كانت تعتصر يديها على نحو عصبى، حيث بدت مستاءة وقالت:

"ويليام، لماذا لم تنتظرنى؟ قلت لك انتظر".

"آسـف، يـا عزيزتـى، نسيـت. السيـد إدوارد باليـزر. زوجتى".

"كيف حالك يا سيدة كرابترى؟ أتمنى ألا يكون لديك مانع مـن مجيئى إلى هنا وسؤالك بعض الأسئلة. إننى أعرف مدى قلقكم وفضولكم لكشف الأمور".

"حقاً، ولكنى لا يمكننى أخبارك عن أى شىء ـ أليس كذلك يـا ويليام؟ لقد كنت نائمة فى سريـرى. ولم أستيقظ إلا حينما صرخت مارثا".

وظلت تعتصر يديها.

"أين حجرتك يا سيدة كرابترى؟".

"إنها فوق تلك الحجرة. ولكنى لم أسمع شيئاً، وكيف أسمع شيئاً؟ كنت نائمة".

لم يتمكـن إدوارد من معرفة أى شىء منها سوى ذلك؛ إنها لا تعرف شيئـاً، إنها لم تسمع شيئاً، إنهـا كانت نائمة. وأخذت تكرر هذه الكلمات فى عناد امرأة متخوفة. إلا أن السيد إدوارد كان يعلم جيداً أن تلك ببساطة ـ ربما تكون ـ هى الحقيقة.

وفـى النهايـة، استأذن ليوجـه بعض الأسئلـة لمارثا. تطوع وليام كرابترى لقيادتـه إلى المطبخ. وفى الصالة أوشك السيد إدوارد علـى التصـادم برجـل طويل، داكن البشـرة بينما كان يخطو نحو الباب الأمامى.

"هل أنت السيد ماثيو فوجان؟".

"نعم، لكن لا يمكننى الانتظار، لدىَّ موعد".

"ماثيـو!"، حيث نادت عليه أخته من الطابق العلوى وقالت:

"أوه، ماثيو، لقد وعدت أنك...".

" أعلم، يا أختـاه، ولكننى لا أستطيع. فعلىّ الذهاب لمقابلة

شخص. وعلى أية حال من الأفضل أن نتحدث بشأن ذلك الأمر التافه فيما بعد، فلقد تناولناه بما يكفى مع الشرطة. لقد بلغ هذا الأمر منتهاه معى".

وصفق الباب وخرج مسرعًا.

وتقدم السيد إدوارد إلى المطبخ حيث كانت مارثا تقوم بكى الملابس، فتوقفت والمكواة بيدها. وأغلق السيد إدوارد الباب خلفه بعد دخوله.

وقال: "لقد طلبت منى الآنسة فوجان أن أساعدها، وأتمنى ألا يكون لديك اعتراض على توجيه بعض الأسئلة إليك".

فنظرت إليه وهزت رأسها وقالت:

"لم يفعل ذلك أحد منهم يا سيدى، أعرف ما تفكر فيه، لكن الأمر ليس كذلك، فإن هذه المجموعة من الرجال والنساء تتسم بالطيبة أكثر مما تتصور".

"ليس لدىَّ شك فى ذلك، لكن كما تعلمين فإن طيبتهم هذه لا تعد دليلاً على براءتهم".

"نعم يا سيدى لا يعد هذا دليلاً، وربما يعتبره القانون مثارًا للسخرية، لكن هناك دليلاً حقيقيًا يا سيدى. فلو أن أحداً منهم قد فعل هذا لكنت قد عرفت".

"لكن بالتأكيد...".

قاطعته:"إننى أعنى ما أقوله يا سيدى. أنصت إلى ذلك الصوت...".

كان "ذلك الصوت" يصدر من فوق رأسيهما.

وأردفت:" إنه صوت وقع الأقدام على السلالم، يا سيدى،

فكلما صعدها أحد أو هبط يصدر صوت صرير بشع. ولن يستطيع أحد تجنب حدوث هذا الصوت حتى لو سار فوقها بهدوء، فالسيدة كرابترى كانت فى فراشها، والسيد كرابترى كان يعبث بطوابعه البريدية، أما الآنسة ماجدلين فقد كانت تعمل على ماكينة الحياكة فى الطابق الأعلى، ولو كان أحد من هؤلاء الثلاثة هبط فوق السلالم لكنت قد سمعته، لكن أحدًا منهم لم يفعل ذلك!".

كانت مارثا تتحدث بثقة بالغة تأثر بها المحامى. وفكر فى نفسه قائلاً: "إنها شاهدة طيبة القلب وسوف تتحمل عبئاً ثقيلاً".

فقال لها: "ربما لم تلحظى ذلك الشخص".

"نعم، لم يكن بمقدورى أن أراه. دعنى أقل إننى لم يكن بمقدورى أن أراه ولكننى سأشعر به، مثلما تشعر بأن الباب ينغلق وأن شخصًا قد خرج منه".

انتقل السيد إدوارد إلى نقطة أخرى فسأل:

"ذكرت ثلاثة أشخاص، لكن هناك شخصًا رابعًا. هل كان السيد ماثيو فوجان فى الطابق العلوى أيضاً؟".

"لا، لكنه كان فى الحجرة الصغيرة المجاورة لنا فى الطابق السفلى، حيث كان يكتب على الآلة الكاتبة، ويمكنك سماع صوتها بوضوح من هنا. ولم تتوقف آلته للحظة، أقسم بأنها لم تتوقف للحظة يا سيدى، فهى تصدر صوتاً مزعجاً.

توقف السيد إدوارد لدقيقة ثم قال:

"إنك أنت من وجدتها جثة هامدة، أليس كذلك؟".

"نعم يا سيدى، هو كذلك، كانت ملقاة على الأرض والدم يغطى شعرها، ولم يسمع أحد أى صوت بسبب صوت كتابة السيد ماثيو".

"هل أفهم من قولك أنك متأكدة من أنه لم يأت أحد إلى المنزل؟".

"وكيف ذلك يا سيدى، دون معرفتى؟ فالجرس يرن حين يأتى أحد ولا يوجد سوى باب واحد".

فنظر السيد إدوارد إليها وحدق فى وجهها وقال: "هل كنت مرتبطة بالآنسة كرابترى؟".

اعتلى وجهها احمرار، صادق، وعفوى وقالت: "نعم، حقاً، كنت مرتبطة بها يا سيدى. ولولا حبى للآنسة كرابترى لما قلت ما سأذكره لك الآن، فقد وقعت فى مأزق يا سيدى عندما كنت فتاة صغيرة ووقفت الآنسة كرابترى إلى جوارى، وأخذتنى لأكون خادمتها، ولطالما ظلت معى تساعدنى هكذا حتى رحلت. لقد كنت على استعداد للتضحية بحياتى من أجلها، كنت على استعداد حقاً".

أدرك السيد إدوارد صدقها عندما سمعها. لقد كانت مارثا صادقة.

فقال: "إذن على حد علمك، لم يأت أحد إلى المنزل؟".

"لم يأت أحد قط".

"هذا على حد علمك، ولكن إذا كانت الآنسة كرابترى تنتظر مجىء أحد... إذا كانت قد فتحت الباب بنفسها لشخص...".

اندهشت مارثا وقالت: "أوه!".

تابع السيد إدوارد حديثه فقال فى إلحاح: "على حد ظنى هذا ممكن، أليس كذلك؟".

"نعم هذا ممكن، لكنه ليس احتمالاً قويًا، أعنى...".

بدا الذهول واضحاً على مارثا، فلم تكن تستطيع أن تتكر لكنها تريد فعل ذلك. لماذا؟ لأنها ترى الحقيقة غير ذلك، فهل تكون الحقيقة كذلك؟ هل يوجد من بين الأشخاص الأربعة من ارتكب هذا؟ وهل تقف مارثا بجانب هؤلاء المذنبين؟ هل سمعت صوت اهتزاز السلالم؟ هل هناك من تسلل إلى الطابق السفلى؟ وهل كانت مارثا تعرف من هو ذلك الشخص؟

كان السيد إدوارد مقتنعاً بأنها نفسها مخلصة وصادقة.

أصر على رأيه وأخذ يراقبها بينما يقول: "أظن أنه ربما تكون الآنسة كرابترى فعلت ذلك، أليس كذلك؟ فنافذة هذه الحجرة تطل على الشارع. ربما تكون قد رأت من كانت بانتظاره من الشباك فذهبت للصالة وأدخلته ـ أو أدخلتها. وربما كانت تود ألا يرى أحد ذلك الشخص".

بدت مارثا منزعجة وقلقة، فقالت فى النهاية على مضض: "نعم، من المحتمل أن يكون كلامك صحيحاً يا سيدى. لم أفكر فى هذا؛ فى أنها كانت تتوقع مجىء رجل لطيف ـ نعم، هذا محتمل".

وبدت كأنها بدأت تقتنع بالفكرة.

قال: "لقد كنتِ أنت آخر من رآها، أليس كذلك؟".

"نعم يا سيدى، بعد أن رفعت الشاى عن المنضدة، أخذت

إليهـا الكتـب التى قمت بدفـع قيمتها وكذلـك الباقى من المال الذى أعطته لى".

"هـل كانـت النقـود التـى أعطتهـا لك مـن فئـة الخمسة جنيهات؟".

قالت مارثا فى صوت يعبر عن دهشتها: "خمسة جنيهات يا سيدى، لم تصل تكلفة الكتب إلى خمسة جنيهات، إننى متأكدة تماماً من ذلك".

"أين كانت تضع أموالها؟".

"لا أعـرف حقاً يا سيدى، يمكننـى القول إنها تحملها معها ــ فى حقيبتها الســوداء المصنوعة من القطيفـة. ولكنها ربما بالطبع كانت تحتفظ بها فى أحد الأدراج الموجودة بغرفة نومها وتغلقـه بإحكام. فكانت مهتمة بالقفل علـى الأشياء، رغم أنها كانت كثيراً ما تفقد مفتاحها".

أومـأ السيد إدوارد وقال: "أعنـى ألا تعرفين كم كان لديها من المال من فئة الخمسة جنيهات؟".

"لا، يا سيدى، لا يمكننى معرفته تحديداً ".

"ألم تقـل لك شيئـاً يوحى لك بأنها كانـت تتوقع مجىء أى شخص؟".

"لا يا سيدى".

"هل أنت متأكدة ؟ ماذا قالت لك بالضبط؟".

قالـت مارثا وهى تفكر: "حسناً، قالـت لى إن الجزار ليس ســوى شخص محتـال وغشاش، وقالـت إننـى استغرقت وقتاً أطول مما ينبغى فى صنـع الشاى، وقالت إن شخصية السيدة

كرابـترى مليئة بالهراء لأنها لا تـأكل السمن النباتى، ولم ترق لهـا إحدى العملات من فئة نصـف شلن التى أعدتها إليها من باقى ثمـن الكتب ــ فقد كانت من العمـلات الجديدة المرسوم عليهـا ورق البلوط ــ وقالـت لى إنها قبيحة المنظر، وقد سئمت لإقناعها، وقالت إن تاجر السمك أرسل سمكاً من نوع القد بدلاً مـن نوع الحدوق الأبيض، وسألتنى عما إذا كنت أخبرته، وقلت لها إننى أخبرته. هذا حقاً كل شىء يا سيدى".

أوضح كلام مارثا للسيد إدوارد الكثير عن السيدة المتوفاة، فقـد كان وصفـاً تفصيليـاً لها، فقـال بعفوية: " كانـت سيدة يصعب إرضاؤها، أليس كذلك؟".

" كانـت متعبـة قليـلاً، ولكـن عزيزتـى المسكينـة لم تكن تعتـاد الخروج، وكان لابد أن يمـلأ فراغها بشىء. كان يصعب إرضاؤهـا إلا أنها كانت طيبة القلب، فلا يذهب سائل إحسان عـن المنزل دون أن يتناول شيئاً، ربمـا كانت صعبة الإرضاء إلا أنها كانت سيدة متصدقة".

" إننـى سعيد يا مارثا بأن الآنسـة كرابترى تركت شخصاً واحداً يأسف لموتها".

التقطت الخادمة العجوز أنفاسها وقالت:

"تقصـد أننـى... أوه، ولكن كان الجميـع يكنون لها الحب فى أعماقهم. كانت تحـدث بينهم بعض المشاحنات بين الحين والآخر ولكنها لم تكن تعنى أى شىء".

رفع السيد إدوارد رأسه، حيث سمع صوت وقع أقدام.

قالت: "ها هى الآنسة ماجدلين تهبط".

قال السيد إدوارد على الفور: "وكيف عرفت ذلك؟".

احمر وجه المرأة العجوز فتمتمت قائلة: "أعرف خطواتها".

غادر السيد إدوارد المطبخ على عجل. كانت مارثا على حق، فلقد وصلت ماجدلين تواً إلى أسفل السلالم ونظرت إليه فى أمل.

قال السيد إدوارد مجيباً على نظرتها: "لم يعد الحل بعيداً الآن"، وأضاف قائلاً لها: "ألا تعرفين الخطابات التى تلقتها عمتك فى يوم وفاتها؟".

"كانت جميعها فوق بعضها، ولقد فحصتها الشرطة بالطبع".

قادت ماجدلين السيد إدوارد إلى حجرة جلوس مزدوجة. وفتحت الدرج وأخرجت حقيبة سوداء مصنوعة من القطيفة.

وقالت: " هذه هى حقيبة عمتى، كل شىء هنا بحالته مثلما كان بالضبط فى يوم وفاتها، وقد احتفظت بها هنا هكذا ".

شكرها السيد إدوارد وتابع إخراج محتويات الحقيبة على المنضدة، حيث وجد أن حقيبتها نموذج جميل لحقيبة امرأة كبيرة السن غريبة الأطوار.

كان هناك بعض النقود الفضية، وقطعتان بنيتان من البندق، وثلاث قصاصات من مجلة حول جونا سوث كوت، وقصيدة مطبوعة رتيبة تتحدث عن العاطلين، وقطعة كبيرة من الكافور، ونظارة، وثلاثة خطابات، أحدها غير مفهوم من شخص يدعى "كوزين لوسى" وفاتورة إصلاح ساعة يد،

والتماس من أحد الجمعيات الخيرية.

تفقد السيد إدوارد كل شىء بعناية، وأعاد الأشياء إلى الحقيبة وأعطاها لماجدلين فى تنهيدة وقال:

"شكراً يا آنسة ماجدلين، للأسف ليس بها ما يضيف مزيداً من المعلومات".

ونهض، حيث لاحظ أن النافذة تسمح برؤية واضحة لدرجات سلم الباب الأمامى، ثم أمسك بيد ماجدلين.

قالت: "هل ستغادر؟".

"نعم".

"ولكن كل شىء سيكون على ما يرام، أليس كذلك؟".

قال السيد إدوارد فى هدوء: " إن رجل قانون مثلى لا يمكنه التسرع فى إصدار حكم على هذا النحو". وانصرف.

ومضى إلى الشارع، غارقاً فى التفكير. كان اللغز تحت يده، لكنه لم يحله. كان يحتاج إلى شىء ما ـ شىء صغير ـ سقطت يد على كتفه فتوقف. كانت تلك هى يد ماثيو فوجان.

" لقد كنت أتعقبك يا سيد إدوارد. أريد أن أعتذر لك عن تصرفاتى وسلوكى البذىء الذى أبديته منذ نصف ساعة. ولكن معذرة، لقد كنت فى حالة مزاجية سيئة. إنه لشىء طيب جداً منك أن تهتم بذلك الأمر. من فضلك اسألنى كيفما تشاء. وإذا كان هناك أى شىء باستطاعتى تقديمه...".

تصلب السيد إدوارد فجأة. كانت نظرته ليست مثبتة على ماثيو بل كانت مثبتة إلى شىء عبر الشارع. وفى حالة من الارتباك كرر ماثيو قوله: "إن كان هناك أى شىء باستطاعتى

تقديمه ...".

قاطعه السيد إدوارد: "لقد قمت بذلك فعلياً يا عزيزى الشاب، بإيقافك لى فى هذا المكان تحديداً ولفت انتباهى لشىء كنت سأفقده لو لم يحدث ذلك".

وأشار عبر الشارع إلى مطعم صغير مقابل لهما.

سأل ماثيو فى حيرة: "هل تقصد مطعم الأربعة والعشرين طائرًا".

"بالضبط".

"إنه اسم غريب لمطعم، ولكنه يقدم طعاماً جيداً، على حد اعتقادى".

قال السيد إدوارد: "لن أخاطر وأجرب طعامه، لكننى تذكرت أناشيد الروضة رغم أنى تركتها منذ زمن بعيد يا صديقى الصغير، فأنا أتذكر جيداً ذاك النشيد الذى كان يقول: "غن أغنية بنصف شلن، يمتلئ الجيب بحبوب القمح وتأكل أربعة وعشرين طائرًا[١]"، وهكذا، لكن بقية النشيد لا تعنينا".

استدار على نحو مفاجئ، فسأله ماثيو فوجان: "إلى أين ستذهب؟".

"سأعود إلى منزلكم يا صديقى".

سار الاثنان فى صمت، بينما كان ماثيو فوجان يختطف نظرات حائرة إلى رفيقه. ودخل السيد إدوارد وفتح الدرج وحمل الحقيبة المصنوعة من القطيفة وفتحها. نظر إلى ماثيو فترك الشاب الحجرة على مضض.

ألقى السيد إدوارد العملات الفضية على المنضدة، ثم أومأ. إن ذاكرته لم تخطئ.

نهض ودق الجرس، وهو يقبض براحة يده على شىء.

أجابت مارثا الجرس وجاءت، فقال: "لقد أخبرتنى يا مارثا، حسبما أتذكر، أن ثمة جدالاً طفيفاً حدث بينك وبين سيدتك الراحلة حول إحدى العملات الجديدة من فئة نصف شلن".

"نعم، سيدى".

"آه! لكن الشىء الغريب يا مارثا أنه لا توجد عملة جديدة من فئة نصف شلن بين النقود المتبقية، فهناك عملتان من فئة نصف شلن لكنهما قديمتان".

حدقت النظر إليه فى حيرة.

وأردف قائلاً: "هل تفهمين ماذا يعنى ذلك؟ إن شخصاً بالفعل قد أتى إلى المنزل فى تلك الليلة، وهو الشخص الذى أعطته سيدتك العملة من فئة نصف شلن... وأعتقد أنها أعطته إياها مقابل هذه...".

وفى حركة سريعة فتح يده لتجد تلك القصيدة الرديئة التى تتحدث عن البطالة.

وكانت نظرتها إليه تكفى.

أردف قائلاً: "لقد انتهت اللعبة يا مارثا، وأنا أعرف أنك فهمت الآن، ولعلك سوف تخبرينى بكل شىء".

انهارت على الكرسى وانهمرت دموعها، وقالت:

"هـذا صحيح، نعم هـذا صحيح. إن الجرس لم يدق على نحـو ملائـم، ولم أكن متأكدة مـن سماعه، فاعتقـدت أنه من الأفضل أن أخـرج لأرى بنفسى، وعندما وصلت إلى الباب كان قد هَشـم رأسها وطرحهـا أرضاً. لقد كانت لفافـة النقود من فئـة الخمسة جنيهات موضوعة علـى المنضدة أمامها، ومن ثم كانـت تلك اللفافة هى التـى دفعته لفعل ذلـك، واعتقاداً منها أنهـا كانت فـى المنزل بمفردهـا فقد سمحت لـه بالدخول. لم أستطـع أن أصـرخ، حيث تجمدت عاجزة فـى مكانى واستدار ذلك الشخص... فوجدته ابنى...".

وأردفت: "أوه، فلطالما كان ولداً عاقاً، حتى أننى كنت أعطيه كل مـا أملكه من مال، وقـد حكم عليه بالسجـن مرتين، ولابد أنـه أتـى ليلتقى بى، وعندمـا وجدت الآنسة كرابـترى أننى لم أجب جرس الباب ذهبت لتفتح بنفسهـا، فاندهش وأخرج لها إحـدى القصائد التى تتحدث عن البطالـة، ونظراً لأنها كانت سيـدة تحب الإحسان فقد دعتـه للدخول وأعطته عملة من فئة نصـف شلن. ولقد ظلت لفافة النقود من فئة الخمسة جنيهات موضوعـة فوق المنضدة، حيث رأيتها حينما أتيت لأعطيها بقية النقود من حساب الكتب، وربما وسوس الشيطان فى رأس ابنى "بن" فجاء من خلفها ليضربها على رأسها ويطرحها أرضاً".

سألها السيد إدوارد: "وماذا بعد ذلك؟".

قالـت: "أوه، سيـدى ماذا كان عسـاى أن أفعـل؟ إنه ابنى مـن صلبى، ولقد كان والده سيئ السلـوك فنشأ بن مثله، لكنه على أية حال ابنـى. لقد دفعته خارج البـاب وعدت إلى المطبخ،

ومضيـت فـى إعـداد العشاء فى الوقت المعتاد. هـل تعتقد أن تصرفـى هذا شرير يا سيـدى؟ لقد أخبرتك بكل شىء دون أن أكذب عندما طرحت علىّ أسئلتك".

نهض السيد إدوارد، وقال لها فى صوت متأثر:

"عزيزتى المسكينة، إننى أعتذر لك بشدة، لكن كما تعلمين فإن القانون فى جميع الأحوال لابد أن يأخذ مجراه".

"لقد فر هارباً من هنا، ولا أدرى إلى أين ذهب".

"لا تـزال أمامـه فرصة للنجـاة من حكم الإعـدام، لكن لا تتوقعـى حدوث ذلـك. هلا أخـبرت الآنسة ماجدلـين أن تأتى إلىّ؟".

ولم يكـد ينهـى حديثه حتى قالـت ماجدلـين: "أوه، سيدى إدوارد، يـا لك مـن رائع، يا لك من بارع، لقـد أنقذتنا جميعاً، فكيف أشكرك على ذلك؟".

ابتسـم لها السيد إدوارد وربت عليها فى لطف، فلطالما كان رجـلاً عظيماً وكانـت الصغيرة ماجدلين فـى غاية الافتتان به منذ تلك الرحلة على سفينة سيلوريك، عندما كانت فى نضارة سـن السابعة عشرة من عمرها، لقد كانت رائعة! لكنها بالطبع قد فقدت الآن تلك النضارة تماماً.

قال لها: "فى المرة التالية عندما تحتاجين إلى صديق..".

قاطعته: "سوف آتى مباشرة إليك".

صـاح السيد إدوارد: "لا، لا، إن هذا هو بالضبط ما أريد ألا تفعليه. اذهبى إلى رجل أكثر شباباً".

ونجا بنفســه ببراعة من صاحبة المنــزل السعيدة بما فعله هتف إلى تاكسى قــادم عبر الشارع ودلف إليه فى تنهيدة من لارتيــاح، فحتى سحــر نضارتها فى سن السابعــة عشرة صار وضع شك بالنسبة له.

ولا يمكن حقاً أن يقارن بمخزون مكتبته المليئة بالكتب حول لم الجريمة.

دخل التاكسى إلى شارع كوين آنز كلوس.

ومنه إلى الزقاق الذى يعيش فيه.

www.liilas.com/vb3
uploaded and scanned
by:
THE GHOST 92

حادثة

"وأنــا أقول لك ذلــك. إنها نفســ المرأة... لا شــك فى ذلك!" حيث نظر القبطان هايدوك فى وجه صديقه المتحمس المتلهف، وتنهد. كان يود لو أن إيفانز لم يكن بتلك الإيجابية أو الابتهاج. فخــلال حياتــه فى العمــل بالبحر، تعلــم القبطــان المحنك أن يــترك الأمور التى لا تعنيه وشأنها. أمــا صديقه إيفانز المفتش السابــق فى المباحث الجنائية، فقد كانت له فلسفة مختلفة فى الحيــاة. ففى بداية حياته، كان شعاره "التحرك وفق المعلومات التــى تم تلقيها"، وهــو الشعار الذى قام بتطويــره لكى يحصل علــى معلومــات خاصة بــه. كان المفتــش إيفانــز ضابطا ذكيا ويقظا جدا، وكان قد حصل على المكانة التى يتمتع بها الآن عن استحقــاق. وحتى الآن، بعدما تقاعد مــن الوظيفة واستقر فى

منزل أحلامه الريفى، لا تزال غريزته المهنية نشطة.

وكـرر فـى رضـا: "إننـى لا أنسـى أى وجـه. إنهـا السيدة أنطونـى... نعـم، إنها السيـدة أنطونـى بالفعل. عندمـا قُتِّتَ السيدة ميرودين... تَعَرَّفْتُهَا على الفور".

شعـر القبطان هايدوك بعدم ارتياح، فقد كان آل ميرودين أقرب الجـيران إليه، أقرب من إيفانز نفسه. وقد ضايقه ربط السيدة ميرودين ببطلة إحدى القضايا المثيرة للجدل.

وقال فى صوت ضعيف إلى حد ما: "لقد كان ذلك منذ وقت طويل".

فقال إيفانز بدقة كعادته:"تسع سنوات، تسع سنوات وثلاثة أشهر. هل تتذكر القضية؟".

"أتذكر منها القليل".

قال إيفانز:" اتضـح أن أنطونى قد تناول سم الزرنيخ، لذا أفرجوا عنها".

"حسنًا، ولماذا لا يفعلون ذلك؟".

"لا يوجـد سبب فـى العالم. إنه مجرد حكـم قضائى صدر بناءً على دليل تم الحصول عليه، وكان صحيحًا تماماً".

قـال هايـدوك:" إذن، كل شىء على ما يـرام، ولا أدرى ما الذى ننزعج بشأنه".

"وهل أحد منا منزعج؟".

"أعتقد أنك منزعج".

"على الإطلاق".

ق[illegible] كابتن:" لقد انتهى الأمر، وحدث ما حدث، فلو كانت

السيـدة ميرودين فى إحدى فترات حياتهـا سيئة الحظ وتمت محاكمتها ثم أفرج عنها فى قضية قتل...".

قاطعه إيفانـز قائلاً:" ليس من العادة أن يعد الإفراج سوء حظ".

قـال الكابتن هايـدوك فى غضب": أنت تعـرف ما أقصد. فـإذا كانت تلك السيدة المسكينة قد مـرت بتجربة مؤلمة فليس من شأننا أن نعيدها إلى الأذهان، أليس كذلك؟".

لم يجب إيفانز.

"أفهم يا إيفانز. لقد كانـت السيدة بريئة، وأنت قلت ذلك توًا".

"لم أقل إنها بريئة، بل قلت إنهم أفرجوا عنها".

"الأمران متساويان".

"ليس دائمًا".

توقف كابـتن هـايدوك الـذى هم بتفريغ محتويـات غليونه على أحد جانبى كرسيه، وجلس بتعبير يوحى بالانتباه واليقظة، وقال:

"أهلاً، أهلاً، أهلاً، إذن فالرياح تأتى من هذا الاتجاه، أنت تعتقد أنها لم تكن بريئة، أليس كذلك؟".

"لم أقـل ذلـك، ولكننى فقـط لا أعلم. فقد اعتـاد أنطونى على أن يستخدم الزرنيخ. وقد اعتادت زوجته على إحضاره له، وفى ذات يوم أخذ عن طريق الخطأ كمية كبيرة منه. فهل كان الخطـأ منه أم من زوجته؟ لا أحد يعلم، ومنحها هيئة المحلفين امتيـاز عدم وجود الدليل القاطـع، وكان هذا صحيحًا ولا أجد

خطأ فى ذلك. على أية حال، أود أن أعرف".

انتقل الكابتن هايدوك باهتمامه إلى غليونه مرة أخرى.

وقال بارتياح: "حسنًا، هذا ليس من شأننا".

"ولكننى لست متأكدًا تماماً...".

قاطعه هايدوك:" لكن بالتأكيد...".

"أنصت إلىّ لدقيقة. إن هذا الرجل، ميرودين كان فى معمله هذا المساء محاطًا بالاختبارات".

"نعم، لقد أجرى اختبار مارش الخاص بالزرنيخ. وقال إنك ستعرف كل شىء عن ذلك خلال اتصاله بك، وقهقه. ولم يكن ليقول ذلك لو كان فكر لدقيقة واحدة ...".

قاطعه إيفانز: "تعنى أنه لو كان يعلم لما قال ذلك. كم مر على زواجهما؟ لقد أخبرتنى أنه مضى على زواجهما ست سنوات، أليس كذلك؟ أراهنك على أى شىء أنه لا يعلم تماماً أن زوجته هى السيدة أنطونى سيئة السمعة".

قال كابتن هايدوك بعنف: "وبالتأكيد لن يعرف ذلك منى".

لم يعره إيفانز اهتمامًا وواصل حديثه قائلاً:" لقد قاطعتنى الآن. فبعد اختبار مارش قام ميرودين بتسخين مادة فى أنبوبة اختبار وبعد ذلك حلل الشوائب المعدنية فى الماء ثم رسبها بإضافة نترات الفضة. وكان ذلك اختبارًا للكشف عن أملاح الكلورات. وهو اختبار بسيط، ولكننى قرأت هذه الكلمات بالمصادفة فى كتاب وجدته مفتوحًا على المنضدة. يتحلل حمض الكبريتيك إلى كلورات التى تتحول إلى أكاسيد الكلور،

وعند التسخين يحدث انفجار، فلابد إذن أن يبقى المخلوط فى درجة حرارة منخفضة، وأن يتم استخدامه بكميات ضئيلة جداً".

حدق هايدوك النظر إلى صديقه وقال: "حسناً، وما الأمر إذن؟".

"هذا هو الأمر، ففى مهنتى نقوم باختبارات أيضًا، اختبارات عن وقوع جريمة قتل. ونضيف الحقائق، ونقرؤها، ونقوم بتحليل النقاط الهامشية عندما يتواجد أمامك عدم الدقة العامة للشهود. ولكن هناك اختبارًا آخر للقتل، إنه دقيق للغاية، ولكنه إلى حد ما خطير! فنادراً ما يكتفى القاتل بجريمة واحدة. بل أعطه وقتًا وأبعد عنه شبح الشك فيه وسيرتكب جريمة أخرى. فأنت تمسك بالفرد، وتفكر هل قتل زوجته أم لا، ربما تكون القضية لا تتوافر كل دلائلها ضده، وبالتالى عليك أن تنظر فى ماضيه، إذا وجدت أنه كان لديه زوجات عديدات وقد وافتهن المنية جميعهن، دعنا نقل هذا، إذن فقد توصلت إلى الخيط! إننى لا أتحدث من الناحية القانونية كما تعلم، لكننى أتحدث من منظور الإحساس اليقينى. وبمجرد أن تعرف يمكنك البدء فى البحث عن الدليل".

"حسناً، وماذا بعد؟".

"سأوضح لك الفكرة. هذا ينطبق على حالة ما إن كان هناك ماض تبحث عنه، ولكن ماذا لو أمسكت بقاتل تكون هذه هى أول جريمة يرتكبها؟ إذن لن تجنى من هذا الاختبار أى نتيجة، لكن السجين الذى يتم الإفراج عنه يبدأ حياة جديدة

تحت اسم مستعار. فهل سيكرر القاتل جريمته أم لا؟".

"هذه فكرة فى غاية الخطورة ".

" ألا تزال تقول إن هذا ليس شأننا؟".

"نعـم، أصـر على هـذا. فليس هنـاك سبـب يجعلك تتهم السيدة ميرودين؟".

ظل المفتش المتقاعد صامتًا للحظة، ثم قال فى هدوء:

"لقـد أخبرتـك أننا فتشنا فـى ماضيهـا ولم نصل لشىء، لكن هـذا ليس صحيحًا بصورة كلية فقد كان هناك زوج أمها، وعندمـا كانت فى الثامنة عشـرة من عمرها كانت تحب شاباً، ولكن زوج أمهـا استخدم سلطته بأقصى مـا بوسعه لإبعادها، وذات يـوم ذهبتـا مـع زوج أمها للتمشية فـى منطقة وعرة من المنحـدرات الصخرية، ووقعت حادثة، حيـث اقترب زوج أمها من حافة المنحدر فانزلق ومات.

"إنك لا تظن...".

قاطعـه: "كانت حادثة، إنها مجرد حادثة! وجريمة أنطونى الزائـدة مـن الزرنيخ كانت حادثة أيضـاً. ولم تكن لتحاصرها الظنـون لـو لم يكـن هناك رجـل آخـر، ولقـد راوغ بالمناسبة، وبـدا كأنه غـير راض رغم رضا هيئة المحلفـين. إننى أخبرتك يـا هايـدوك أننى أخـاف بشأن هـذه المرأة مـن أن تقع حادثة أخرى".

هز الكابتن العجوز كتفيه استهجانًا.

"حسنًا؟ ولكننى لا أعرف كيف يمكنك منع وقوع ذلك".

قال إيفانز بمرارة:" ولا أنا".

قـال الكابـتن هايدوك:" لابـد أن أبقى وشأنـى، فلا يجلب التدخل فى شئون الغير أية منفعة".

لم تكن تلـك النصيحة مستساغة للمفتش المتقاعد، فكان رجـلاً صبورًا ولكنه عنيد فى الوقت ذاته. وبعد أن ودع صديقه توجه إلى القرية وجال بخاطره احتمالات النجاح فى مهمته.

وعند توجهه إلى مكتب البريد لشراء بعض الطوابع اصطدم بمـن يشغل باله مصادفة، ألا وهو جورج ميرودين. وكان جورج أستـاذ الكيمياء المتقاعـد رجلاً صغير الحجـم، ذا هيئة تعبر عـن أنه إنسان حـالم، وكان لطيفًا وعطوفاً وشـارد الذهن فى أغلب الأحيان. وتعرف على إيفانز وحياه بلطف وانحنى ليلتقط الخطابـات التى وقعت على الأرض إثـر اصطدامه به. وكذلك انحنى إيفانـز وكانت حركته أسرع من الرجل وتناول ما سقط منه وأعطاه لصاحبه، واعتذر.

لمـح إيفانز العنوان المكتوب على أحـد الخطابات بينما كان يسلمهـا له وهو مـا أثار شكوكـه فجأة، حيـث كان يحمل اسم شركة تأمين شهيرة.

وعلـى الفور دارت الأفكار برأسـه، إن ميرودين الساذج لن يـدرك السبب الـذى جعله هـو والمفتش المتقاعـد يذهبان إلى القريـة معًـا، ولن يدرك المغـزى من الحوار الـذى سوف يدور حول موضوع التأمين على الحياة.

ولم يجـد إيفانـز صعوبـة فـى الوصـول إلى هدفـه. وقدم ميروديـن من تلقـاء نفسه معلومات حـول قيامه تـواً بالتأمين علـى حياته لصالح زوجته، وسأل إيفانز عـن رأيه فى الشركة

المذكورة.

فأوضح قائلاً: "لقد استثمرت أموالى استثمارًا خاسرًا وبالتالى تضاءل دخلى. لذا فإن وقع بى أى مكروه فسوف أترك زوجتى فى حالة يرثى لها. وهذا التأمين يجعل كل شىء على ما يرام".

فسأله إيفانز فى غير اهتمام: "ألم تعترض على تلك الفكرة؟ فبعض السيدات يعترضن كما تعلم. ويعتقدن أنه أمر يبعث على التشاؤم".

فقال ميرودين مبتسمًا: "أوه، مارجريت تفكر بشكل عملى للغاية. ولا تعير تلك الخرافات اهتمامًا. فى الحقيقة أعتقد أنها كانت فكرتها فى البداية. فلم تكن ترغب فى أن ترانى قلقًا".

حصل إيفانز على المعلومات التى رغب فى الحصول عليها. وترك الرجل بعد ذلك بفترة وجيزة، فقد أمن السيد الراحل أنطونى على حياته لصالح زوجته قبل وفاته بأسابيع قلائل.

وكان متأكدًا مما يدور بذهنه كعادته اعتمادًا على فطنته وموهبته الفطرية، ولكن كيفية التصرف والتعامل مع تلك الأفكار كان أمرًا آخر. فهو لا يرغب فى القبض على المجرم ويده ملطخة بدماء الجريمة، بل يرغب فى تجنب ارتكاب وقوع الجريمة، وهذا يختلف تمامًا، بل إنه أمر صعب وشاق للغاية.

ظل يفكر طوال اليوم. وكان هناك حفل خيرى بنادى اتحاد جمعية بريمروز بعد الظهيرة مقامًا للاحتفال بالقاضى المحلى. فذهب إليه واشترك فى إلقاء العملات المعدنية وغيرها

من الأنشطة، لكن وجهه كان مشتتاً ومستغرقاً فى التفكير. وانخرط كذلك مع من يقرأون الطالع وهو يبتسم لنفسه، حيث تذكر ممارساته ضد قارئى الطالع وقت وجوده بالخدمة.

لم يكترث هايدوك لأشعار ودندنة العرافة، ولم يلتفت إليها إلا بعدما قالت جملة لفتت انتباهه: "قريبًا، قريبًا جدًا حقًا، سوف تنشغل بمسألة حياة أو موت، حياة أو موت شخص".

فسأل فجأة: "ماذا ــ ما هذا؟"

"قرار، قرار سيكون عليك أن تأخذه. لابد أن تكون حريصاً، حريصًا جدًا جدًا ... فلو حدث وأخطأت، فإن أبسط الأخطاء قد..."

"نعم، ماذا؟".

ارتعدت العرافة، وكان يعرف المفتش إيفانز أن هذا كله هراء إلا أنه رغم ذلك كان متأثراً بكلامها. وأكملت قائلة:

"أحذرك، ينبغى عليك ألا تقترف أى خطأ. لأنك إذا أخطأت فسوف تكون النتيجة هى الموت...".

شىء غريب، شىء فى غاية الغرابة! موت، يا له من خيال واسع يعتريها!

"هل إذا أخطأت ستكون النتيجة هى الموت؟ هل هذا سيحدث حقًا؟".

"نعم".

نهض إيفانز على قدميه وأعطاها نصف كراون وقال: "فى هذه الحالة، يجب علىَّ ألا أرتكب خطأ، أليس كذلك؟".

كان يقول ذلك باستخفاف واضح، لكنه بينما يخرج من

الخيمـة أخذ يفكـر، فمن السهـل أن تقول أى شــىء لكن ليس سهـلاً أن تكون متأكـداً مـن حـدوث شـىء. لابـد ألا يقترف أبسـط الأخطاء، والا تعرضت حياة شخص للخطر بسبب هذا الخطأ.

لم يكن هنـاك أحد ليساعده. وبزغ شبـح صديقه هايدوك أمام عينيه دون جدوى، فشعار هايدوك هو "دع الأمور وشأنها" وهذا الشعار لا يجدى هنا.

كان هايـدوك يتحدث إلى امرأة، وبعدها تركته وجاءت فى اتجاه إيفانز، فتعرف عليها المفتش. لقد كانت السيدة ميرودين وهو ما جعل إيفانز يتجه نحوها عمداً.

كانـت السيدة ميرودين امرأة حسنة المظهر، ذات حاجبين عريضـين، وعينـين بنيتين جميلتين تعبران عـن رباطة جأشها وهدوئها. لقد كانت تشبه مادونا الإيطالية حيث ينسدل شعرها على جانبى أذنيها وتتمتع بصوت عميق هادئ.

ابتسمت لإيفانز ابتسامة تعبر عن الرضا والترحاب.

قال بعفوية: "أعتقد أنه أنت، السيدة أنطونى، أعنى السيدة ميرودين".

لقـد وقع فى الخطـأ عمدًا ونظر إليهـا دون أن يبدى ذلك، حيـث رأى عينيها تتسعان وسمع تلاحـق أنفاسها. لكن عينيها لم تظهرا اضطرابها، وأخذت تنظر إليه فى ثبات وفخر.

وقالـت فى هـدوء:" كنت أبحث عن زوجـى، ألم تره فى أى مكان بالقرب من هنا؟".

ومشيا معًا جنبًـا إلى جنب. وأخذا يتحدثان بهدوء ولطف.

وشعر المفتش بأن إعجابه بها يزداد، فأى امرأة هذه! إنها امرأة قوية! إنها امرأة فى غاية الاتزان! إنها امرأة مميزة، لكنها فى غاية الخطورة. لقد صار متأكدًا من أنها فى غاية الخطورة.

لكنـه لايزال يشعـر بعدم الارتيـاح. رغم رضائـه عن تلك الخطـوة التى بادر بها، حيـث جعلها تعرف أنـه تعرف عليها. وهذا الأمـر سوف يمنعها كيلا تجرؤ علـى القيام بأية محاولة متهـورة. لكن لا تزال هناك مسأله ميرودين، فلو كان بالإمكان أن يتم تحذيره...

لقـد وجدا الرجل صغـير الحجم شارد الذهـن ويتأمل فى دميـة صينية كسبها من لعبة رمـى العملات. واقترحت زوجته التوجه للمنزل فوافقها على الفور، فاستدارت السيدة ميرودين إلى المفتش وقالت:

"ألا تأتـى معنـا وتتناول كوبًا مـن الشاى الدافـىء يا سيد إيفانز؟".

فكـر إيفانز: هل كان صوتهـا يحمل فى نبرته الخافتة شيئاً من التحدى؟

فقال:" شكرًا يا سيدة ميرودين، بكل سرور".

ومشوا وابتعدوا وهم يتحدثون معًا عن عناصر الطبيعة التى تبعـث على البهجة. حيث كانت الشمس مشرقة، وهبت نسمات رقيقة، وكان كل شىء حولهم مبهجًا وعلى طبيعته.

وعندمـا وصلـوا إلى المنزل الفاتن قالـت السيدة ميرودين إن الخادمـة فى الحفـل الخيرى. وتوجهـت إلى حجرتها لخلع قبعتهـا، ثم عادت لتعد الشاى وتضع الغلاية فوق موقد صغير،

وأخرجت من رف الموقد ثلاثة أقداح وثلاثة صحون.

وقالت: "لدينا شاى صينى ذو مذاق خاص، ودائماً ما نتناوله على الطريقة الصينية، فى أقداح وليس فناجين".

ثم توقفت فجأة وحدقت النظر فى قدح منها فى صيحة غضب.

حيث قالت: "جورج، هذا سيئ جدًا منك. لقد أخذت هذه الأقداح ثانية".

قال البروفيسور فى اعتذار: "آسف يا عزيزتى، فأحجامهم ملائمة. والأقداح التى طلبت شراءها لم تصل بعد".

قالت الزوجة وهى تبتسم: "سوف نموت بالسم جميعاً ذات يوم، لأن مارى الخادمة تجد الأقداح فى المعمل فتعيدها ولا تغسلها إلا إذا لاحظت بوضوح وجود شىء بداخلها، ولمَ لا؟ فقد استخدمت أحدها ووضعت به مادة سيانيد البوتاسيوم فى أحد الأيام. حقاً يا جورج هذا شىء فى غاية الخطورة".

بدا ميرودين غاضباً ومنزعجاً قليلاً.

ثم قال: "ولكن ليس من شأن مارى أن تأخذ أى شىء من المعمل، وليس لها أن تلمس أى شىء هناك".

"ولكننا كثيرًا ما نترك فناجين الشاى هناك، فماذا تفعل مارى؟ كن متعقلاً يا عزيزى".

توجه البروفيسور إلى المعمل متمتمًا لنفسه وهو يبتسم. وصبت السيدة ميرودين الماء المغلى على الشاى وأطفأت لهيب الموقد.

صار إيفانز فى حيرة، لكن ثمة شيئاً واضحًا قد فهمه،

فالسيدة ميرودين لسبب أو لآخر تحاول إثبات شىء، ألا تحاول أن تجعل الأمر مجرد "حادثة"؟ فهى تحاول عمداً أن تمهد لنفى تورطها فى حدوث جريمة، فعندما تقع "الحادثة" يكون إيفانز دليلاً وشاهداً صالحها. لكنها حمقاء، لأنه قبل أن يحدث هذا...

وفجأة التقط أنفاسه حيث شاهدها تصب الشاى فى الأقداح الثلاثة وتضع واحدًا أمامه، وآخر أمامها، والثالث وضعته على منضدة صغيرة بجوار المدفأة القريبة من الكرسى الذى يعتاد زوجها الجلوس عليه، وارتسمت على شفتيها ابتسامة غريبة حينما وضعت ذاك الأخير على المنضدة، وكانت تلك الابتسامة هى سبب ما ساوره من قلق.

لقد عرف ما تنوى فعله.

إنها امرأة غريبة، امرأة خطيرة. إنها لا تضيع وقتاً ولا تقوم بإعداد للجريمة، لقد حان موعدها بعد ظهيرة هذا اليوم، سوف تحدث بعد ظهيرة هذا اليوم فى وجوده ليكون شاهدًا على أنها حادثة. ولعل تلك الجرأة قد جعلت أنفاسه تتلاحق.

يا لها من مهارة، يا لها من مهارة لعينة. لن يكون قادرًا على إثبات شىء، لقد مضت فى خطتها دون أن تلتفت لشكوكه، وذلك لأن الجريمة سوف تقع "على الفور"، إنها حقًا امرأة سريعة التفكير والتصرف.

فأخذ نفسًا عميقًا وانحنى للأمام. وقال:

"سيدة ميرودين، إننى رجل ذو هواجس غريبة، هل تسمحين لى أن أبوح لك بواحد منها؟".

نظرت إليه فى غرابة لكن لم يظهر عليها الارتياب.

فنهض وأخذ القدح من أمامها ثم سار إلى المنضدة وأبدله ووضع الآخر أمامها، وقال:

"أريد أن أراك وأنت تشربين هذا!".

نظرت إلى عينيه فى عدم فهم وتحول لون وجهها ببطء.

ومدت يدها، وأمسكت القدح، فاحتبست أنفاسه.

شعر أنه قد ارتكب خطأ منذ البادية.

رفعت السيدة القدح إلى فمها، وفى اللحظة الأخيرة انحنت للأمام فى رجفة وسكبته بسرعة فى مزهرية تحتوى على نبات السرخس. ثم عاودت الجلوس الطبيعى وأخذت تحدق النظر إليه فى تحد.

فتنهد إيفانز تنهيدة تعبر عن الارتياح ثم جلس ثانية.

وقال: "حسناً، ماذا دهاك؟".

وتغير صوتها. وكانت نبرته ساخرة متحدية.

وقال لها فى حكمة وهدوء:

"أنت امرأة ماهرة، يا سيدة ميرودين. أعتقد أنك تعرفين ما أقصده، ولا داعى لأن أشرح لك. أتعرفين ما أرمى إليه بقولى هذا؟".

"أعرف ما تقصده".

كان صوتها مجردًا من أى تعبير، فأومأ لها برأسه فى رضا.

فهى امرأة ذكية ولا تريد الموت شنقاً.

رفع قدح الشاى إلى فمه وقال: "من أجل حياة طويلة لك ولزوجك".

ثم تغيرت ملامح وتعبيرات وجهه من الألم على نحو مفزع .. وحاول النهوض، كى يصرخ ... وتصلب جسده، وتحول وجهه للون الأرجوانى، ثم سقط ثانية على كرسيه، وشجت أطرافه.

انحنت السيدة ميرودين إلى الأمام، وأخذت تراقبه. وارتسمت على شفتيها ابتسامة خفيفة. وقالت له فى لطف ورقة شديدين:

"لقد أخطأت يا سيد إيفانز، ظننت أننى أود قتل جورج ... يا لك من أحمق، يا لحماقتك".

جلست لدقيقة تنظر إلى الرجل الميت، ذاك الرجل الثالث الذى كان عقبة فى طريقها ويريد إبعادها عن الرجل الذى تحبه...

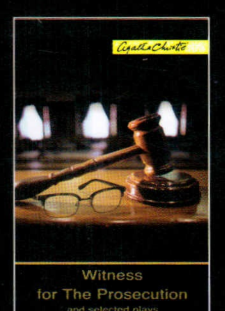
اتسعت ابتسامتها، وبدت جميلة أكثر من أى وقت مضى. ثم رفعت صوتها ونادت قائلة:

"جورج، جورج ... أوه! تعال إلى هنا؛ فأنا خائفة من تلك الحادثة المروعة ... مسكين السيد إيفانز ...".

تمت بحمد الله و توفيقه

أجاثا كريستي Agatha Christie

شاهد الإدّعاء
وقصص أخرى



كما هو معروف عن الكاتبة أجاثا كريستي، فإنّها حقّاً تُعَدّ «ملكة الغموض والإثارة» بمؤلفاتها المثيرة التي تبحث دوماً في عالم الجريمة، ذلك العالم الذي يحيطه الغموض والضباب.

وهذه المجموعة القصصية «شاهد الإدّعاء» مكوّنة من عشر قصص قصيرة تدور أحداثها جميعاً في عالم القتل والجريمة، والبحث في أعماق الشخصيّات وأفعالها وردود أفعالها، وعلاقاتها بالضحية، للوصول إلى حلّ اللغز، والإجابة عن السؤال: من القاتل؟!

إنها مجموعة قصصية رائعة ومشوّقة تحلق بخيالك، وتزيده خصوبة.

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
... not just a Bookstore ...ليست مجرد مكتبة


6 281072 058609
282204322